

البلاغَةُ والوَاضِحَةُ

البَيَانُ، والمعَانِي، والبَدِيعُ



لِلْمَدَارِسِ الثَّانَوِيَّةِ

رَفَقًا لِمُنْتَهَا حَقِّهِ الَّذِي أَقْرَبَهُ وَرَأَى الْقُرْبَى وَالشَّعَائِمَ

تَأَلَّفَ

عَلِيّ ابْنُ جَارود وَ مَصْطَفَى أَمِين

المكتبة العلمية

بيروت - لبنان

البلاغية لولـ خـ

البسيان، والمعاني، والبديع

للمدارس الثانوية

وفقاً للمنهاج الحديث الذي أقرته وزارة التربية والتعليم

تأليف

عليك البخار و مصطفى أمين

شبكة كتب الشيعة



المكتبة العلمية
بيروت - لبنان

shiabooks.net

رابط بديل < mktba.net

جميع حقوق الطبع محفوظة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

الحمد لله رب العالمين؛ والصلاة والسلام على محمد رسول الله وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد؛ فقد ارتأينا أن نورد ترجمتين لمؤلفي كتاب «البلاغة الواضحة» علي الجارم ومصطفى أمين؛ ولكننا لم نهتد بعد البحث الدقيق فيما بين أيدينا من المصادر والمراجع إلى ترجمة لمصطفى أمين، سوى ما ذكره يوسف سركيس في معجم المطبوعات العربية (ص ١٧١٥) من إيراد اسمه كما يلي: «مصطفى أمين أفندي: كتاب علم النفس وآثاره في التربية والتعليم؛ ألفه بمعاونة علي الجارم، مطبعة المعارف ١٣٣٣». وذكر اسمه أيضاً عمر رضا كحالة في معجم المؤلفين (٢/ ٤٥٠) ضمن ترجمته للجارم في سياق ذكره لمؤلفات علي الجارم التي وضعها بالاشتراك مع مصطفى أمين، وهي النحو الواضح والبلاغة الواضحة وغيرهما.

أما علي الجارم، فنذكر فيما يلي ترجمته كما أوردها الزركلي في الأعلام (٤/ ٢٩٤): علي بن صالح بن عبد الفتاح الجارم (١٢٩٩ - ١٣٦٨ هـ = ١٨٨١ - ١٩٤٩ م) أديب مصري، من رجال التعليم. له شعر ونظم كثير. وُلد في رشيد، وتعلّم بالقاهرة وإنجلترا. وجعل كبيراً لمفتشي اللغة العربية بمصر، فوكيلاً لدار العلوم حتى سنة ١٩٤٢ م. ومثل مصر في بعض المؤتمرات العلمية والثقافية. وكان من أعضاء المجمع اللغوي. له «ديوان الجارم - ط» أربعة أجزاء، و«قصة العرب في إسبانيا - ط» ترجمه عن الإنكليزية، وهو من تأليف ستانلي لين بول، و«فارس بني حمدان - ط» و«شاعر ملك - ط» و«غادة رشيد - ط» و«هاتف من الأندلس - ط» قصة ولادة مع ابن زيدون،

والذين قتلهم أشعارهم - ط' نُشر تباعاً في مجلة الكتاب، و«مرح الوليد - ط' في سيرة الوليد بن يزيد الأموي، و«الشاعر الطموح - ط' المتنبي، و«خاتمة المطاف - ط' نهاية المتنبي، وشارك في تأليف كتب أدبية، منها «المجمل - ط' و«المفصل - ط' وكتب مدرسية في النحو والتربية. وتوفي بالقاهرة، فجأة، وهو مصغٍ إلى أحد أبنائه يلقي قصيدة له في حفلة تأبين لمحمود فهمي النقراشي.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[مقدمة المؤلفين]

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ومنّ والاه، وبعد؛ فهذا كتاب وضعناه في البلاغة، واتجهنا فيه كثيراً إلى الأدب، رجاء أن يجتلي الطلاب فيه محاسن العربية، ويلتحوا ما في أساليبها من جلالٍ وجمال، ويذرسوا من أفانين القول وضروب التعبير، ما يهبط لهم نغمة الذوق السليم، ويربي فيهم ملكة النقد الصحيح، وأملنا أن يكون لعملنا هذا شأنٌ في إحياء الأدب، وتوجيه أذهان المعلمين والطلاب إلى هذه الطريقة التي ابتكرناها في دراسة البلاغة. ولعلنا نكون قد وفّقنا إلى ما قصدنا إليه، والله خير مُستعان.

مقدمة

الفصاحة - البلاغة - الأسلوب

الفَصَاحَة: الظهور والبيان، تَقُول: أَفْصَحَ الصُّبْحُ إِذَا ظَهَرَ. والكَلَامُ الفَصِيحُ ما كان واضح المعنى، سهل اللفظ، جيّد السبك. ولهذا وجب أن تكون كل كلمة فيه جارية على القياس الصرفي^(١)، بينة في معناها، مفهومة عذبة سليمة.

وإنما تكون الكلمة كذلك إذا كانت مألوفة الاستعمال بين النابهين من الكتاب والشعراء، لأنها لم تتداولها ألسنتهم، ولم تُجر بها أقلامهم، إلا لمكانها من الحُسن باستكمالها جميع ما تقدّم من نُعوت الجودة وصفات الجمال.

والذوق السليم هو المُعَدَّة في معرفة حُسن الكلمات وسلاستها، وتمييز ما فيها من وجوه البشاعة ومظاهر الاستكراه؛ لأن الألفاظ أصوات، فالذي يطرَب لصوت البُلبُل، ويثفر من أصوات البوم والغربان، يثبو سمعه عن الكلمة إذا كانت غريبة مُتَنافِرة الحروف^(٢). ألا ترى أن كلمتي «المُزَنَة» و«الدَّيْمَة» للسحابة المُعْطِرة، كلتاها سهلة عذبة يسكن إليها السمع، بخلاف كلمة «البُعَاق» التي في معناها؛ فإنها قبيحة نُصك الأذان. وأمثال ذلك كثير في مُفردات اللغة تستطيع أن تُدركه بذوقك.



(١) فقول المتنبي:

فلا يُبرم الأمر الذي هو حال ولا يُخلل الأمر الذي هو يبرم
غير فصيح؛ لأنه اشتمل على كلمتين غير جارتين على القياس الصرفي، وهما حال ويحلل، فإن القياس حال ويحل بالإدغام.

(٢) تنافر الحروف: وصف في الكلمة بوجوب ثقلها على السمع وصعوبة أدائها باللسان ولا ضابط لمعرفة الثقل والصعوبة سوى الذوق السليم المكتسب بالنظر في كلام البلغاء وممارسة أساليبهم.

١ - ويشترط في فصاحة التركيب فوق جريان كلماته على القياس الصحيح وسهولتها أن يسلم من ضعف التأليف، وهو خروج الكلام عن قواعد اللغة المطردة كرجوع الضمير على متأخر لفظاً ورتبة في قول سيدنا حسان رضي الله عنه^(١):

ولو أنَّ مَجْدًا أَخْلَدَ الدُّمْرَ وَاجِدًا مِنْ النَّاسِ أَبْقَى مَجْدُهُ الدُّمْرَ مُطْعِمًا^(٢)
فإن الضمير في «مجده» راجع إلى «مطعمها» وهو متأخر في اللفظ كما ترى، وفي الرتبة لأنه مفعول به، فالبيت غير فصيح.

٢ - ويشترط أن يسلم التركيب من تنافر الكلمات، فلا يكون اتصال بعضها ببعض مما يُسبب ثقلها على السمع، وضعوبة أدائها باللسان، كقول الشاعر:

وَقَبْرُ حَرْبٍ بِمَكَانٍ قَفْرٍ وَلَيْسَ قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرٌ^(٣)
قيل إن هذا البيت لا يتنهياً لأحد أن يُشغذه ثلاث مرات متواليات دون أن يتفتتح^(٤)، لأن اجتماع كلماته وقرب مخارج حروفها، يحدثان ثقلًا ظاهرًا، مع أن كل كلمة منه لو أخذت وحدها كانت غير مُستكثرة ولا ثقيلة.

٣ - ويجب أن يسلم التركيب من التعقيد اللفظي، وهو أن يكون الكلام خفي الدلالة على المعنى المراد بسبب تأخير الكلمات أو تقديمها عن مواطنها الأصلية أو بالفصل بين الكلمات التي يجب أن تتجاوز ويتصل بعضها ببعض، فإذا قلت: «ما قرأ إلا واحداً محمد مع كتاباً أخيه» كان هذا الكلام غير فصيح لضعف تأليفه، إذ أصله «ما قرأ محمد مع أخيه إلا كتاباً واحداً»، فقدّمت الصفة على الموصوف، وفصل بين المتلازمين، وهما أداة الاستثناء والمستثنى، والمضاف والمضاف إليه. ويشبه ذلك قول أبي الطيّب المتنبي^(٥):

(١) هو شاعر رسول الله ﷺ، اجتمعت العرب على أنه أشعر أهل المدر. قيل إنه عاش ١٢٠ سنة، ٦٠ في الجاهلية و٦٠ في الإسلام، وتوفي سنة ٥٤هـ.

(٢) هو مطعم بن عدي أحد رؤساء المشركين، وكان يذب عن النبي ﷺ. ومعنى البيت أنه لو كان مجد الإنسان أو شرفه سبباً لطول حياته وخلوده في هذه الدنيا، لكان مطعم بن عدي أولى الناس بالخلود، لأنه حاز من المجد والسود ما لم يحزه غيره.

(٣) البيت من الرجز، ولا يعرف قائله، ولعله مصنوع.

(٤) تتعق في الكلام: تردد فيه من حصر أو هي.

(٥) أبو الطيّب المتنبي هو أحمد بن الحسين الشاعر الطائر الصيت، كان من المطلعين على غريب اللغة، وشعره غاية في الجودة، يمتاز بالحكمة وضرب الأمثال وشرح أسرار النفوس، ولد بالكوفة في محلة تسمى كندة سنة ٣٠٣هـ، وتوفي سنة ٣٥٤هـ.

أَتَى يَكُونُ أَبَا الْبَرِيَّةِ آدَمَ وَأَبُوكَ وَالثَّقَلَانِ أَنْتَ مُحَمَّدٌ^(١)
والوضع الصحيح أن يقول: كيف يكون آدم أبا البرية، وأبوك محمد، وأنت
الثقلان؟ يعني أنه قد جُمِعَ ما في الخليقة من الفضل والكمال، فقد فَصِّلَ بين المبتدأ
والخير وهما «أبوك محمد»، وقُدِّمَ الخير على المبتدأ تقديماً قد يدعوا إلى اللبس في
قوله «والثقلان أنت»، على أنه بعد التعسف لم يسلم كلامه من سُخْفٍ وهَذَرٍ.

٤ - ويجب أن يسلم التركيب من التعقيد المعنوي، وهو أن يعتمد المتكلم إلى
التعبير عن معنى فيستعمل فيه كلمات في غير معانيها الحقيقية، فيسيء اختيار الكلمات
للمعنى الذي يُريد، فيضطرب التعبير ويلتبس الأمر على السامع. مثال ذلك أن كلمة
اللسان تُطلق أحياناً ويُراد بها اللغة، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ
فَرَوِيهِ﴾ أي ناطقاً بلغة قومه، وهذا استعمال صحيح فصيح، فإذا استعمل إنسان هذه
الكلمة في الجاسوس، وقال: «بث الحاكم ألسنته في المدينة» كان مخطئاً، وكان في
كلامه تعقيداً معنوي، ومن ذلك قول امرئ القيس^(٢) في وصف فرس:

وَأَرْكَبُ فِي الرَّوْعِ خَيْفَانَةً كَسَا وَجْهَهَا سَعَفٌ مُنْتَشِرٌ^(٣)

الخَيْفَانَةُ في الأصل الجرادة، ويريد بها هنا الفرس الخفيفة، وهذا لا بأس به
وإن كان تشبيه الفرس بالجرادة لا يخلو من ضعف، أما وصف هذه الفرس بأن شعر
ناصبتها طويلٌ كَسَعَفِ النخل يَغْطِي وجهها، فغير مقبول؛ لأن المعروف عند العرب
أن شعرَ الناصية إذا غَطَّى العينين لم تكن الفرس كريمة ولم تكن خفيفة. ومن التعقيد
المعنوي قول أبي تمام^(٤):

جَذَبْتُ نَدَاءَ غَدْوَةِ السَّيْبِ جَذْبَةً فَخَزْتُ صَرِيحاً بَيْنَ أَيْدِي الْقَصَائِدِ^(٥)

فإنه ما سكَّت حتى جعل كرم ممدوحه يَخْزُ صَرِيحاً وهذا من أقيح الكلام.



(١) الثقلان: الإنس والجن، والبيت من قصيدة طويلة في مدح شجاع بن محمد الطائي.

(٢) هو رأس شعراء الجاهلية وقائدهم إلى الافتتان في أبواب الشعر وضروبه، ولد سنة ١٣٠ ق هـ،
وآبآؤه من أشراف كندة وملوكها، وتوفي سنة ٨٠ ق هـ، وله المعلقة المشهورة.

(٣) الروع: الفزع، والسعف جمع سعفة: وهي غصن النخل.

(٤) أبو تمام: هو حبيب بن أوس الطائي الشاعر المشهور، كان واحد عصره في الفروس وراء
المعاني وفصاحة الشعر وكثرة المحفوظ، وتوفي بالموصل سنة ٢٣١ هـ.

(٥) الندى: الجود. وخز صريحاً: سقط على الأرض.

أما البلاغة فهي تأدية المعنى الجليل واضحاً بعبارة صحيحة فصيحة، لها في النفس أثر خلاب، مع ملاءمة كل كلام للموطن الذي يُقال فيه، والأشخاص الذين يُخاطبون.

فليست البلاغة قبل كل شيء إلا فناً من الفنون يُعتمد على صفاء الاستعداد الفطري ودقة إدراك الجمال، وتبين الفروق الخفية بين صنوف الأساليب، وللمرانة يد لا تُجحد في تكوين الذوق الفني، وتنشيط المواهب الفاترة، ولا بد للطالب إلى جانب ذلك من قراءة طرائف الأدب، والتملؤ من تميزه الفياض، ونقد الآثار الأدبية والموازنة بينها، وأن يكون له من الثقة بنفسه ما يدفعه إلى الحكم بحسن ما يراه حسناً ويقبح ما يقدّه قبيحاً.

وليس هناك من فرق بين البليغ والرسام إلا أن هذا يتناول المسموع من الكلام، وذلك يُشكل بين المرئي من الألوان والأشكال، أما في غير ذلك فهما سواء، فالرسام إذا هم برسم صورة فكر في الألوان الملائمة لها، ثم في تأليف هذه الألوان بحيث تختلب الأبصار وتثير الوجدان، والبليغ إذا أراد أن ينشئ قصيدة أو مقالة أو خطبة فكر في أجزائها، ثم دعا إليه من الألفاظ والأساليب أخفها على السمع، وأكثرها اتصالاً بموضوعه. ثم أقواها أثراً في نفوس سامعيه وأروعها جمالاً.

فنعاصر البلاغة إذا لفظً ومعنى وتأليفً للألفاظ يمتنعها قوة وتأثيراً وحسناً. ثم دقة في اختيار الكلمات والأساليب على حسب مواطن الكلام ومواقعه وموضوعاته وحال السامعين والثرعة النفسية التي تتملكهم وتسيطر على نفوسهم، فترُب كلمة حسنت في موطن ثم كانت نابية مُستكرهة في غيره. وقديماً كره الأدباء كلمة «أيضاً» وعدوها من ألفاظ العلماء فلم تنجر بها أقلامهم في شعر أو نثر حتى ظهر بينهم من قال:

رُبَّ وَزْءَاءٍ هَشُوفٍ فِي الضُّحَا	ذَاتِ شَجْوٍ صَدَحَتْ فِي قَتَنِ ^(١)
ذَكَّرَتْ إلفاً ودغراً سَالِفاً	فَبَكَتْ حُزْناً فَهَاجَتْ حَزْني ^(٢)
فَبَكَائِي رُبَّمَا أَزْهَمَهَا	وَبُكَامَهَا رُبَّمَا أَزْهَمَنِي ^(٣)

(١) الوراق: الحمامة في لونها يباش إلى سواد. والهنوف: كثيرة الصياح. والشجر: الهم والحزن. والصدق: رفع الصوت بالفناء، والفتن: الغصن.

(٢) الإلف: الأليف.

(٣) الأرق: السهر، وأرقها: أسهرها.

ولَقَدْ تُشْكِرُونَهَا أَنفُسُهَا وَلَقَدْ أَشْكِرُكُمْ فَمَا تَفْهَمُونِي
غَيْرَ أَنِّي بِالْجَوَى أَغْرِفُهَا وَهِيَ «أَيْضاً» بِالْجَوَى تَغْرِفُونِي^(١)

فوضع «أَيْضاً» في مكان لا يتطلب سواها ولا يتقبل غيرها، وكان لها من الرُّوْعة والحُسن في نفس الأديب ما يعجز عنها البيان.

وَرُبَّ كلام كان في نفسه حسناً خلافاً حتى إذا جاء في غير مكانه، وسقط في غير مسقطه، خرج عن حدِّ البلاغة، وكان عُرضاً لسهام الناقدِين.

ومن أمثلة ذلك قول المتنبي لكافور الإخشيدي^(٢) في أول قصيدة مدحه بها:
كَفَى بِكَ دَاءٌ أَنْ تَرَى الْمَوْتَ شَافِياً وَحَسْبُ الْمَنِيَا أَنْ يَكُنْ أَمَانِياً^(٣)
وقوله في مدحه:

وَمَا طَرَبِي لِمَا رَأَيْتُكَ بَدْعَةً لَقَدْ كُنْتُ أَزْجُو أَنْ أَرَاكَ فَاطْرِبُ
قال الواحدي^(٤): هذا البيت يشبه الاستهزاء فإنه يقول: طَرِبْتُ عند رؤيتك كما بطَرَبَ الإنسان لرؤية المضحكات. قال ابن جني^(٥): لما قرأت على أبي الطيب هذا البيت قلت له: مَا زِدْتَ عَلَى أَنْ جَعَلْتَ الرَّجُلَ قَرْدًا، فَضَحِكَ. وَتَرَى أَنَّ الْمُتَنَبِّيَّ كَانَ يَغْلِي صَدْرَهُ جَقْدًا عَلَى كَافُورٍ وَعَلَى الْأَيَّامِ الَّتِي أَلْجَأَتْهُ إِلَى مَدْحِهِ؛ فَكَانَتْ تَفَرُّ مِنْ لِسَانِهِ كَلِمَاتٌ لَا يَسْتَطِيعُ احْتِبَاسَهَا وَقَدِيمًا زَلَّ الشُّعْرَاءُ لِمَعْنَى أَوْ كَلِمَةً تَفَرَّتْ سَامِعِيهِمْ، فَأَخْرَجَتْ كَلَامَهُمْ عَنْ حَدِّ الْبَلَاغَةِ، فَقَدْ حَكَّرُوا أَنَّ أَبَا النَّجْمِ^(٦) دَخَلَ عَلَى هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَأَنشَدَهُ:

-
- (١) الجوى: الحرقه وشدة الوجد.
 - (٢) كافور الإخشيدي: هو الأمير المشهور صاحب المتنبي، وكان عبداً اشتراه الإخشيدي ملك مصر سنة ٣١٢هـ. فنسب إليه وأعتقه، فترقى عنه، وما زالت همته تسمو به حتى ملك مصر سنة ٣٥٥هـ، وكان مع شجاعته فطناً ذكياً حسن السياسة، وتوفي بالقاهرة سنة ٣٥٧هـ.
 - (٣) كفى بك: أي كفاك فالباء زائدة، والمنيا جمع منية وهي الموت، والأمانى: جمع أمنية وهي الشيء الذي تتمناه؛ يخاطب أبو الطيب نفسه ويقول: كفاك داء رؤيتك الموت شافياً لك، وكفى المنية أن تكون شيئاً تتمناه.
 - (٤) الواحدي: مفسر عالم بالأدب، مولده ووفاته بنيسابور، وكتبه البسيط والوسيط والوجيز في التفسير مخطوطة، وشرحه لديوان المتنبي مطبوع، توفي سنة ٤٦٨هـ.
 - (٥) ابن جني: هو من أئمة النحو والعربية ولد في الموصل وتوفي ببغداد سنة ٣٩٢هـ. ومن مؤلفاته الخصائص في اللغة، وكان المتنبي يقول: ابن جني أحرف بشعري مني.
 - (٦) أبو النجم: هو الفضل بن قدامة، وهو من رجال الإسلام، والفحول المتقدمين في الطبقة الأولى منهم، وله مع هشام بن عبد الملك أخبار طويلة، وكانت وفاته آخر دولة بني أمية.

صَفَرَاءُ قَدْ كَادَتْ وَلَمَّا تَفْعَلْ كَأَنَّهَا فِي الْأَقْتِ عَيْنُ الْأَحُولِ^(١)

وكان هشام أخول فأمر بحبسه .

ومدح جرير^(٢) عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ بِقَصِيدَةٍ مَطْلَعُهَا:

«أَتَضَحُّوْا أَمْ فَوَإِذَاكَ غَيْرُ صَاحٍ»

فاستكر عبد الملك هذا الابتداء وقال له: بل فَوَإِذَاكَ أَنْتَ.

ونعى علماء الأدب على الْبُخْتَرِيِّ^(٣) أَنْ يَبْدَأَ قَصِيدَةً يُنْشِدُهَا أَمَامَ مَدْرُوْحِهِ بِقَوْلِهِ:

«لَكَ الْوَيْلُ مِنْ لَيْلٍ تَقَاصَّرَ آخِرُهُ»

وعابوا على المتنبي قَوْلَهُ فِي رثاء أُمِّ سَيْفِ الدَّوْلَةِ^(٤):

صَلَاةُ السَّلَهِ خَالِقِنَا خَسُوفُ عَلَى الْوَجْهِ الْمَكْفُنِ بِالْجَمَالِ^(٥)

قال ابْنُ وَكَيْعٍ^(٦): إِنْ وَصَفَهُ أُمُّ الْمَلِكِ بِجَمَالِ الْوَجْهِ غَيْرِ مُخْتَارٍ.

وفي الحق أَنَّ المتنبي كان جريئاً في مخاطبة الملوك، ولعلَّ لعظم نفسه وَغَبَرَتِهِ شَأْنًا فِي هَذَا الشَّدْوِذِ.

إِذَنْ لَا بَدَّ لِلْبَلِيغِ أَوْلَا مِنْ التَّفَكِيرِ فِي الْمَعَانِي الَّتِي تَجِيشُ فِي نَفْسِهِ، وَهَذِهِ يَجِبُ

(١) قبل هذا البيت في وصف الشمس، والأحول: مَنْ بعينه حول، وهو ظهور البياض في مؤخر العين، ويكون السواد من قبل المَأَقِ.

(٢) جرير: هو ابن عطية التميمي، أحد الشعراء الثلاثة المقدمين في دولة بني أمية، وهم الأخطل، وجريير، والفرزدق، وقد فاق صاحبه في بعض فنون الشعر، وتوفي سنة ١١٠هـ.

(٣) الْبُخْتَرِيُّ شاعر مطبوع من شعراء الدولة العباسية، سئل أبو العلاء المعري: مَنْ أشعر الثلاثة، أبو تمام أم الْبُخْتَرِيُّ أم المتنبي؟ فقال: أبو تمام والمتنبي حكيما، وإنما الشاعر الْبُخْتَرِيُّ. وكانت ولادته بمنبج (وهي بلدة قديمة بين حلب والفرات)، وتوفي بها سنة ٢٨٤هـ.

(٤) سيف الدولة: هو أبو الحسن علي بن عبد الله بن حمدان، كان ملكاً على حلب، وكان أدبياً شاعراً مجيداً محباً لجديد الشعر شديد الاحتزاز له؛ قيل لم يجتمع بباب أحد من الملوك بعد الخلفاء ما اجتمع ببابه من الشعراء، وقد انقطع المتنبي إليه وخضع بمدائحه. وكانت ولادته سنة ٣٠٣هـ وهي سنة ولادة المتنبي، ووفاته سنة ٣٥٦هـ بعد مقتل المتنبي بستين.

(٥) الصلاة: الرحمة، والحنوط: طيب يخلط للميت. يدعو لها بأن تكون رحمة الله لها بمنزلة الحنوط للميت.

(٦) ابن وكيع: شاعر مجيد، أصله من بغداد، ولد في تيسر بمصر وتوفي بها سنة ٣٩٣هـ وله ديوان شعر.

أن تكون صادقة ذات قيمة وقوة يظهر فيها أثر الابتكار وسلامة النظر ودقة الذوق في تنسيق المعاني وحسن ترتيبها، فإذا تم له ذلك عمدَ إلى الألفاظ الواضحة المؤثرة الملائمة، فألف بينها تأليفاً يكسبها جمالاً وقوة، فالبلاغة ليست في اللفظ وحده، وليست في المعنى وحده، ولكنها أثر لازم لسلامة تأليف هذين وحسن انسجامهما.



بعد هذا يحسن بك أن تعرف شيئاً عن الأسلوب الذي هو المعنى المصوغ في ألفاظ مؤلفة على صورة تكون أقرب لتثيل الغرض المقصود من الكلام وأفضل في نفوس سامعيه، وأنواع الأساليب ثلاثة:

١ - الأسلوب العلمي: وهو أهدأ الأساليب، وأكثرها احتياجاً إلى المنطق السليم والفكر المستقيم، وأبعدها عن الخيال الشعري، لأنه يخاطب العقل، ويناجي الفكر ويشرح الحقائق العلمية التي لا تخلو من غموض وخفاء، وأظهر ميزات هذا الأسلوب الوضوح. ولا بد أن يبدو فيه أثر القوة والجمال، وقوته في سطوع بيانه ورسالة خججه، وجماله في سهولة عباراته، وسلامة الذوق في اختيار كلماته، وحسن تقريره المعنى في الأفهام من أقرب وجوه الكلام.

فيجب أن يُعنى فيه باختيار الألفاظ الواضحة الصريحة في معناها الخالية من الاشتراك، وأن تُؤلف هذه الألفاظ في سهولة وجلاء، حتى تكون ثوباً شفاً للمعنى المقصود، وحتى لا تضج مئاراً للظنون، ومجالاً للتوجيه والتأويل.

ويحسن التنحي عن المجاز ومحسنات البديع في هذا الأسلوب؛ إلا ما يجيء من ذلك عفواً من غير أن يمس أصلاً من أصوله أو ميزة من ميزاته. أما التشبيه الذي يقصد به تقريب الحقائق إلى الأفهام وتوضيحها بذكر مماثلها، فهو في هذا الأسلوب حسن مقبول.

ولسنا في حاجة إلى أن نلقي عليك أمثلة لهذا النوع، فكثرت الدراسة التي بين يديك تجري جميعها على هذا النحو من الأساليب.

٢ - الأسلوب الأدبي: والجمال أبرز صفاته، وأظهر مميزات، ومنشأ جماله ما فيه من خيال رائع، وتصور دقيق، وتلمس لوجوه الشبه البعيدة بين الأشياء، وإلباس المعنوي ثوب المحسوس، وإظهار المحسوس في صورة المعنوي.

فالمتنبي لا يرى الحمى الراجعة كما يراها الأطباء أثراً لجراثيم تدخل الجسم،

فترفع حرارته، وتُسبب رعدة وقشعريرة. حتى إذا فرغت نوبتها تصبب الجسم عرقاً، ولكنه يَصُورُها كما تراها في الآيات الآتية:

وَزَايِرَتِي كَأَنَّ بِهَا خَبَاءً فَلَيْسَ تَزُرُّوْا إِلَّا فِي الظُّلَامِ^(١)
 بَذَلْتُ لَهَا الْمَطَارِفَ وَالْحَشَايَا فَعَافَتْهَا وَبَاتَتْ فِي عِظَامِي^(٢)
 يَضِيقُ الْجِلْدُ عَنْ نَفْسِي وَعَنْهَا فَتُوسِمُهُ بِأَنْوَاعِ السَّقَامِ^(٣)
 كَأَنَّ الصَّبْحَ يَطْرُقُهَا فَتَجْرِي مَذَابِئُهَا بِأَرْبَعَةِ سَجَامِ^(٤)
 أَرَأَيْتَ وَقْتُهَا مِنْ غَيْرِ شَوْقٍ مُرَاقِبَةَ الْمَشُوقِ الْمُسْتَهَامِ^(٥)
 وَيَضْدُقُّ وَعُدَّهَا وَالصَّدْقُ شُرٌّ إِذَا أَلْفَاكَ فِي الْكُرْبِ الْعِظَامِ^(٦)
 أَبْنَتِ الدَّهْرُ عِشْدِي كُلُّ بَنَتْ فَكَيْفَ وَصَلَتْ أَنْتِ مِنَ الرَّحَامِ^(٧)

وَالْعُيُومَ لَا يَرَاهَا ابْنُ الْخِيَاطِ^(٨) كما يراها العالمُ بخاراً مُتَرَاكِماً يَحُولُ إِلَى مَا إِذَا صَادَفَ فِي الْجَوِّ طَبَقَةً بَارِدَةً وَلَكِنَّهُ يَرَاهَا:

كَأَنَّ الْغَيْوَمَ جُيُوشٌ تَسُومُ مِنَ الْعَذْلِ فِي كُلِّ أَرْضٍ صِلَاحاً^(٩)
 إِذَا قَاتَلَ الْمُخَلَّ فِيهَا النَّمَامُ بِصَوْبِ الرِّهَامِ أَجَاذَ الْكَفَاحِ^(١٠)

(١) الواو واو رب أي رب زائرة لي، يريد بهذه الزائرة الحمى وكانت تأتيه ليلاً، يقول: كأنها فناة ذات حياء! فهي تزورني تحت سواد الليل.

(٢) المطارف: جمع مطرف كحكرم وهو رداء من خز، الحشايَا: جمع حشية وهي الفراش المحشو، وعافتها: أبتها. يقول هذه الزائرة أي الحمى لا تبيت في الفراش، وإنما تبيت في العظام.

(٣) يقول: جلدي يضيق عن أن يسع أنفاسي ويسمعها، فهي تذيب جسمي وتوسع جلدي بما تصيبه به من أنواع السقام.

(٤) يقول إنه يراقب وقت زيارتها خوفاً لا شوقاً.

(٥) يريد بوعدها وقت زيارتها، ويقول إنها صادقة الوعد لأنها لا تتخلف عن ميعاتها، وذلك الصديق شر، لأنها تصدق فيما يضر.

(٦) يريد ببنت الدهر الحمى، وبنات الدهر شدائده، يقول للحمى: عندي كل نوع من أنواع الشدائد، فكيف لم يمتك ازدحامهم من الوصول إلي؟

(٧) ابن الخياط: شاعر من أهل دمشق، طاف بالبلاد يمتدح الناس، وعظمت شهرته. وله ديوان شعر مشهور، توفي بدمشق سنة ٥١٧هـ.

(٨) تسوم من العذل في كل أرض صلاحاً، أي تولى كل أرض صلاحاً بالخصب والنماء.

(٩) المحل: الجذب وهو انقطاع المطر ويبس الأرض من الكلا، والصواب: نزول المطر، والرهام: جمع رهمة وهي المطر الضعيف الدائم، والكفاح: القتال والمدافعة.

يُقَرِّطُسُ بِالطَّلِّ فِيهِ السَّهَامُ وَيُسْرِعُ بِالْوَيْلِ فِيهِ الرَّمَاحُ^(١)
 وَسَلَّ عَلَيْهِ سُبُوفَ الْبُرُوقِ فَأَتَحَنَ بِالضَّرْبِ فِيهِ الْجِرَاحُ^(٢)
 تَرَى أَلْسُنَ النُّورِ تُشْنِي عَلَيْهِ فَتَعَجَّبُ مِنْهُمْ خُرْساً فِصَاحُ^(٣)

وقد يتظاهر الأديب بإنكار أسباب حقائق العلم، ويتلمس لها من خياله أسباباً
 تثبت دعواه الأدبية وتُعَوِّي الغرض الذي يَنشُدُّه، فَكَلَّفَ البدر الذي يظهر في وجهه
 ليس ناشئاً عما فيه من جبال وقيعان جافة كما يقول العلماء، لأنَّ الْمُعَرِّي^(٤) يرى
 لذلك سبباً آخر فيقول في الرثاء:

وما كَلَّفَهُ الْبَدْرُ الْمُخِيرَ قَدِيمَةً ولكنها في وجهه أُنْثَرُ اللَّطَمِ^(٥)

ولا بد في هذا الأسلوب من الوضوح والقوة؛ فقول المتنبي:

قَفِي تَغْرَمُ الْأُولَى مِنَ اللَّحْظِ مُهْجَتِي بِشَانِيَةِ وَالْمَثْلِفِ الشَّيْءِ غَارُمُهُ^(٦)

غير بليغ؛ لأنه يريد أنه نظر إليها نظرة تلفت مهجته، فيقول لها قَفِي لأنظرك
 نظرة أخرى ترد إليَّ مهجتي وتُحْيِيها، فإن فعلتْ كانت النظرة غُرْماً لِمَا أَتْلَفْتَهُ النظرة
 الأولى.

فانظر كيف عانينا طويلاً في شرح هذا الكلام الموجز الذي سبَّب ما فيه من
 حذف وسوء تأليف شديدة خفائه ويُعْذَرُ عن الأذهان، مع أن معناه جميل بديع، وفكرته
 مُؤَيَّدَةٌ بالدليل.

وإذا أردت أن تعرف كيف تَظْهَرُ الْقُوَّةُ في هذا الأسلوب، فاقرا قول المتنبي في
 الرثاء:

(١) القرطاس: الغرض أو الهدف، ويقال قرطس الرامي إذا أصاب القرطاس أي الغرض، فهو
 يقول: إن الغمام يسدد السهام إلى المحل فيقضي عليه، ومعنى يشرع الرماح يسدها، والويل:
 المطر الشديد الضخم القطر.

(٢) أتحن بالضرب فيه الجراح: بالغ الجراحة فيه.

(٣) النور: الزهر.

(٤) المعري: هو أبو العلاء المعري اللغوي الفيلسوف الشاعر المشهور، ولد بالمعرة وهي بلد
 صغير بالشام، وعمي من الجدري وهو في الرابعة من عمره، وتوفي بالمعرة سنة ٤٤٩هـ.

(٥) الكلفة: حمرة كدرة تملو الوجه.

(٦) غرم ما أتلفه: لزمه أدائه، وتغرم جواب قفي وفاعله الأول، ومن اللحظ بيان للأول، ومهجتي
 مفعول تغرم.

مَا كُنْتُ أَمْلُ قَبْلَ نَعَشِكَ أَنْ أَرَى رَضْوَى عَلَى أَيْدِي الرِّجَالِ يَسِيرُ^(١)
ثم اقرأ قول ابن المعتز^(٢):

قَدْ ذَهَبَ النَّاسُ وَمَاتَ الْكِمَالُ وَصَاحَ صَرْفُ الذَّهْرِ أَيْنَ الرِّجَالِ؟
هَذَا أَبُو الْمُبَاسِ فِي نَعَشِهِ قَوْمُوا انْظُرُوا كَيْفَ تَسِيرُ الْجِبَالُ
تجد أن الأسلوب الأول هاديء مطمئن، وأن الثاني شديد الجرأة عظيم القوة
وربما كانت نهاية قوته في قوله: «وصاح صَرْفُ الدهر أين الرجال» ثم في قوله:
«قوموا انظروا كيف تسير الجبال».

وجملة القول إن هذا الأسلوب يجب أن يكون جميلاً رائعاً بديع الخيال، ثم
واضحاً قوياً. ويظن الناشئون في صناعة الأدب أنه كلما كثر المجاز، وكثرت
التشبيهات والأخيلة في هذا الأسلوب زاد حسنه، وهذا خطأ بَيِّن، فإنه لا يذهب
بجمال هذا الأسلوب أكثر من التكلف، ولا يُفِيدُهُ شَرٌّ من تَعَمُّدِ الصناعة، وتعتقد أنه
لا يُعْجِبُك قول الشاعر:

فَأَمْطَرْتَ لَوْلَا مِنْ نَرْجِسٍ وَسَقَتْ وَزْدَا وَعَضَّتْ عَلَى الْعُثَابِ بِالْبَرْدِ^(٣)
هذا ومن السهل عليك أن تعرف أن الشعر والنثر الفني هما مَوْطِنَا هذا الأسلوب
ففيهما يزدهر وفيهما يبلغ قُتَّةُ الفن والجمال.

٣ - الأسلوب الخطابي: هنا تَبَيَّرُ قوة المعاني والألفاظ، وقوة الحجة والبرهان،
وقوة العقل الخصيب، وهنا يتحدث الخطيب إلى إرادة سامعيه لإثارة عزائمهم
واستنهاض هممهم، ولجمال هذا الأسلوب ووضوحه شأن كبير في تأثيره ووصوله إلى
قرارة النفوس، ومما يزيد في تأثير هذا الأسلوب منزلة الخطيب في نفوس سامعيه
وقوة عارضته، وسلطوع حجته، وثبرات صوته، وحسن إلقائه، ومُخْتَكَمُ إشارته.

ومن أظهر مميزات هذا الأسلوب التكرار، واستعمال المترادفات، وضرب
الأمثال، واختيار الكلمات الجزلة ذات الرنين، ويحسن فيه أن تتعاقب ضروب التعبير
من إخبار إلى استفهام إلى تعجب إلى استنكار، وأن تكون مواطن الوقف فيه قوية

(١) رضوى: اسم جبل بالمدينة، شبه المرثي به لعظته وفخامة قدره.

(٢) ابن المعتز: هو عبد الله بن المعتز العباسي، أحد الخلفاء العباسيين، منزله في الشعر والنثر
رفيعة ويشتهر بتشبيهاته الرائعة، وهو أول من كتب في البديع، توفي سنة ٢٩٦هـ.

(٣) العناب: ثمر أحمر تشبهه الأنامل، والبرد، حب الغمام وتشبه به الأستان.

شافية للنفس. ومن خير الأمثلة لهذا الأسلوب خطبة علي بن أبي طالب^(١) رضي الله عنه لما أغار سُفْيَانُ بْنُ عَوْفٍ الْأَسَدِيَّ^(٢) على الأنبار^(٣) وقتل عامله عليها:

«هذا أخو غامدٍ قد بلغتْ خيله الأنبار وقتلَ حَسَنَ الْبَكْرِيِّ^(٤) وأزال خَيْلَكُمْ عَنْ مَسَالِحِهَا^(٥) وَقَتَلَ مِنْكُمْ رَجُلًا صَالِحِينَ.

«وقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ وَالْأُخْرَى الْمَعَاهِدَةِ^(٦)، فَيَنْزِعُ جِجْلَهَا^(٧)، وَقُلْبَهَا^(٨)، وَرِعَائَهَا^(٩)، ثُمَّ انْصَرَفُوا وَافْرِينَ^(١٠) مَا نَالَ رَجُلًا مِنْهُمْ كَلِمَ^(١١)، وَلَا أَرِيقَ لَهُمْ دَمَ، فَلَوْ أَنَّ رَجُلًا مُسْلِمًا مَاتَ مِنْ بَعْدِ هَذَا أَسَفًا، مَا كَانَ بِهِ مُلُومًا، بَلْ كَانَ عَيْدِي جَدِيرًا.

«فَوَاعَجِبًا مِنْ جِدِّ هَؤُلَاءِ فِي بَاطِلِهِمْ، وَفَسْلِكُكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ. فَقُبْحًا لَكُمْ جِئْتُمْ صِرْثُكُمْ غَرْضًا يُزْمَى^(١٢)، يُغَارُ عَلَيْكُمْ وَلَا تُغَيَّرُونَ، وَتُغَزَّوْنَ وَلَا تَغْزُونَ، وَيُعْصَى اللَّهُ وَتَرْضَوْنَ^(١٣).

فانظر كيف تدرج ابن أبي طالب في إثارة شعور سامعيه حتى وصل إلى القمة

-
- (١) علي بن أبي طالب: هو رابع الخلفاء الراشدين، وأحد السابقين إلى الإسلام، وابن عم رسول الله ﷺ وصهره وقد اشتهر ببلاغته وشجاعته، توفي سنة ٤٠ هـ.
 - (٢) سُفْيَانُ بْنُ عَوْفٍ الْأَسَدِيَّ: هو أحد بني غامد، وهي قبيلة باليمن، وقد بعث معاوية لشن الغارة على أطراف العراق.
 - (٣) الأنبار: بلدة على الشاطئ الشرقي للفرات.
 - (٤) حسان البكري: هو عامل علي رضي الله عنه على الأنبار.
 - (٥) المسالِح جمع مسلحة بالفتح: وهي الثغر حيث يخشى طروق العدو.
 - (٦) المعاهدة: الذمية.
 - (٧) الجِجل: الخلخال.
 - (٨) القلب بالضم: السوار.
 - (٩) الرعاث: جمع رعة، القرط.
 - (١٠) وافرين: تامين على كثرتهم لم ينقص عددهم.
 - (١١) الكلم بالفتح: الجرح.
 - (١٢) الغرض: ما ينصب ليرمي بالسهم ونحوها.
 - (١٣) يشير بالمعصيان إلى ما كان يفعله جيش معاوية من السلب والنهب والقتل في المسلمين والمعاهدين، أما رضا أهل العراق بهذا المعصيان فكناية عن تعودهم عن المدافعة، إذ لو غضبوا لهموا إلى القتال.

فلأنه أخبرهم بغزو الأنبار أولاً، ثم بقتل عامله، وأن ذلك لم يكف سفيان بن عوف فأغمد سيفه في نحور كثير من رجالهم وأهلهم.

ثم توجه في الفقرة الثانية إلى مكان الحمية فيهم، ومثار العزيمة والنخوة من نفس كل عربي كريم، ألا وهو المرأة، فإن العرب تبذل أرواحها رخيصة في الذود عنها، والدفاع عن جذرها. فقال: إنهم استباحوا جماها، وانصرفوا آمينين.

وفي الفقرة الثالثة أظهر الدهش والخيرة من تمسك أعدائه بالباطل ومناصرته، وقتل قومه عن الحق وخذلانه. ثم بلغ الغيظ منه مبلغه فغيرهم بالجبن والخور.

هذا مثال من أمثلة الأسلوب الخطابي نكتفي به في هذه المجالة، ونرجو أن نكون قد وفقنا إلى بيان أسرار البلاغة في الكلام وأنواع أساليبه، حتى يكون الطالب خبيراً بأفانين القول، ومواطن استعمالها وشرائط تأديتها، والله الموفق.

علم البيان التشبيه

(١) أركانُه

الأمثلة :

١ - قال المَعْرِي في المَدِيح :

أنت كالشمس في الضياء وإن جا وزت كيوان في علو المكان^(١)
٢ - وقال آخر :

أنت كاللبن في الشجاعة والإفد دام والثيف في قراع الخطوب^(٢)
٣ - وقال آخر :

كأن أخلأك في لطيفها ورقة فيها نسيم الصباغ
٤ - وقال آخر :

كأنما الماء في صفاء وقذ جرى ذائب اللجين^(٣)

البحث :

في البيت الأول عرف الشاعر أن ممدوحه وضيء الوجه مثلالىء الطلعة، فأراد أن يأتي له بمخيل تقوى فيه الصفة، وهي الضياء والإشراق فلم يجد أقوى من الشمس، فضاهاه بها، وبيان المضاهاة أتى بالكاف.

(١) كيوان: زحل، وهو أعلى الكواكب السائرة.

(٢) قراع الخطوب: مصارعة الشدائد والتغلب عليها.

(٣) اللجين: الفضة.

وفي البيت الثاني رأى الشاعر ممدوحه متصفاً بوصفَيْن، هما الشجاعة ومُصارعة الشدائد، فَبَحَثَ له عن تَظْيِيرَيْن في كلٍّ منهما إحدى هاتين الصفتين قوياً، فضاءه بالأسد في الأولى، وبالسيف في الثانية، وبَيَّن هذه المضاهاة بأداة هي الكاف.

وفي البيت الثالث وجد الشاعر أخلاق صديقه دبةً لطيفةً تَرْنَح لها النفس، فَعَمِل على أن يأتي لها بنظير تَتَجَلَّى فيه هذه الصفة وتَقْوَى، فرأى أن نسيم الصباح كذلك فَعَقَدَ المماثلة بينهما، وبَيَّن هذه المماثلة بالحرف «كَأَنَّ».

وفي البيت الرابع عَمِل الشاعر على أن يجِدَ مثيلاً للماء الصافي تَقْوَى فيه صفة الصفاء، فرأى أن القضة الذائبة تَتَجَلَّى فيها هذه الصفة فمائل بينهما، وبَيَّن هذه المماثلة بالحرف «كَأَنَّ».

فَأنت ترى في كل بيت من الأبيات الأربعة أن شيئاً جُعِلَ مَثِيلَ شيءٍ في صفة مشتركة بينهما، وأن الذي دلَّ على هذه المماثلة أداة هي الكاف أو كأن، وهذا ما يُسَمَّى بالتشبيه، وقد رأيت أن لا بدَّ له من أركان أربعة: الشيء الذي يراد تشبيهه ويسمى المشبَّه، والشيء الذي يُشَبَّه به ويسمى المشبِّه به، (وهذان يسميان طرفي التشبيه)؛ والصفة المشتركة بين الطرفين وتسمى وجه الشبه، ويجب أن تكون هذه الصفة في المشبَّه به أقوى وأشَهَرُ منها في المشبِّه كما رأيت في الأمثلة، ثم أداة التشبيه وهي الكاف وكأن ونحوهما^(١).

ولا بد في كل تشبيه من وجود الطرفين، وقد يكون المشبَّه محذوفاً للعلم به ولكنه يُقَدَّرُ في الإعراب، وهذا التقدير بمثابة وجوده كما إذا سُئِلت «كيف علي؟» فقلت: «كالزهرة الذائبة» فإن «كالزهرة» خير لمبتدأ محذوف، والتقدير هو الزهرة الذائبة، وقد يحذف وجه الشبه، وقد تحذف الأداة. كما سَيَبِين لك فيما بعد.

(١) أداة التشبيه إما اسم، نحو شبه ومثل ومماثل وما رادفها، وإما فعل، يشبه ويمائل ويضارع ويحاكي ويشابه، وإما حرف، وهو الكاف وكان.

القواعد

- (١) التَّشْبِيهُ: بَيَانُ أَنَّ شَيْئًا أَوْ أَشْيَاءَ شَارَكَتْ غَيْرَهَا فِي صِفَةٍ أَوْ أَكْثَرَ، بِأَدَاةٍ مِمَّنِ الْكَافُ أَوْ نَحْوَهَا مَلْفُوظَةٌ أَوْ مَلْحُوظَةٌ.
- (٢) أَرْكَانُ التَّشْبِيهِ أَرْبَعَةٌ، هِيَ: الْمُشَبَّهُ، وَالْمُشَبِّهُ بِهِ، وَتُسَمَّيَانِ طَرَفَيِ التَّشْبِيهِ، وَأَدَاةُ التَّشْبِيهِ، وَوَجْهُ الشَّبَهِ، وَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ أَقْوَى وَأَظْهَرَ فِي الْمَشَبِّهِ بِهِ مِنْهُ فِي الْمَشَبِّهِ.

نُموذج

قال المَعْرِي:

رُبَّ لَيْلٍ كَأَنَّهُ الصُّبْحُ فِي الْحُسْنِ نَ وَإِنْ كَانَ أَمْرُودَ الطَّيْلِسان^(١)

* * *

وسَهِيلٌ كَوَجْئَةِ الْحَبِّ فِي اللَّوْنِ نَ وَقَلْبِ الْمُحِبِّ فِي الْخَفْقَانِ^(٢)

المشبه	المشبه به	الأداة	وجه الشبه
الضمير في كأنه العائد على الليل	الصبح	كأن	الحسن
سهيل	وجنة الحب	الكاف	اللون والاحمرار
سهيل	قلب المحب	الكاف «مقدرة»	الخفقان

تعميمات

(١)

يَتَن أَرْكَانُ التَّشْبِيهِ فِيمَا يَأْتِي:

- ١ - أَنْتَ كَالْبَحْرِ فِي السَّمَاحَةِ وَالشَّمْسِ نَ عُلُودًا وَالْبَدْرِ فِي الْإِشْرَاقِ^(٣)
- ٢ - الْعُمْرُ مِثْلُ الضَّيْفِ أَوْ كَالطَّيْفِ لَيْسَ لَهُ إِقَامَةٌ

(١) الطيلسان: كساء واسع يلبسه الخواص من العلماء، وهو من لباس العجم، جمعه طيالس وطيالسة.

(٢) سهيل: كوكب ضوؤه يضرب إلى الحمرة في اهتزاز واضطراب، الحب: الحبيب، والخفقان: الاضطراب.

(٣) السماحة: الجود.

- ٣ - كلام فلان كالشهد في الحلاوة^(١).
- ٤ - الناس كأشنان المشط في الاستواء.
- ٥ - قال أعرابي في رجل: ما رأيت في التوقد نظرة أشبه بلهب النار من نظرتة.
- ٦ - وقال أعرابي في وصف رجل: كأن له علم لا يخالطه جهل، وصدق لا يشوبه كذب، وكان في الجود كأنه الربل عند المحل^(٢).
- ٧ - وقال آخر: جاؤوا على خيل كأن أغناقها في الشهرة أعلام^(٣)، وأذائها في الدقة أطراف أعلام، وفزاسها في الجزاة أسود أجام^(٤).
- ٨ - أقوال الملوك كالسيوف المواضي في القطع والب^(٥) في الأمور.
- ٩ - قلبه كالجمارة قسوة وصلابة.
- ١٠ - جبين فلان كصفحة المرأة صفاء وتلاؤاً.

(٢)

كُون تشبيهات من الأطراف الآتية بحيث تختار مع كل طرف ما يناسبه: العزيمة الصادقة، شجرة لا تثمر، نغم الأوتار، المطر للأرض. الحديث الممتع، السيف القاطع، البخيل، الحياة تدب في الأجسام.

(٣)

كُون تشبيهات بحيث يكون فيها كل مما يأتي مشبهاً:

القطار	الهرم الأكبر	الكتاب	الجصان
المصاييح	الصديق	المعلم	الذمع

(١) الشهد: العسل في شمعته.

(٢) الربل: المطر الشديد، والمحل: القحط والجذب.

(٣) الأعلام: الرايات.

(٤) الأجسام جمع أجمة: وهي الشجر الكثير الملفف.

(٥) البت في الأمور: إنفاذها.

(٤)

إجعل كل واحد مما يأتي مُشَبَّهاً به :
بَخر - أَسَد - أُمُّ رُؤُوم^(١) - نَسِيم عَلي - مِرْآة صَافِيَة - حُلُم لَذِيذ

(٥)

إجعل كل واحد مما يأتي وَجْهَ شَبِّهِ فِي تَشْبِيهِهِ مِنْ إِنْشَائِكَ، وَعَيْنَ طَرَفِي التَّشْبِيهِ:
الْبَيَاض - السَّوَاد - المَرَارَة - الحَلَاوَة - البُطْء - السُّرْعَة - الصَّلَابَة

(٦)

صَف بِإِيجَازِ سَفِينَةٍ فِي بَحْرِ مَائِجٍ، وَضَمَّنْ وَصْفَكَ ثَلَاثَةَ تَشْبِيهَاتٍ.

(٧)

إشرح بِإِيجَازِ قَوْلَ الْمُتَنَبِّي فِي الْمَدِيحِ، وَبَيِّنْ جَمَالَ مَا فِيهِ مِنَ التَّشْبِيهِ:
كَالْبَدْرِ مِنْ حَيْثُ التَّقَتُّ رَأَيْتُهُ يُهْدِي إِلَى عَيْنَيْكَ نُوراً ثَاقِباً^(٢)
كَالْبَحْرِ يَقْذِفُ لِلْقَرِيبِ جَوَاهِرَ جُوداً وَيَبْعَثُ لِلْبَعِيدِ سَحَابِياً
كَالشَّمْسِ فِي تَكْبِيدِ السَّمَاءِ وَضَوْؤُهَا يَغْشَى الْبِلَادَ مَشَارِقاً وَمَغَارِباً

(٢) أقسام التشبيه

الأمثلة :

- ١ - أَنَا كَالْمَاءِ إِذْ رَضِيْتُ صَفَاءً وَإِذَا مَا سَخِطْتُ كُنْتُ لَهِيْباً
- ٢ - سِزْنَا فِي لَيْلِ نَهِيمٍ^(٣) كَأَنَّهُ الْبَحْرُ ظَلاماً وَإِزْهَاباً.
- ٣ - قَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ^(٤) فِي تَأْثِيرِ غِنَاءٍ مُنُونٍ :

(١) الرُّؤُوم: المَطْرُوف.

(٢) الثَّاقِبُ: الْمَضِيءُ.

(٣) الْبَهِيمُ: الْمَظْلَمُ.

(٤) هُوَ الشَّاهِرُ الْمَشْهُورُ صَاحِبُ النِّظْمِ الْعَجِيبِ وَالتَّوْلِيدِ الْغَرِيبِ، كَانَ إِذَا أَنَى بِمَعْنَى لَا يَتْرَكَ حَتَّى يَسْتَرِفِهِ، وَقَدْ تَوَفَّى سَنَةَ ٢٨٣هـ.

فَكَأَنَّ لَذَّةَ صَوْتِهِ وَذَيْبَهَا سِنَّةٌ تَمْشِي فِي مَفَاصِلِ نَعْسٍ^(١)
٤ - وقال ابن المعتز:

وَكَأَنَّ الشَّمْسَ الْمُنِيرَةَ دَيْبَ نَارٍ جَلَّتْهُ حَدَائِدُ الضَّرَابِ^(٢)
٥ - الجواد في السرعة بَرَقَ خَاطِفٌ.

٦ - أَنْتَ نَجْمٌ فِي رَفْعَةٍ وَضِيَاءٍ تَجْتَلِيكَ الْمُيُونُ شَرْقاً وَغَرْباً^(٣)
٧ - وقال المتنبي وَقَدْ اغْتَرَمَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ سَفَرًا:

أَيَّنَ أَرْزَعْتَ أَيُّهَذَا الْهُمَامَ؟ نَحْنُ نَبْتُ الرُّبَا وَأَنْتَ الْغَمَامُ^(٤)
٨ - وقال المرقش:

الشُّرُ مِنْكَ وَالْوُجُوهَ دَنَا نِيرٌ وَأَطْرَافُ الْأَكْفِ عَنَّمِ^(٥)

البحث:

يُشَبِّه الشاعر نفسه في البيت الأول في حال رضاه بالماء الصافي الهادي، وفي حال غضبه بالنار الملتهبة، فهو محبوب مخوف. وفي المثال الثاني شَبَّهَ اللَّيْلُ فِي الظلمة والإرهاب بالبحر. وإذا تأملت التشبيهين في الشطر الأول والمثال الثاني رأيت أداة التشبيه مذكورة بكل منهما، وكل تشبيه تذكر فيه الأداة يسمى مرسلًا. وإذا نظرت إلى التشبيهين مرة أخرى رأيت أن وجه الشبه بَيِّنٌ وَقُضِلَ فِيهِمَا، وكل تشبيه يذكر فيه وجه الشبه يسمى مفصلًا.

ويصف ابن الرومي في المثال الثالث حُسن صوت مُغْنٍ وَجَمِيلَ إِيقَاعِهِ، حَتَّى كَأَنَّ لَذَّةَ صَوْتِهِ تَسْرِي فِي الْجِسْمِ كَمَا تَسْرِي أَوَائِلُ النَّوْمِ الْخَفِيفِ فِيهِ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ وَجْهَ الشَّيْءِ مَعْتَمِدًا عَلَى أَنَّكَ تَسْتَطِيعُ إِدْرَاكَهُ بِنَفْسِكَ.

الارتياح والتلذذ في الحالين. ويشبه ابن المعتز الشمس عند الشروق ودينار مجلَّو قَريبَ عَهْدِهِ بدار الضرب، ولم يذكر وجه الشبه أيضاً وهو الاصفرار والبريق، ويسمى هذا النوع من التشبيه، وهو الذي لم يذكر فيه وجه الشبه، تشبيهاً مجملًا.

(١) السنة: النعاس.

(٢) جلته: صقلته، والضراب: الذي يطبخ النغود.

(٣) تجتليك: تنظر إليك.

(٤) أزمعت: وطلت عزمك، والربا: الأراضي العالية.

(٥) النش: الرائحة الطيبة، والعنم: شجر له ثمر أحمر يشبه به البنان المخضوب.

وفي المثالين الخامس والسادس شُبّه الجواد بالبرق في السرعة، والممدوح بالنجم في الرفعة والضياء من غير أن تذكر أداة التشبيه في كلا التشبيهين، وذلك لتأكيد الادعاء بأن المشبّه عينُ المشبّه به، وهذا النوعُ يسمى تشبيهاً مؤكداً.

وفي المثال السابع يسأل المتنبي معدّوّه في تظاهر بالذعر والهلع قائلاً: أين تقصد؟ وكيف ترحل عنا؟ ونحن لا نعيش إلا بك، لأنك كالغمام الذي يحیی الأرض بعد موتها، ونحن كالثبّ الذي لا حياة له بغير الغمام. وفي البيت الأخير يشبه المرقش النشر، وهو طيّب رائحة من يصف، بالمسك، والوجوه بالدنانير، والأنامل المخضوبة بالنعيم، وإذا تأملت هذه التشبيهات رأيت أنها من نوع التشبيه المؤكد، ولكنها جمعت إلى حذف الأداة حذف وجه الشبه. وذلك لأن المتكلم عمد إلى المبالغة والإغراق في ادعاء أن المشبّه هو المشبّه به نفسه. لذلك أهمل الأداة التي تدل على أن المشبّه أضعف في وجه الشبه من المشبّه به. وأهمل ذكر وجه الشبه الذي ينم عن اشتراك الطرفين في صفة أو صفات دون غيرها. ويسمى هذا النوع بالتشبيه البليغ، وهو مظهر من مظاهر البلاغة وميدان فسيح لتسابق المجيدين من الشعراء والكتاب.

القواعد

- (٣) التشبيه المُرسَل ما دُكِرَتْ فِيهِ الْأَدَاةُ.
- (٤) التشبيه المُؤَكَّد ما حُذِفَتْ مِنْهُ الْأَدَاةُ.
- (٥) التشبيه المُجْمَل ما حُذِفَ مِنْهُ وَجْهُ الشَّيْءِ.
- (٦) التشبيه المُفَصَّل ما دُكِرَ فِيهِ وَجْهُ الشَّيْءِ.
- (٧) التشبيه البليغ ما حُذِفَتْ مِنْهُ الْأَدَاةُ وَوَجْهُ الشَّيْءِ^(١).

نموذج

١ - قال المتنبي في مدح كافور:

إِذَا نِلْتَ مِنْكَ الْوُدَّ فَالْمَالُ هَيِّنٌ وَكُلُّ الَّذِي قَوْقُ التَّرَابِ تَرَابٌ

(١) من التشبيه البليغ المصدر المضاف المبين للنوع نحو راغ وغان الثعلب، ومنه أيضاً إضافة المشبّه به للمشبّه نحو: ليس فلان ثوب العافية. ولاستيفاء صور التشبيه الذي لم تذكر فيه الأداة انظر هامش صفحة ٤٦.

٢ - وصف أعرابي رجلاً فقال :

كأنه النهار الزاهر والقمر الباهر الذي لا يخفى على كل ناظر .

٣ - زرنا حديقةً كأنها الفردوس في الجمال والبهاء .

٤ - العالم سراج أمته في الهداية وتبديد الظلام .

الإجابة

المشبه	المشبه به	نوع التشبيه	السبب
١ - كل الذي فوق التراب	تراب	بليغ	حذفت الأداة ووجه الشبه
٢ - مدلول الضمير في كأنه	النهار الزاهر	مرسل مجمل	ذكرت الأداة ولم يذكر وجه الشبه
٢ - مدلول الضمير في كأنه	القمر الباهر	مرسل مجمل	ذكرت الأداة ولم يذكر وجه الشبه
٣ - الضمير في كأنه العائد على الحديقة	الفردوس	مرسل مفصل	ذكرت الأداة ووجه الشبه
٤ - العالم	سراج	موكد مفصل	حذفت الأداة وذكر وجه الشبه

تمرينات

(١)

يُبين كل نوع من أنواع التشبيه فيما يأتي :

١ - قال المتنبي :

إِنَّ السُّيُوفَ مَعَ الَّذِينَ قُلُوبُهُمْ كَقُلُوبِهِمْ إِذَا التَّقَى الْجُنُحُمان^(١)

تَلَقَّى الْحَسَّامَ عَلَى جِرَاءَةِ حَدِّهِ يَثُلُ الْجَبَانُ بِكَفِّ كُلِّ جَبَانٍ^(٢)

٢ - وقال في المديح :

(١) المعنى أن السيوف لا تفيد إذا التقى الجيشان إلا إذا جردها شجعان لهم قلوب قوية صلبة كصلابة السيوف .

(٢) إن السيف القاطع يصير كالجبان إذا استعمله الجبان .

فَعَلْتُ بِنَا فَعَلَ السَّمَاءُ بِأَرْضِهِ خَلَعَ الأميرَ وَحَقَّهُ لَمْ نَقْضِهِ^(١)
٣ - وقال:

وَلَا كُتِبَ إِلَّا الْمَشْرِفِيَّةُ عِنْدَهُ وَلَا رُسُلٌ لَا الْخَيْبِيسُ الْعَرْمَرِمُ^(٢)
٤ - وقال:

إِذَا الدَّوْلَةُ اسْتَكْفَتْ بِوَ فِي مُلَمَّةٍ كَفَاهَا فَكَانَ السَّيْفُ وَالْكَفُّ وَالْقَلْبُ^(٣)
٥ - وقال صاحب كليله ودمنة:

الرَّجُلُ ذُو الْعُرْوَةِ يُكْرَمُ عَلَى غَيْرِ مَالٍ كَالْأَسَدِ يُهَابُ وَإِنْ كَانَ رَابِضًا^(٤).

٦ - لَكَ سَبْرَةٌ كَصَحْبِيَّةٍ الْ أَبْرَارِ طَاهِرَةٌ نَفِيَّةٌ^(٥)
٧ - الْمَالُ سَيْفٌ نَفْعًا وَضَرًا.

٨ - قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْتَكَتُ فِي الْبَحْرِ لَا لَكُمْ﴾^(٦).

٩ - وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَقَرَّ الْقَوْمِ فِيهَا مَرْحَى كَأَنَّهُمْ أَجْنَارٌ تَغْلِي خَاوِيًا﴾^(٧).

١٠ - وَقَالَ الْبُخْتَرِيُّ فِي الْمَدِيحِ:

ذَهَبَتْ جِذَّةُ الشُّنَاءِ وَوَفَا نَا شَبِيهَا بِكَ الرَّبِيعُ الْجَدِيدُ
وَدَنَا الْعَبِيدُ وَهُوَ لِلنَّاسِ حَتَّى يَنْقَضَى وَأَنْتَ لِلْعَبِيدِ عِيدُ

١١ - قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ^(٨) أَضَلُّهَا
فَأَيْتُ وَفَرَعَهَا فِي الْأَنْكَلَةِ^(٩) تَوَقَّ أَكْلَهَا كُلَّ يَوْمٍ^(١٠) بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَعْتَرِيبُ اللَّهُ

(١) زانتا خلع الأمير بوشيهها ونضارتها كما زينت السماء أرضه بالنبات ولم نقض حق الثناء عليه.

(٢) المشرفة: السيوف، والخميس: الجيش، والعرمم: الكثير، أي أن سيف الدولة إذا بعث إلى أعدائه يدعوهم إلى الطاعة جعل كتبه إليهم السيوف، والرسل الحاملة لهذه الكتب الجيوش.

(٣) استكفت: استعانت، والملمة: النازلة من نوازل الدهر، أي إذا استعانت الدولة به كان سيفاً لها على أعدائها، وكفاً تضرب بها بذلك السيوف، وقلبا تجتري به على اقتحام الأمور.

(٤) رابضاً: مقيماً وساكناً.

(٥) أي أن ذكرك بين الناس ليس به ما يشين، فهو كصحيفة الطاهرين الأنقياء لم يدون بها إلا حسنات.

(٦) الجواري: السفن، والأعلام: الجبال.

(٧) أي كأنهم جذور نخل خالية الجوف.

(٨) الشجرة الطيبة: كل شجرة مثمرة طيبة الثمار كالنخلة وشجرة التين.

(٩) توتى أكلها كل حين: أي تثمر دائماً في مواعيد إثمارها.

الْأَشْأَلُ لِلثَّائِنِ لَمَلَهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ (١)
مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ (٢).

١٢ - وقال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِثْقَا ذَرَّةٍ فِي يَمٍّ يُصْلِحُ الْبَصَاحَ فِي
رُجُلِهِ الزُّجَاجَةَ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ (١) يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ تُبْرَكُ زَيْتُونُ لَا شَرْقِيَّةٌ وَلَا
غَرْبِيَّةٌ (٥) يَكَادُ زَيْتُهَا يُوقَدُ وَلَوْ لَدَ تَنْسَهُ نَارُ اللَّهِ عَلَى نُورٍ (٦) يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ
يَشَاءُ وَاصْبِرْ إِنَّهُ الْأَمَثَلُ لِلثَّائِنِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

١٣ - القلوب كالطير في الألفة إذا أيست.

١٤ - مدح أعرابي رجلاً فقال:

له هِزْةٌ كهزَّةِ السيفِ إذا طَرِبَ، وَجُرْأَةٌ كجُرْأَةِ اللَّيْثِ إِذَا غَضِبَ (٧).

١٥ - ووصف أعرابي أخاً له فقال:

كَانَ أَخِي شَجْراً لَا يَخْلَفُ ثَمَرُهُ، وَبِعِراً لَا يُخَافُ كَدْرُهُ.

١٦ - وقال البخترى:

فُصُورٌ كَالْكُؤُوبِ لَا يَمِيعَاتُ يَكْدُنُ يُضِئْنَ لِلشَّارِي الظَّلَامَا

١٧ - رأي الحازم ميزان في الدقة.

١٨ - وقال ابن التعاويذي (٨):

(١) اجثت: قطعت.

(٢) القرار: الاستقرار والثبت.

(٣) المشكاة: فتحة في الحائط غير نافذة، والمراد الأنبوبة التي تجعل فيها الفتيلة ثم توضع في القنديل.

(٤) دري: منسوب إلى الدر لقرط غياله وصفاته.

(٥) لا شرقية ولا غربية: أي لا يتمكن منها حر ولا برد.

(٦) يريد أن النور الذي شبه به الحق نور متضاعف قد تناصر فيه المشكاة والزجاج والمصباح والزيت حتى لم يبق بقية مما يقوي النور.

(٧) الهزة: النشاط والارتياح.

(٨) هو الشاعر الأديب سبط بن التعاويذي، جمع شعره بين جزالة الألفاظ وعلو بيتها، ورقة المعاني ودقتها، وله ديوان شعر جمعه بنفسه، وتوفي ببغداد سنة ٥٨٤هـ، وعمي قبل موته بخمس سنين.

إِذَا مَا الرِّعْدُ رُمِجَ خِلْتُ أَشَدَّ غَضَاباً فِي السَّحَابِ لَهَا زَيْرٌ^(١)

١٩ - وقال السري الرفاء^(٢) في وصف شمعة:

مَفْتُولَةٌ مَجْدُولَةٌ تَخْكِي لَنَا قَدْ الْأَسْلَ^(٣)
كَأَنَّهَا غُمِرَ الْفَتَى وَالنَّارُ فِيهَا كَالْأَجَلِ

٢٠ - وقال أعرابي في الدم:

لَقَدْ صُئِرَ فَلَانًا فِي عَيْنِي عِظَمُ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ، وَكَأَنَّ السَّائِلَ إِذَا أَنَا مَلِكُ الْمَوْتِ
إِذَا لَاقَاهُ.

٢١ - وقال أعرابي لأمير: اجْعَلْنِي زِمَامًا مِنْ أَرْمِثِكَ الَّتِي تَجُرُّ بِهَا الْأَعْدَاءُ^(٤).

٢٢ - وقال الشاعر:

كَمْ وَجُوهٍ مِثْلَ الثُّهَارِ ضِيَاءٌ لِنُفُوسٍ كَاللَّيْلِ فِي الْإِظْلَامِ

٢٣ - وقال آخر:

أَشْبَهْتُ أَغْدَائِي فَصِرْتُ أَجْبُهُمْ إِذْ كَانَ حَظِّي مِنْكَ حَظِّي مِنْهُمْ

٢٤ - وقال البحري في المديح:

كَالسَيْفِ فِي إِخْذَائِهِ وَالْقَيْثِ فِي إِزْهَامِهِ وَاللَّيْثِ فِي إِقْدَامِهِ^(٥)

٢٥ - وقال المتنبي في وصف شعره:

إِنَّ هَذَا الشُّعْرَ فِي الشُّعْرِ مَلَكٌ سَارَ قَهْوُ الشَّمْسِ وَالذُّنْبَا فَلَكَ^(٦)

٢٦ - وقال في المديح:

فَلَوْ خُلِقَ النَّاسُ مِنْ دَهْرِهِمْ لَكَاثُوا الظُّلَامَ وَكُنْتُ النَّهَارَا

(١) زمجر: رعد.

(٢) السري الرفاء: كان في صباه يرفو ويطرز بدكان بالموصل، وكان مع ذلك يهتم بالأدب وينظم الشعر، ولم يزل كذلك حتى جاد شعره، وكان عذب الألفاظ كثير الافتتان في التشبيه والوصف، ومات ببغداد سنة ٣٦٠هـ.

(٣) مفتولة مجدولة: أي محكمة، والقدر: اللقمة، الأسل: الرماح.

(٤) الزمام: حبل تقاد به الدابة.

(٥) الإخْذَام: القطع، والإرْهَام: دوام سقوط المطر.

(٦) الملك: واحد الملائكة، والفلك: مدار الشمس، أي أن شعري أعلى من سائر الشعر.

٢٧ - وقال في مدح كافور:

وَأَنْضَى سِلَاحَ قُلْدِ الْمَرْءِ نَفْسَهُ رَجَاءُ أَبِي الْمِنْكِ الْكَرِيمِ وَقَصْدُهُ

٢٨ - فلان كالمثدنة في استقامة الظاهر واعوجاج الباطن.

٢٩ - وقال السري الرفاء:

بِرْكَ تَحَلَّتْ بِالْكَوَاكِبِ أَرْضُهَا فَازْتَدَّ وَجْهُ الْأَرْضِ وَغَرَّ سَمَاءُ^(١)

٣٠ - وقال البخترى:

بُنْتُ بِالْفَضْلِ وَالْعُلُوِّ فَأَصْبَحَ سَمَاءُ وَأَصْبَحَ النَّاسُ أَرْضًا^(٢)

٣١ - وقال في روضة:

وَلَوْ لَمْ يَسْتَهْلِكْ لَهَا عَمَامٌ بِرَيْقِهِ لَكُنْتُ لَهَا عَمَامًا^(٣)

٣٢ - الدنيا كالمنجل استواؤها في اعوجاجها^(٤).

٣٣ - الجنية من الأنام، كالجنية من الطعام^(٥).

٣٤ - وقال المعري:

فَكَأَنِّي مَا قُلْتُ وَاللَّيْلُ طِفْلٌ وَشَبَابُ الظُّلُمَاءِ فِي عُنُقُونِ^(٦)

لَيْلِي هَذِهِ عَرُوسٌ مِنَ الرُّزْ ج عَلَيْهَا قَلَانَدٌ مِنْ جُمَانِ^(٧)

هَرَبَ السُّوْمُ عَنْ جُفُونِي فِيهَا هَرَبَ الْأَمْنُ عَنْ فَوَادِ الْجَبَانِ

٣٥ - وقال ابن التعاويذي:

(١) أي أن خيال الكواكب ظهر فوق الماء الذي يغطي هذه البرك.

(٢) أي بعدت بفضلك وعلو منزلتك عن أن تشبه الناس.

(٣) استهل الغمام: انصب مطره بشدة وصوت، والريق من كل شيء أوله، والمعنى: لو لم ينزل المطر بهذه الأرض لقمتم مقام الغمام في إحيائها.

(٤) المنجل: آلة من الحديد موعة يقطع بها الزرع.

(٥) الحمية: الوقاية والابتعاد.

(٦) يقصد بطفولة الليل أوله، وعنفو الشباب وعنفوانه أوله.

(٧) الزنج وتكرس الزاي: جبل من السودان واحدهم زنجي، والجمان: حب من الفضة كاللؤلؤ.

رَكِبُوا الدِّبَاجِيَّ وَالسَّرُوحَ أَهْلَةً وَهُمْ بُدُورٌ وَالْأَيْسَةُ أَنْجُمٌ^(١)

٣٦ - وقال ابن وكيع:

سُلَّ سَيْفُ الْفَجْرِ مِنْ غَمْدِ الدُّجَى وَتَعَرَّى اللَّيْلُ مِنْ ثَوْبِ الْفَلَسِ^(٢)

(٢)

اجعل كل تشبيه من التشبيهين الآتين مفصلاً مؤكداً ثم بليغاً:

وَكَأَنَّ إِيْمَاضَ السَّيُوفِ بَوَارِقٌ وَعَجَاجُ خَيْلِهِمْ سَحَابٌ مُظْلِمٌ^(٣)

(٣)

اجعل كل تشبيه من التشبيهين الآتين مرسلًا مفصلاً ثم مرسلًا مجملًا:

أَنَا نَارٌ فِي مُرْتَقَى نَظَرِ الْحَا بِيَدِ مَاءٍ جَارٍ مَعَ الْإِخْوَانِ^(٤)

(٤)

اجعل التشبيه الآتي مؤكداً مفصلاً ثم بليغاً، وهو في وصف رجلين اتفقا على

الوشاية بين الناس:

كُنْتُ قُنِي مَقْصَ تَجْمُغْتَمَا عَلَى غَيْرِ شَيْءٍ سِوَى التَّفْرِقَةِ^(٥)

(٥)

كُون تشبيهات مرسلّة بحيث يكون كل مما يأتي مشبهًا.

الماء - القلاع^(٦) - الأزهار - الهلال - السيارة - الكريم - الرعد - المطر .

(١) ركبوا الدباجي: أي ركبوا الخيل السود، والأسنة: أطراف الرماح.

(٢) الدجى: ظلام الليل، والفلس: ظلام آخر الليل.

(٣) الإيماض: اللمعان، والبوارق: جمع بارق وهو البرق، والعجاج: الفيار.

(٤) المرتقى: موضع الارتقاء، وفي ذلك إشارة إلى رفعة المحسود وضعة الحاسد.

(٥) الشق بكسر الشين: الجانب، وقد يطلق على النصف من كل شيء.

(٦) جمع قلعة وهي الحصن.

(٦)

كُونُ تشبيهات مؤكدة بحيث يكون فيها كلُّ مما يأتي مشبهاً به:
 نسيم ماء زلال جنة الخلد بُرْجُ بَابِلَ
 دُرُّ زهرة ناضرة نار مُوقَدة البدر المتألق

(٧)

كُونُ تشبيهات بليغةً يكون فيها كلُّ مما يأتي مشبهاً:
 اللسان - المال - الشرف - الأبناء - الملامي - الذليل - الحسد - التعليم.

(٨)

أشرح قول ابن التعاويذي بإيجاز في وصف بطيخة، وبين أنواع التشبيه فيه:
 خُلُوهُ الرقيق حَلَالٌ دُمُهَا فِي كُلِّ بِلَّةٍ
 نِصْفُهَا بِدُرٍّ وَإِنْ قُسَّ مَتْنُهَا صَارَتْ أَهْلَةً

(٩)

وازن بين قَوْلِي أَبِي الفتح كُشَاجِمٌ^(١) في وصف روضتين ثم بين نوع كل تشبيه بهما:

وَرَوْضٌ عَنْ صَنِيعِ الْغَيْبِ رَاضٍ كَمَا رَضِيَ الصُّدِيقُ عَنِ الصُّدِيقِ
 يُعِيرُ الرِّيحَ بِالتُّفَحَاتِ رِيحاً كَأَنَّ ثَرَاهُ مِنْ يَشْكُ قَئِينٌ^(٢)
 كَأَنَّ الطَّلَّ مُتَشَبِّهاً عَلَيْهِ بَقَايَا الدُّمْعِ فِي الْخُدِّ الْمَشُوقِ

* * *

غَيْبٌ أَتَانَا مُؤِذِنًا بِالْخَفْضِ مُتَّصِلُ الْوَيْلِ سَرِيعُ الرُّكُضِ^(٣)

(١) شاعر مفتر مطبوع ومنشئ بارع، كان يعد ربحانة الأدب في زمانه، أقام بمصر مدة فاستطاعها وله تصانيف عدة، وتوفي سنة ٣٣٠هـ.

(٢) الملك الفتيق: ما مزج بغيره لتظهر رائحته.

(٣) الخفض: الدعة وهتاء العيش، والركض: الجري.

فالأَرْضُ تُجَلَّى بِالثِّبَاتِ الْغَضِّ فِي حَلِيبِهَا الْمُحَمَّرُ وَالْمُبْيَضُ^(١)
وَأُحْوَانُ كَاللَّجَيْنِ الْمُحَضِّ وَنَزْجِسُ زَاكِيِ السُّبِيمِ بَضُّ^(٢)
بِمَثَلِ الْعُيُونِ رُنْقَتْ لِلْغَضِّ نَزْرُو فَيَغْشَاها الْكُرَى فَتُغْضِي^(٣)

(١٠)

صف بإيجاز ليلة مُمطرة، وهاب في غصون وصفك تشبيهين مرسلين مجملين،
وآخرين بليغين.

(٣) تشبيه التمثيل

الأمثلة:

١ - قال البُخْرِيُّ:

هُوَ بَخْرُ السَّمَاحِ وَالْجُودِ فَازْدَدَ مِنْهُ قُرْبًا تَزْدَدُ مِنَ الْفَقْرِ بُعْدًا^(١)
٢ - وقال امرؤ القيس:

وَلَيْلَ كَمْوُجِ الْبَحْرِ أَرْخَى سُدُولُهُ عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الْهُمُومِ لِيَبْتَلِيَ^(٢)

* * *

٣ - وقال أبو فراس^(٣):

وَالْمَاءُ يَفْصِلُ بَيْنَ رَوْضِ الْـ رَمَرِ فِي الشُّطَيْنِ فَضْلًا^(٤)

(١) الغض: الناضر الطري، الحلي: ما يتزين به.

(٢) الأحوان: نبت من نبات الربيع طيب الرائحة أبيض الثور في وسطه دائرة صغيرة صفراء، وأوراق زهره مفلجة صغيرة، يشبهون بها الأسنان، واحده أحنوة والجمع أقاحي، والمحض: الخالص، والزاكى: الطاهر النقي، والبيض: الطري الرخص.

(٣) رنقت: أخذت تميل للنعاس، والغمض: الكرى والنوم، والإغشاء: انطباق الجفنين.

(٤) السماح: الجود.

(٥) أرخى: أرسل وأسبل، والسدول: جمع سدل وهو الحجاب والستر، وابتلى: من الابتلاء وهو الاختبار.

(٦) هو أبو فراس الحمداني، كان فريد عصره في الأدب والكرم والشجاعة، وكان شعره جيداً سهلاً قال الشاعر بن عباد: بدى الشعر بملك وختم بملك، يعني امرأ القيس وأبا فراس. وزان المتنبي يشهد له ويخشا، ومات قتيلاً سنة ٣٥٧هـ.

(٧) الشط: جانب النهر.

كَبِساطٍ وَشِي جَرَدَتْ أَيْدِي الْقُيُونِ عَلَيْهِ نَضَلًا^(١)

٤ - وقال المتنبي في سيف الدولة:

يَهْزُ الْجَيْشُ حَوْلَكَ جَانِبِيهِ كَمَا نَفَضَتْ جَنَاحِيهَا الْعُقَابُ^(٢)

٥ - وقال الشَّريُّ الرَّقَّاءُ:

وَكَأَنَّ الْهَلَالَ نُورٌ لُجَيْنِ غَرِقَتْ فِي صَحِيفَةِ زُرْقَاءِ

البحث:

يُشَبِّهُ الْبَحْتَرِي مَدْوَحَهُ بِالْبَحْرِ فِي الْجُودِ وَالسَّمَاحِ، وَيَنْصَحُ لِلنَّاسِ أَنْ يَقْتَرِبُوا مِنْهُ لِيَتَبَعِدُوا مِنَ الْفَقْرِ، وَيُشَبِّهُ امْرَأَ الْقَيْسِ اللَّيْلَ فِي ظَلَامِهِ وَهَوْلِهِ بِمَوْجِ الْبَحْرِ، وَأَنَّ هَذَا اللَّيْلَ أَرَخَى حُجْبَهُ عَلَيْهِ مَصْحُوبَةً بِالْهَمُومِ وَالْأَحْزَانِ لِيَخْتَبِرَ صَبْرَهُ وَقُوَّةَ احْتِمَالِهِ. وَإِذَا تَأَمَّلْتَ وَجْهَ الشَّيْءِ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَذَيْنِ التَّشْبِيهِينِ رَأَيْتَ أَنَّهُ صِفَةٌ أَوْ صِفَاتٌ اشْتَرَكْتَ بَيْنَ شَيْئَيْنِ لَيْسَ غَيْرُ، هِيَ هُنَا اشْتِرَاكُ الْمَدْوُوحِ وَالْبَحْرِ فِي صِفَةِ الْجُودِ، وَاشْتِرَاكُ اللَّيْلِ وَمَوْجِ الْبَحْرِ فِي صِفَتَيْنِ هُمَا الظُّلْمَةُ وَالرُّوعَةُ. وَيُسَمَّى وَجْهَ الشَّيْءِ إِذَا كَانَ كَذَلِكَ مَفْرَدًا، وَكَوْنَهُ مَفْرَدًا لَا يَمْنَعُ مِنْ تَعَدُّدِ الصِّفَاتِ الْمُشْتَرَكَةِ، وَيُسَمَّى التَّشْبِيهِ الَّذِي يَكُونُ وَجْهَ الشَّيْءِ فِيهِ كَذَلِكَ تَشْبِيهًا غَيْرَ تَمَثِيلٍ.

انظر بعد ذلك إلى التشبيهات التالية:

يُشَبِّهُ أَبُو فِرَاسٍ حَالَ مَاءِ الْجَدُولِ، وَهُوَ يَجْرِي بَيْنَ رَوْضَتَيْنِ عَلَى شَاطِئِهِمَا حُلَاهُمَا الزَّهَرُ بِيَدَائِعِ أَلْوَانِهِ مُتَبَيَّنًا بَيْنَ الْخُضْرَةِ النَّاصِرَةِ، بِحَالِ سَيْفٍ لَمَاعٍ لَا يَزَالُ فِي بَرِيقِ جَدَّتِهِ، وَقَدْ جَرَدَتْ الْقُيُونُ عَلَى بَسَاطٍ مِنْ حَرِيرٍ مُطَرَّزٍ. فَأَيُّ وَجْهِ الشَّيْءِ؟ أَتَنْظُرُ أَنَّ الشَّاعِرَ يَرِيدُ أَنْ يَقْعِدَ تَشْبِيهِينِ: الْأَوَّلُ تَشْبِيهِ الْجَدُولِ بِالسَّيْفِ، وَالثَّانِي تَشْبِيهِ الرَّوْضَةِ بِالْبَسَاطِ الْمَوْشَى؟ لَا، إِنَّهُ لَمْ يَرِدْ ذَلِكَ، إِنَّمَا يَرِيدُ أَنْ يُشَبِّهَ صُورَةَ رَأْيَا بِصُورَةِ تَخِيلِهَا، يَرِيدُ أَنْ يُشَبِّهَ حَالَ الْجَدُولِ وَهُوَ بَيْنَ الرِّيَاضِ بِحَالِ السَّيْفِ فَوْقَ الْبَسَاطِ الْمَوْشَى، فَوَجْهَ الشَّيْءِ هُنَا صُورَةُ لَا مَفْرَدٌ، وَهَذِهِ الصُّورَةُ مَأْخُودَةٌ أَوْ مُتَنَزَّعَةٌ مِنْ أَشْيَاءَ عِدَّةٍ، وَالصُّورَةُ الْمُشْتَرَكَةُ بَيْنَ الطَّرْفَيْنِ هِيَ وَجُودُ بَيَاضٍ مُسْتَطِيلٍ حَوْلَهُ اخْضِرَارٌ فِيهِ أَلْوَانٌ مُخْتَلِفَةٌ.

(١) الْوَشْيُ: نَوْعٌ مِنَ الشَّيْءِ الْمَنْقُوشَةِ، وَجَرَدَ السَّيْفُ: سَلَهُ، وَالْقُيُونُ: جَمْعُ قَيْنٍ وَهُوَ صَانِعُ الْأَسْلِحَةِ، وَالنَّصْلُ: حَدِيدَةُ السَّيْفِ أَوْ السَّهْمِ أَوْ الرَّمْحِ أَوْ السَّكِينِ.

(٢) الْعُقَابُ: طَائِرٌ كَاسِرٌ مَعْرُوفٌ بِالْعَزِّ وَالْمَنْعَةِ، وَيَضْرِبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي ذَلِكَ فَيَقَالُ: «أَمْنَعُ مِنْ عُقَابِ الْجَوِّ» وَهُوَ خَفِيفُ الْجَنَاحِ سَرِيعُ الطَّيْرِ.

ويشبهه المتنبي صورة جانبي الجيش: مَيِّمَتِهِ وَمَيْسَرَتِهِ، وسيف الدولة بينهما، وما فيهما من حركة واضطراب.. بصورة عَقَابٍ تَنْفُضُ جَنَاحَيْهَا وتحركهما، ووجه الشبه هنا ليس مفرداً ولكنه مُتَنَزِّع من متعدد وهو وجود جانبيين لشيء في حال حركة وتَفْوُّج.

وفي البيت الأخير يشبه السَّريُّ حال الهلال أبيض لماعاً مقوساً وهو في السماء الزرقاء، بحال نون من فضة غارقة في صحيفة زرقاء، فوجه الشبه هنا صورة متنزعة من متعدد، وهو وجود شيء أبيض مقوس في شيء أزرق. فهذه التشبيهات الثلاثة التي مرّت بك والتي رأيت أن وجه الشبه فيها صورة مكونة من أشياء عدّة يسقى كل تشبيه فيها تمثيلاً.

القاعدة

(٨) يُسَمَّى التَّشْبِيهَ تَمَثِيلاً إِذَا كَانَ وَجْهُ الشَّبهِ فِيهِ صُورَةٌ مُتَنَزَّعَةٌ مِنْ مُتَعَدِّدٍ، وَغَيْرِ تَمَثِيلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ وَجْهُ الشَّبهِ كَذَلِكَ.

نَمُودَجٌ

١ - قال ابن المعتز:

قَدْ انْقَضَتْ ذَوْلَةُ الصِّيَامِ وَقَدْ بَشَّرَ سُقْمُ الْهَلَالِ بِالْعَيْدِ
يَسْتَلُو الشَّرِيًّا كَفَاغِرٍ شَرِهِ يَفْتَحُ فَاهُ لَأَكْلِ عُقُودِ^(١)

٢ - وقال المتنبي في الرثاء:

وما الموت إلا سارقٌ دَقَّ شَخْصَهُ يَصُولُ بِلَا كَفٍّ وَيَسْمَى بِلَا رِجْلِ^(٢)

٣ - وقال الشاعر:

وتراه في ظِلِّمِ الْوَعَى فَتَحَالَهُ قَمَرًا يَكْرَهُ عَلَى الرِّجَالِ بِكُوكَبِ

(١) الرثاء: نجوم مجتمعة تشبه العقود، وفقر فاه: فتحه.

(٢) يقول: الموت أشبه بلصص دقيق الشخص خفي الأعضاء يسمى إلينا من غير أن نشعر به، ويسطو من حيث لا ندرى، فلا سبيل لنا إلى الاحتراس منه.

الإجابة

نوع التشبيه من حيث الوجه	الوجه	المشبه به	المشبه
تمثيل	صورة شيء مقوس يتبع شيئاً آخر مكوناً من أجزاء صغيرة بيضاء	صورة شره فاتح فاه لأكل عقود من العنب	١ - صورة الهلال والثريا أمامه
غير تمثيل	الخفاء وعدم الظهور	اللص الخفي الأعضاء	٢ - الموت
تمثيل	ظهور شيء مضيء يلوح بشيء متلألئ في وسط الظلام	صورة قمر يشق ظلمة الفضاء ويتصل به كوكب مضيء	٣ - صورة الممدوح وبيده سيف لامع يشق به ظلام الغبار

تمرينات

(١)

يُبَيِّنُ المَشَبَّهَ والمَشَبَّهَ بِهِ فِيمَا يَأْتِي:

١ - قال ابن المعتز يصف السماء بعد تفتُّح سحابة:

كَأَنَّ سَمَاءَنَا لَمَّا تَجَلَّتْ خِلَالُ نُجُومِهَا عِنْدَ الصَّبَاحِ
رِيَاضٌ بِنَفْسٍ خَضِلٍ نَدَاهُ تَفْتَحُ بَيْنَهُ نَوُزُ الْأَقَاحِي^(١)

٢ - وقال ابن الرومي:

مَا أَتَى لَا أَنْسَ خَبَازاً مَرَزَتْ بِهِ يَذْخُو الرُّقَاقَةُ وَشَكَّ اللَّمَحُ بِالْبَصْرِ^(٢)
مَا بَيْنَ رُؤُوسِهَا فِي كَفِّهِ كُرَّةٌ وَيَسِينُ رُؤُوسُهَا قُورَاءَ كَالْقَمِيرِ^(٣)
إِلَّا بِمَقْدَارِ مَا تُتَدَاخِ دَائِرَةٌ فِي صَفْحَةِ الْمَاءِ تَرْمِي فِيهِ بِالْحَجَرِ^(٤)

٣ - وقال في المشيب:

أَوَّلُ بَدْءِ الْمَشْيَبِ وَاحِدَةٌ تُسْعِلُ مَا جَاوَزَتْ مِنَ الشَّعْرِ

(١) الخضل: الرطب، يقول: بعد أن انقشعت هذه الغمامة صارت السماء بين النجوم المشترة وقت

الفجر كرياض من البنفسج المبجل بالماء تفتحت في أثنائه أزهار الأقاحي.

(٢) يذخو: يسطو، وشك اللوح: أي في سرعة اللوح. واللمح: اختلاس النظر.

(٣) القوراء: المستديرة.

(٤) تداخ: تنبسط وتوسع.

مِثْلُ الْحَرِيقِ الْعَظِيمِ تَبْدُوهُ أَوَّلُ صَوْلِ صَغِيرَةٍ الشَّرَرِ^(١)
٤ - وقال آخر:

تَعْلَدُنِي الْبَالِي وَفِي مُدِيرَةٍ كَأَنِّي صَارِمٌ فِي كَفِّ مُنْهَزِمٍ^(٢)
٥ - وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَلْوٍ أُنْزِلَتْ مِنْ السَّمَاءِ فَخَلَّتْ بِهِ وَتَبَّاتِ الْأَرْضُ يَنَافُ
يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِنْ أَكَلَتِ الْأَرْضُ زُرْعَهَا وَارْتَبَتْ وَقَرَّتْ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِيدُونَ
عَلَيْهَا^(٣) أَتَيْنَاهَا آمْرًا^(٤) لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَمِيمًا^(٥) كَانَ لَمْ تَنْتِ بِالْأَمِينِ^(٦)﴾.

٦ - وقال صاحب كلیلة ودمنة:

يَبْقَى الصَّالِحُ مِنَ الرِّجَالِ صَالِحًا حَتَّىٰ يُصَاحِبَ فَايِدًا فَإِذَا صَاحِبَهُ فَسَدَ، مِثْلَ مِيَاهِ
الْأَنْهَارِ تَكُونُ عَذْبَةً حَتَّىٰ تُخَالِطَ مَاءَ الْبَحْرِ فَإِذَا خَالَطَتْهُ مَلَحَتْ. وقال: مَنْ صَنَعَ مَعْرُوفًا
لِعَاجِلِ الْجَزَاءِ فَهُوَ كَمُلْقِي الْحَبِّ لِلطَّيْرِ لَا لِيَتَّقِعَهَا بَلْ لِيَصِيدَهَا بِهِ.
٧ - وقال البحرى:

وَجَذْتُ نَفْسِكَ مِنْ نَفْسِي بِمَنْزِلَةٍ هِيَ الْمُصَافَاةُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالرَّاحِ^(٧)
٨ - وقال أبو تمام في مُعْنِيَةٍ تُعْنِي بِالْفَارِسِيَّةِ:

وَلَمْ أَتُهُمْ مَعَانِيَهَا وَلَكِنْ وَرَثَ كَبِيدِي فَلَمْ أَجْهَلْ شَجَاهَا^(٨)
فَبِتُّ كَأَنَّنِي أَهْمَىٰ مُعْنَى يَحِبُّ الْغَايِبَاتِ وَلَا يَرَاهَا^(٩)
٩ - وقال في صديق عاق:

إِنِّي وَإِيَّاكَ كَالصَّادِي زَأَى نَهْلًا وَدُونَهُ هُوَةٌ يَخْشَى بِهَا الثَّلَا^(١٠)

(١) الصول: مصدر صال يصول بمعنى وثب وسطا.

(٢) الصارم: السيف القاطع.

(٣) متمكنون من تدميرها.

(٤) أتاها أمرنا: أي أصابها بأفة تهلك زرعها.

(٥) الحصيد: ما يحصد من الزرع، والمراد جعل زرعها يابساً جافاً.

(٦) كان لم تنف بالأمس: أي كان لم يكن بها زرع.

(٧) الراح: الخمر.

(٨) ورت كبدي: ألهمته، والشجا مصدر شجى يشجي أي حزن، والمعنى لم أجعل ما بعثته في نفسي من الحزن.

(٩) المعنى: المتعب الحزين.

(١٠) الصادي: الظمان، والمراد بالنهل هنا مورد الماء، والهوة: ما انهيط من الأرض.

رَأَى بِمَعِينَيْهِ مَاءَ عَزْ مُؤَرَّدَهُ وَلَيْسَ بِفِيكَ ذَوْنِ الْمَاءِ مُنْصَرَفًا

١٠ - وقال الله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُبُلَةٍ ثَمَرَةٌ خَيْرٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

١١ - وقال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَمَبٌ وَلَقَدْ وَرَّيْنَا وَتَفَاوَتْ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثَرُوا فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ^(١) أَجْبَحَ الْكُفَّارَ^(٢) تِبَالُهُ تُمُّ يَهِجُ قَرْيَةً مُصَفَّرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا^(٣) وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ

١٢ - وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ^(١) يَّفِيمَةٍ^(٢) يَحْسَبُهُ الْفَلَاحُنَ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّيْتُهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ^(٣) أَوْ كَطَلْسَنٍ فِي بَحْرٍ لَّيِّنٍ^(٤) يَتَشَنَّى^(٥) مَوْجَ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ صَابًا عَلِمْتُ بِمَا هِيَ قَوْقُ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَهَا وَمَنْ لَّنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَلَمْ يَنُورِ^(٦)﴾.

(٢)

مِز تشبيه التمثيل من غيره فيما يأتي:

١ - قال البوصيري^(١):

وَالنَّفْسُ كَالطُّفْلِ إِنْ تُهْمِلْهُ شَبَّ عَلَى حُبِّ الرِّضَاعِ وَإِنْ تُفْطِمْهُ يَنْفُطِمِ

(١) الغيث: المطر.

(٢) الكفار: الزراع.

(٣) الحطام: الشجر اليابس المفتت. يشبه الله سبحانه وتعالى الحياة الدنيا، وهي حياة اللعب واللهو والزينة والمباهاة بالأحساب والأنساب، يمحط أنبت زرعاً فنما حتى صار بهجة النفس وقرّة العين، ثم أصابته آفة فاصفر ثم صار شجراً يابساً لا ينفع.

(٤) السراب: هو ما يرى في الفلوات والصحاري عند شدة الحر كأنه ماء وليس به.

(٥) البقية: منبسط من الأرض.

(٦) اللحي: العميق.

(٧) يشناه: يغطيه.

(٨) ظلمات بعضها فوق بعض: هي ظلمة السحاب وظلمة الموج وظلمة البحر.

(٩) ومن لم يجعل... إلخ: أي من لم يهده الله فما له من هاد.

(١٠) البوصيري: كاتب شاعر متصوف حسن الديباجة مليح المعاني، وأشهر شعره البردة والهمزية، وقد نظمها في مدح الرسول ﷺ، وتوفي بالإسكندرية سنة ٦٩٦هـ وقرره بها مشهور بزار.

٢ - وقال في وصف الصحابة:

كَأَنَّهُمْ فِي ظُهُورِ الْحَيْلِ نَبْتُ رُبَاً مِنْ شِدَّةِ الْحَزْمِ لَا مِنْ شِدَّةِ الْحَزْمِ^(١)

٣ - وقال المتنبي في وصف الأسد:

يَطْأُ الثَّرَى مُتَرْقِيقاً مِنْ بَيْهِهِ فَكَأَنَّهُ آسٍ يَجُسُّ عَلِيلاً^(٢)

٤ - وقال في وصف بحيرة في وسط رياض:

كَأَنَّهَا فِي نَهَارِهَا قَمَرٌ حَفَّ بِهِ مِنْ جَنَائِهَا ظُلُمٌ^(٣)

٥ - وقال الشاعر:

رُبَّ لَيْلٍ قَطَعْتَهُ كَصُدُودٍ وَفَرَّاقٍ مَا كَانَ فِيهِ وَدَاعٌ

مَوْجِسٍ كَالثَّقِيلِ تَقْدَى بِهِ الْعَيْدُ نُنْ وَتَأْبَى حَبِيبَتُهُ الْأَسْمَاعُ^(٤)

٦ - وقال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْفِتْرِينَ

أَتَّخَذَتْ يَمَنًا وَلَئِنْ أُوْهِيَ الْأَبْيُوتُ لَيَبْتَ الْفِتْرِينَ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾^(٥).

٧ - وقال ابن خفاجة^(٦):

لَيْلُهُ نَهْرٌ سَالٍ فِي بَطْحَاءٍ أَخْلَى وَرُوداً مِنْ لَمَى الْحَسَنَاءِ^(٧)

مُتَعَطِّفٌ مِثْلُ السَّوَارِ كَأَنَّهُ وَالزَّهْرُ يَكْتُفُهُ مَجْرُ سَمَاءِ^(٨)

٨ - وقال أعرابي في وصف امرأة:

يَلِكُ شَمْسٌ بَاهَتْ بِهَا الْأَرْضُ شَمْسَ السَّمَاءِ

٩ - وقال تعالى: ﴿فَمَا لَمْ يَنْتَكِرُوا تَعَرِيّاً﴾^(٩) كَأَنَّهُمْ حُمْرٌ مُتْتَفِرَةٌ^(١٠) فَزَتْ مِنْ

قَسْوَتِهِ^(١١) ﴿٨﴾.

(١) أي أن ثباتهم فوق خيولهم ناشىء من قوة حزمهم وحيبتهم لا من إحكام أحزمة السروج.

(٢) الثرى: الأرض، واليه: الكبرياء، والآسى: الطيب.

(٣) حف به: أحاط، والجنان: جمع جنة وهي البستان.

(٤) تقذى به: تتأذى به.

(٥) شاعر من أهل الأندلس، تعف عن استماعة ملوك الطوائف مع تهافتهم على الأدب وأهلها، توفي سنة ٥٣٣هـ.

(٦) البطحاء: مسيل واسع فيه رمل وحصى، واللمى: سمة في الشفتين.

(٧) مجر السماء والمجرة: نجوم كثيرة لا تدرك بالبصر وإنما ينتشر ضوءها فيرى كأنه طريق يضاء ملتوية.

(٨) القسوة: الأسد والرماة من الصيادين، الواحد قسور.

١٥ - وقال أبو العليّ:

أغار من الرّجاجة وهي تجري على شفة الأمير أبي الحسين^(١)
 كأن بياضها والراح فيها بياض مُحْدِقٍ بسواد عيني^(٢)

١٦ - وقال السريّ الرّفاء:

والشهب نازها فمُنْظَرُها يُغْنِيكَ عَنْ كُلِّ مُنْظَرٍ عَجَبٍ
 إذا اؤْتِمَتْ بِالشُّرَارِ وَأُطْرِدَتْ على ذراها مَطَارِفُ اللَّهَبِ^(٣)
 رأيت ياقوتة مُشْبِكَةً تطير عنها قُرَاضَةُ الذَّمِّ^(٤)
 ١٧ - وقال في وصف دولاب^(٥):

أَنظُرْ إِلَيْهِ كَأَنَّهُ وَكَأَنَّمَا كَيْزَانُهُ وَالْمَاءُ مِنْهَا سَائِبُ
 فَلَكْ يَدُورُ بِأَتَجَمُّ جُعِلَتْ لَهُ كَالْعِقْدِ فَهِيَ سُورِقُ وَغَوَارِبُ

(٣)

إجعل كلّاً مما يأتي مشبهاً في تشبيه تمثيل:

- ١ - جيشٌ منهزم يتبعه جيش ظافر.
- ٢ - الرجل العالم بين من لا يعرفون منزلته.
- ٣ - الحازم يعمل في شبابه لكبره.
- ٤ - السفينة تجري وقد تَرَكَت وراءها أثراً مستطيلاً.
- ٥ - المذنب لا يزيده التّضح إلا تمادياً.
- ٦ - الشمس وقد غطّاها السحاب إلا قليلاً.

(١) الأمير أبو الحسين: هو الحسين بن إسحق التنوخي.

(٢) الراح: الخمر، وأحْدَقَ به: أحاط.

(٣) أطرد الشيء: تبع بعضه بعضاً، والذرا: جمع ذرة وهي أعلى الشيء، والمطارف: جمع بطرف أو مُطَرَف وهو رداء من حرير.

(٤) القُرَاضَةُ: فتات المعدن الذي يسقط منه بالفرض.

(٥) الدولاب: آلة كالناعورة يستقى بها الماء (الساقية).

- ٧ - الماء وقد سطعت فوقه أشعة الشمس وقت الأصيل^(١).
- ٨ - المتردد في الأمور يَجْذِبُهُ رَأْيِي هنا ورأى هناك.
- ٩ - الكلمة الطيبة لا تُثمر في النفوس الخبيثة.
- ١٠ - المريض وقد أحسَّ ديبَ العافية بعد اليأس.

(٤)

إجعل كلاً مما يأتي مشبهاً به في تشبيه تمثيل:

- ١ - الشغلة إذا نُكِسَتْ زادت اشتعلاً.
- ٢ - الشمس تُخْتَجِبُ بالغمام ثم تظهر.
- ٣ - الماء يُسْرِعُ إلى الأماكن المنخفضة ولا يصل إلى المرتفعة.
- ٤ - الجزار يطعم الغنم ليذبحها.
- ٥ - الأزهار البيضاء في مروج خضراء^(٢).
- ٦ - الجدول لا تسمع له خيراً وأثاره ظاهرة في الرياض.
- ٧ - الماء الزلال في فم المريض.
- ٨ - القمر يبدو صغيراً ثم يصير بديراً.
- ٩ - الريح تُمِيلُ الشجيرات اللدنة وتَقْصِفُ الأشجار العالية^(٣).
- ١٠ - الحملُ بين الذئاب^(٤).

(١) الأصيل: من العصر إلى الغروب.

(٢) المروج: جمع مرج وهو مرعى الدواب.

(٣) اللدنة: اللينة، تقصف: تكسر.

(٤) الحمل: الخروف.

(٥)

اجعل كل تشبيهين مما يأتي تشبيه تمثيل:

- | | |
|--|--------------------------------------|
| ١ } الناس كركاب السفينة. | ١ } الأُسنة كالنجوم. |
| ٢ } الحوادث كبحر مضطرب. | ٢ } القَتَامُ ^(١) كالليل. |
| ١ } الشَّيب كالصبح. | ١ } القمر كوجه الحسناء. |
| ٢ } الشعر الفاحم كالليل ^(٢) . | ٢ } البحيرة كالمرأة. |

(٦)

اشرح قول مسلم بن الوليد^(٣) ويُنَّ ما فيه من حُسْن وروعة:

- وإِنِّي وَإِسْمَاعِيلُ يَوْمَ وفَاتِهِ لكَالغَمْدِ يَوْمَ الرُّوْعِ فَارَقَهُ النَّضْلُ^(٤)
فَإِنْ أَغْشَى قَوْمًا بَغْدَهُ أَوْ أَرْزَهُمْ فَكَالْوَحْشِ يُذْنِبُهَا مِنَ الْأَنْسِ الْمَحْلُ^(٥)

(٧)

صف بإيجاز حال قوم اجترَفَ سَيْلَ قَرِيَّتِهِمْ وَأَعْمَلَ عَلَى أَنْ تَأْتِيَ بِتَشْبِيهِ تَمَثِيلٍ فِي وَصْفِكَ.

(٤) التَّشْبِيهِ الضَّمْنِي

الأمثلة:

١ - قال أبو تمام:

لَا تُشَكِّرِي عَطْلَ الْكَرِيمِ مِنَ الْغِنَى فَالسَّيْلُ حَرْبٌ لِلْمَكَانِ الْعَالِي^(٦)

(١) الفاحم: الأسود.

(٢) القَتَام: الغبار.

(٣) كان يلقب بصريع الغواني، وكان شاعراً متصرفاً في شعره، ويقال إنه أول من تعمد البديع في شعره، وهو من شعراء الدولة العباسية، وكانت وفاته سنة ٢٠٨هـ.

(٤) في رواية يوم وداعه، النضل: حديدة السهم والرمح والسيف والسكين.

(٥) الأنس: مصدر أنس ضد توحش، والمحل: الجوع الشديد.

(٦) العطل: الخلو من الحلي.

٢ - وقال ابن الرومي:

قَدْ يَشِيبُ الْفَتَى وَلَيْسَ عَجِيباً أَنْ يُرَى النُّورُ فِي الْقَضِيبِ الرُّطِيبِ

٣ - وقال أبو الطيب:

مَنْ يَهْنُ يَسْهَلُ الْهَوَانُ عَلَيْهِ مَا لِيُجْرَحَ بِمَيِّتٍ إِيلَامِ

البحث:

قد يُنَحْوِ الكاتب أو الشاعر مَثْنَى من البلاغة يوحى فيه بالتشبيه من غير أن يُصْرَحَ به في صورة من صورهِ المعروفة^(١)، يفعل ذلك نُزوعاً إلى الابتكار؛ وإقامةً للدليل على الحكم الذي أسنده إلى المشبه، ورغبةً في إخفاء التشبيه؛ لأن التشبيه كلما دق وخفي كان أبلغ وأفعل في النفس.

أنظر بيت أبي تمام فإنه يقول لَمَنْ يَخاطبُها: لا تستكري خلُو الرجل الكريم من الغنى فإن ذلك ليس عجباً لأن قِمَمَ الجبال وهي أشرف الأماكن وأعلاها لا يستقر فيها ماء السيل. ألم تلمح هنا تشبيهاً؟ ألم تر أنه يشبه ضِمناً الرجل الكريم المحروم الغنى بِقِمَمِ الجبل وقد خلت من ماء السيل؟ ولكنه لم يَضَعْ ذلك صريحاً بل أتى بجملة مستقلة وضمَّنَها هذا المعنى في صورة برهان.

ويقول ابن الرومي: إِنَّ الشَّابَّ قد يشيب ولم تتقدم به السن، وإن ذلك ليس بعجيب فإن الغصن الغض الرطب قد يظهر فيه الزهر الأبيض. فابن الرومي هنا لم يأت بتشبيه صريح فإنه لم يقل: إن الفتى وقد وَخَطَهُ الشَّيب كالغصن الرطيب حين إزهاره، ولكنه أتى بذلك ضمناً.

ويقول أبو الطيب: إِنَّ الذي اعتاد الهوان يسهلُ عليه تحمله ولا يتألم له، وليس هذا الادعاء باطلاً؛ لأن الميت إذا جُرِحَ لا يتألم، وفي ذلك تلميح بالتشبيه في غير صراحة.

(١) صور التشبيه المعروفة هي ما يأتي: ما ذكرت في الأداة نحو الماء كاللجين. أو حذفت والمشبّه به خير نحو الماء لجين وكان الماء لجيناً. أو حال نحو سال الماء لجيناً. أو مصدر مبين للنوع مضاف نحو صفا الماء صفاء اللجين. أو مضاف إلى المشبه نحو سال لجين الماء. أو مفعول به ثان لفعل من أفعال البقين والرجحان نحو علمت الماء لجيناً، أو صفة على التأويل بالمشق نحو سال ماء لجين، أو أضيف المشبه إلى المشبه به بحيث يكون الثاني بياناً للأول نحو ماء اللجين أي ماء هو اللجين. أو بين المشبه بالمشبه به نحو جرى ماء من لجين.

ففي الأبيات الثلاثة تجد أركان التشبيه وتلمعهُ ولكنك لا تجده في صورة من صوره التي عرفتْها، وهذا يسمى بالتشبيه الضمني.

القاعدة

(٩) التشبيه الضمني: تشبيه لا يوضع فيه المُشَبَّه والمُشَبَّه به في صورة من صور التشبيه المعروفة بل يُلَمَّحان في التركيب. وهذا النوع يؤتى به لِيُفِيدَ أَنَّ الْحُكْمَ الَّذِي أُسْنِدَ إِلَى الْمُشَبَّه مُمَكَّنٌ.

نَمُودَج

١ - قال المتنبي:

وأصبح شعري منهما في مكانه وفي عتق الحسناء يستحسن العقد^(١)

٢ - وقال:

كرم تبين في كلامك مائلاً وبين عتق الخيل من أصواتها^(٢)

الإجابة

المشبه	المشبه به	وجه الشبه	نوع التشبيه
١ - حال الشعر يثنى به على الكريم فيزداد الشعر جمالاً لحسن موضعه	حال العقد الثمين يزداد بهاء في عتق الحسناء	زيادة جمال الشيء لجمال موضعه	ضمني
٢ - حال الكلام وأنه ينم عن كرم أصل قائله	حال الصهيل الذي يدل على كرم الفرس	دلالة شيء على شيء	ضمني

(١) أي أصبح شعري في مدح الأمير وأبيه في المكان اللائق به لأنهما أهل الثناء فاستحسن وقعه فيهما كما يستحسن العقد في عتق الحسناء.

(٢) يقول: من سمع كلامك عرف منه كرم أصلك كما يعرف الفرس العتيق الكريم من صهيله.

تمرينات

(١)

يَبْنِ المَثْبُةَ والمَثْبُةَ به ونوع التشبيه فيما يأتي مع ذكر السبب:

١ - قال البحرني:

ضَحُوكُ إِلَى الْأَبْطَالِ وَهُوَ يَرُوعُهُمْ وَلِلسَّيْفِ حَدٌّ حِينَ يَسْطُو وَرُوثُ^(١)

٢ - وقال المتنبي:

وَمِنَ الْخَيْرِ بَطْءُ سَيْفِكَ عَنِّي أَسْرَعُ السُّحْبِ فِي الْمَيْبِرِ الْجَهَامِ^(٢)

٣ - وقال:

لَا يُعْجِبُنِ مَضِيماً حُسْنَ بَزْتِهِ وَهَلْ يَرُوقُ ذَفِيناً جَوْدَةُ الْكَفَنِ^(٣)

٤ - وقال:

وَمَا أَنَا مِنْهُمْ بِالْعَيْشِ فِيهِمْ وَلَكِنْ مَعْدِنِ الذَّهَبِ الرُّغَامِ^(٤)

٥ - وقال أبو فراس:

سَيَذْكُرْنِي قَوْمِي إِذَا جَدَّ جَدُّهُمْ وَفِي اللَّيْلَةِ الظُّلُمَاءِ يُفْتَقَدُ الْبَذَرُ^(٥)

٦ - تَزْدَجِمُ الْقُصَادُ فِي بَابِهِ وَالْمَنْهَلُ الْعَذْبُ كَثِيرُ الزَّحَامِ

(٢)

يَبْنِ التشبيه الصريح ونوعه والتشبيه الضمني فيما يأتي:

١ - قال أبو العتاهية^(٦):

تَرْجُو التُّجَاءَ وَلَمْ تَسْلِكِ مَسَالِكَهَا؟ إِنَّ السَّفِينَةَ لَا تَجْرِي عَلَى الْيَبَسِ

(١) يروعههم: يخيفهم ويفزعهم، وروث السيف: بريقه.

(٢) السيب: العطاء، والجهام: السحاب لا ماء فيه. يقول: بطء وصول عطائك خير لي وقيم البرهان.

(٣) المضميم: المظلوم، والبرة: اللباس، وراقه الشيء: أعجبه.

(٤) الرغام: التراب، والمقصود في البيت أنه ليس مشابهاً للناس الذين يعيش بينهم.

(٥) جد جدهم: أي اشتد بهم الأمر وحل بهم الكرب، ويفتقد: يطلب عند غيابه.

(٦) هو أبو إسحق إسماعيل بن القاسم، ولد ونشأ بالكوفة سنة ١٣٠هـ، وكان شعره سهل اللفظ كثير المعاني قليل التكلف، وأكثر شعره في الزهد والأمثال، توفي سنة ٢١١هـ.

٢ - قال ابن الرومي في وصف المبدأ:

جَبُرَ أَبِي حَفْصٍ لُعَابُ اللَّيْلِ كَأَنَّهُ أَلْوَانُ دَقَمِ الْخَيْلِ^(١)
يَجْرِي إِلَى الْإِخْوَانِ جَزْيُ السَّيْلِ بِغَيْرِ وَزْنٍ وَبِغَيْرِ كَيْلِ

٣ - قال الشاعر:

وَنَلَاهُ إِنْ نَظَرْتُ وَإِنْ هِيَ أَغْرَضْتُ وَقَعُ السُّهُامِ وَنَزَعُهُنَّ أَلِيمُ
٤ - المؤمن مِرَاةُ المؤمن .

٥ - وقال البحري في وصف أخلاق ممدوحه:

وَقَدْ زَادَهَا إِفْرَاطَ حُسْنِ جَوَارِهَا خَلَّتْ أَصْفَارُ مِنَ الْمَجْدِ خُيْبِ^(٢)
وَحُسْنُ دَرَارِيءِ الْكَوَائِبِ أَنْ تُرَى طَوَالِغٍ فِي دَاجٍ مِنَ اللَّيْلِ غَيْهِبِ^(٣)

(٣)

حول التشبيهات الضمنية الآتية إلى تشبيهات صريحة:

١ - قال أبو تمام:

اضْبُرْ عَلَى مَضَضِ الْحُسُو د فَإِنْ صَبْرَكَ قَاتِلُهُ^(١)
النَّارُ تَأْكُلُ بَغْضَهَا إِنْ لَمْ تَجِدْ مَا تَأْكُلُهُ

٢ - وقال:

لَيْسَ الْحِجَابُ بِمَقْصِدٍ عَنْكَ لِي أَمَلًا إِنْ السَّمَاءُ تُرْجَى حِينَ تَحْتَجِبِ^(٢)

٣ - وقال أبو الطيب:

فَإِنْ تَفَقَّى الْأَنَامُ وَأَنْتَ مِنْهُمْ فَإِنَّ الْمَسْكَ بَعْضُ دَمِ الْغَزَالِ^(٣)

(١) دهم: جمع أدهم وهو الأسود.

(٢) الصفر مثله الصاد: الخالي.

(٣) الدراريء بالهمزة ويسهل: النجوم العظام التي لا تعرف أسماؤها، والغيه: المظلم.

(٤) المضض: وجع المصية.

(٥) يقصد بالحجاب هنا احتجاج الأمير الممدوح عن قضائه، وتحتجب: تختفي عن الناس بالغم.

(٦) يقول لا عجب أن فضلت الناس وأنت واحد منهم، فإن بعض الشيء قد يفوق جملة كالمسك فإنه بعض دم الغزال وهو يفضل.

٤ - وقال:

أعيا زوالك عن محلّ نلته لا تخرُج الأقمار عن هالاتها^(١)

٥ - وقال:

أعاذك الله من سهايمهم ومخطيء من رميهُ القمر^(٢)

٦ - وقال:

ليس بالمتكر أن يرزّت سبغاً غير مدفوع عن السبق العراب^(٣)

(٤)

حول التشبيهات الصريحة الآتية إلى تشبيهات ضمنية.

١ - قال مسلم بن الوليد في وصف الراح وهي تُصَبُّ من إبريق:

كأنها وحباب الماء يفرعها دُرُّ تحدر في سلك من الذهب^(٤)٢ - قال ابن النيه^(٥):والليل تجري الدُراري في مجرّته كالرؤض تطفو على نهر أزاهره^(٦)٣ - وقال بشار بن بَرَد^(٧):كأنّ مُشار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليلَ تهاوى كواكبُه^(٨)

(١) يقول: تعلّم انتقالك من المنزلة السامية التي نلتها، والهالة: دائرة من شعاع تحيط بالقمر.

(٢) أعاذك الله: حفظك، والرمي: الرمي يقول: إن من يرمي القمر بسهم مخطيء لا محالة؛ لأنه أرفع محلاً من أن يبلغه سهم راميّه.

(٣) يرز: سبق أصحابه، وسبقاً مفعول مطلق مرادف أو حال بمعنى سابقاً، والعراب: الخيل العربية.

(٤) حباب الماء: فقائعه التي تطفو.

(٥) هو شاعر منشىء من أهل مصر، مدح الأيوبيين، وتولى ديوان الإنشاء للملك الأشرف موسى، ورحل إلى نصيبين فتوفي فيها سنة ٦١٩هـ.

(٦) المحمرة: نجوم كثيرة لا ترى، ويرى ضوءها في انبساط واعوجاج.

(٧) كان شاعراً مشهوراً، أجمعت الرواة على تقدمه طبقات المحدثين المجيدين من الشعراء، وهو من شعراء الدولتين الأموية والعباسية، توفي سنة ١٦٧هـ.

(٨) النقع: الغبار، وتهاوى أصله تهاوى: أي تتساقط. والشاعر يصف قومه في ساعة القتال.

(٥)

كَوْنٌ تَشْبِيهًا ضَمْنِيًّا مِنْ كُلِّ طَرَفَيْنِ مِمَّا يَأْتِي:

- ١ - ظهور الحق بعد خفائه وبروز الشمس من وراء السحب.
- ٢ - المصائب تظهر فضل الكريم والنار تزيد الذهب نقاء.
- ٣ - وعد الكريم ثم عطاؤه والبرق يغقبه المطر.
- ٤ - الكلمة لا يستطيع ردها والسهم يخرج من قوسه فيتعذر رده.

(٦)

هات تشبيهن ضمنين، الأول في وصف حديقة، والثاني في وصف طيارة.

(٧)

اشرح قول أبي تمام في رثاء طفلين لعبد الله بن طاهر^(١) وبين نوع التشبيه الذي

به:

لهفي عى يلك الشواهد منهما لو أمهلّت حتى تكون شمائلًا^(٢)
إن الهلال إذا رأيت نموه أيقنت أن سيصير بذراً كاملاً

(٥) أغراض التشبيه

الأمثلة:

١ - قال البحرى:

ذان إلى أيدي الغفاة وشايغ عن كل يد في السدى وضرب
كالبذر أفرط في العلو وضوؤه للفضبة السارين جد قريب

(١) هو أمير خراسان، ومن أشهر الولاة في العصر العباسي، ولد سنة ١٨٢هـ وتوفي بنيسابور سنة

٢٣٠هـ وكان من أكثر الناس بذلاً للمال مع علم ومعرفة وتجربة.

(٢) يقصد بالشواهد دلالات النيل والنبوغ، والشمائل جمع شمال: وهو الطبع.

٢ - وقال النابغة الذبياني^(١):

كَأَنَّكَ شَمْسٌ وَالْمُلُوكُ كَوَاجِبُ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُمْ كَوْكَبُ

٣ - وقال المتنبي في وصف أسد:

مَا قُوبِلْتُ غِيَاةً إِلَّا ظُلْتُهَا تَحْتَ الدُّجَى نَارَ الْفَرِيقِ حُلُولاً^(٢)

٤ - وقال تعالى: ﴿رَأَيْتَ يَدْعُونَ بَيْنَ دُودِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْهِيضُ كَفَّيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَتْلُغُ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغٍ﴾.

٥ - وقال أبو الحسن الأنباري^(٣) في مصلوب:

مَذَذْتَ يَذِيكَ نَحْوَهُمْ أَحْيَاءَ كَمَدَّهِمَا إِلَيْهِمْ بِالْهَبَاتِ^(٤)

وقال أعرابي في ذم أمرأته:

وَتَفْتَحُ - لَا كَانَتْ - فَمَا لَوْ رَأَيْتَهُ تَوَهَّمْتَهُ بَاباً مِنَ النَّارِ يُفْتَحُ

البحث:

وصف البحترى ممدوحه في البيت الأول بأنه قريب للمحتاجين، بعيد المنزل، بينه وبين نظرائه في الكرم بؤن شاسع. ولكن البحترى حينما أحسن أنه وصف

(١) شاعر من شعراء الجاهلية، وسمي النابغة لبوغه في الشعر، شهد له عبد الملك بن مروان بأنه أشعر العرب وكان خاصاً بالعمان ومن ندمائه، وكانت تنصب له قبة حمراء بسوق عكاظ فيأتي إليه الشعراء ينشدونه أشعارهم فيحكم فيها، وقد مات قبيل البيعة.

(٢) الدجى: جمع دجبة وهي الظلمة، والفريق: الجماعة، وحلولا: أي مقيمين وهو حال من الفريق.

(٣) هو أبو الحسن الأنباري أحد الشعراء المجيدين عاش في بغداد، وتوفي سنة ٣٢٨هـ، وقد اشتهر بمرثيته التي رثى بها أبا طاهر بن بنية وزير عز الدولة لما قتل وصلب، وهي من أعظم المراثي ولم يُسمع بعملها في مصلوب، حتى إن عضد الدولة الذي أمر بصلبه تمنى لو كان هو المصلوب وقيل فيه.

(٤) الاحتفاء: المبالغة في الإكرام، والهبات: جمع هبة والمقصود بها العطية.

مدوحه بوصفين متضادين، هما القُرب والبُعد، أراد أن يبين لك أن ذلك ممكن، وأن ليس في الأمر تناقض؛ فشبه مدوحه بالبدر الذي هو بعيد في السماء ولكن ضوه قريب جداً للسائرين بالليل، وهذا أحد أغراض التشبيه وهو بيان إمكان المشبه.

والتأبغة يُشبه مدوحه بالشمس ويشبه غيره من الملوك بالكواكب، لأن سطوة الممدوح تُغض من سطوة كل ملك كما تخفي الشمس الكواكب فهو يريد أن يبين حال الممدوح وحال غيره من الملوك، وبيان الحال من أغراض التشبيه أيضاً.

وبيت المتنبي يصف عيني الأسد في الظلام بشدة الاحمرار والتوقد حتى إن من يراهما من يُغدي يظهرهما ناراً لقوم حلول مقيمين، فلو لم يعمد المتنبي إلى التشبيه لقال: **إِنْ عَيْنِي الْأَسَدُ مُحْمَرَّتَانِ** ولكنه اضطر إلى التشبيه ليُبين مقدار هذا الاحمرار وعظمه، وهذا من أغراض التشبيه أيضاً.

أما الآية الكريمة فإنها تتحدث في شأن من يغبدون الأوثان، وأنهم إذا دعوا ألَهِتَهُمْ لا يستجيبون لهم، ولا يرجع إليهم هذا الدعاء بفائدة، وقد أراد الله جل شأنه أن يُقرّر هذه الحال ويُنَبِّتَهَا في الأذهان، فشبه هؤلاء الوثنيين بمن يسط كفيه إلى الماء ليشرب فلا يصل الماء إلى فمه بالبداة؛ لأنه يُخْرِجُ من خلال أصابعه ما دامت كفاه مبسوطتين، فالغرض من هذا التشبيه تقرير حال المشبه، ويأتي هذا الغرض حينما يكون المشبه أمراً معنوياً؛ لأن النفس لا تجزم بالمعنويات جزمها بالحسيات فهي في حاجة إلى الإقناع.

وبيت أبي الحسن الأنباري من قصيدة نالت شهرة في الأدب العربي لا شيء إلا أنها حسنت ما أجمع الناس على قبحه والاشمئزاز منه «وهو الصُّلب» فهو يشبه مد ذراعي المصلوب على الخشبة والناس حوله بمد ذراعيه بالعطاء للسائلين أيام حياته، والغرض من هذا التشبيه التزيين، وأكثر ما يكون هذا النوع في المديح والثناء والفخر ووصف ما تميل إليه النفوس.

والأعرابي في البيت الأخير يتحدث عن امرأته في سخط وألم، حتى إنه ليدعو عليها بالحرمان من الوجود فيقول: «**لا كانت**»، ويشبه فمها حينما تفتح بباب من أبواب جهنم، والغرض من هذا التشبيه التقييح، وأكثر ما يكون في الهجاء ووصف ما تنفر منه النفس.

القاعدة

(١٠) أغراض التشبيه كثيرة^(١) منها ما يأتي:

- أ - بيان إمكان المشبه: وذلك حين يُسندُ إليه أمرٌ مُستغَرَّب لا نزول غرابته إلا بذكر شيء له.
- ب - بيان حاله: وذلك حينما يكون المشبه غير معروف الصفة قبل التشبيه فيُفِيدُه التشبيه الوصف.
- ج - بيان مقدار حاله: وذلك إذا كان المشبه معروف الصفة قبل التشبيه مَعْرِفَةً إِجْمَالِيَّةً وكان التشبيه يُبَيِّنُ مقدارَ هذه الصفة.
- د - تَقْرِيرُ حاله: كما إذا كان ما أُسْنِدَ إلى المشبه يحتاج إلى التثبيت والإيضاح بالمثال.
- هـ - تَزْيِينُ المُشَبَّهِ أو تَقْيِيحُه.

نموذج

- ١ - قال ابن الرومي في مدح إسماعيل بن بلبل:

وكم أب قد علا بابني ذوا شرف كما علا برسول الله غَدَنَانُ

- ٢ - وقال أبو الطيب في المديح:

أزى كل ذي جود إليك مصيره كألك بحر والملوك جداول

الإجابة

المشبه	المشبه به	وجه الشبه	الغرض من التشبيه
١ - علو الأب بالابن	علو عدنان بالرسول	ارتفاع شأن الأول بالآخر	إمكان المشبه
٢ - الضمير في كألك	بحر	العظم	بيان حال المشبه
٣ - الملوك	جداول	الاستعداد من شيء أعظم	بيان حال المشبه

(١) الأغراض المذكورة في القاعدة ترجع جميعها كما ترى إلى المشبه، وهذا هو الغالب، وقد ترجع إلى المشبه به وذلك في التشبيه المقلوب وسيأتي.

تعميمات

(١)

يُبَيِّنُ الغرض من كل تشبيه فيما يأتي:

- ١ - قال البحرى:
دَنُوتُ نَوَاضِعاً وَعَلَوْتُ مَجْداً قُشَانَاكَ انْخِفَاضَ وَانْزِفَاعُ
كَذَاكَ الشَّمْسُ تَبْعُدُ أَنْ تُسَامَى وَيَذُتُّ الضُّوءُ مِنْهَا وَالشَّعَاعُ
٢ - قال الشريف الرضى^(١):
أَجْبَبْتُ بِأَلْوَنِ الثُّبَابِ لِأَنْسِي رَأَيْتُكُمَا فِي الْقَلْبِ وَالْعَيْنِ تَوَهُماً^(٢)
سَكَنْتِ سَوَادَ الْقَلْبِ إِذْ كَثَبَتْ شِبْهَهُ فَلَمْ أَدْرِ مِنْ عِزٍّ مِنَ الْقَلْبِ مَثْلُكُمْ
٣ - وقال صاحب كلیلة ودمنة:
فَضْلُ ذِي الْعِلْمِ وَإِنْ أَحْفَاهُ كَالْمَسْكَ يُشْتَرُ ثُمَّ لَا يَمْتَنِعُ ذَلِكَ رَائِحَتُهُ أَنْ تَفُوحَ.
٤ - وقال الشاعر:
وَأَصْبَحْتُ مِنْ لَيْلَى الْغَدَاةِ كَقَابِضٍ عَلَى الْمَاءِ خَائِشَةً فُرُوجُ الْأَصَابِعِ
٥ - وقال المتنبي في الهجاء:
وَإِذَا أُنْشِأَ مُحَدَّثاً فَكَأَنَّهُ قِرْدٌ يُقْفَهُ أَوْ عَجُوزٌ تَلْطِمُ
٦ - وقال السري الرفاء:
لِي مَنْزِلٌ كَوِجَارِ الضُّبِّ أَنْزِلُهُ ضَنْكَ تَقَارَبِ قُطْرَاهُ فَقَدْ ضَاقَا^(٣)
أَزَاهُ قَالَتْ جِسْمِي حِينَ أَدْخَلُهُ فَمَا أَمْدُ بِهِ رَجُلًا وَلَا سَاقَا
٧ - وقال ابن المعتز:
عُذِيرٌ تُرْجَرِجُ أَمْوَاجُهُ هُبُوبُ الزِّيَاحِ وَمَرُّ الضُّبَا^(٤)

(١) هو أبو الحسن محمد ينتهي نسبه إلى الحسين بن علي كرم الله وجهه، وكان ذا هبة وعفة وورع، ويقال إنه أشعر قريش، لأن المجيد منهم ليس بمكثر، والمكثر ليس بمجيد أما هو فقد جمع بين الإجابة والإكثار، ولد ببغداد وتوفي بها سنة ٤٠٦ هـ.

(٢) التوهم من جميع الحيوان: المولود مع غيره في بطن، ويقال هما توهمان وهما توهم، يريد بالتوهم هنا النظيرين.

(٣) الوجار: الجحر، الضنك: الضيق، والقطر: الجانب.

(٤) الصبا: ريح مهبها من الشرق.

- إِذَا الشَّمْسُ مِنْ قَرْوِهِ أَسْرَقَتْ تَوَهَّمْتَهُ جَوْشَنًا مُذْهَبًا^(١)
 ٨ - وقال سعيد بن هاشم الخالدي^(٢) من قصيدة يصف فيها خادماً له:
 مَا هُوَ عَبْدٌ لَكَتُهُ وَلَدَدٌ خَوْلَانِيهِ الْمُهَيِّمِينَ الصُّمَدُ
 وَشَدَّ أَزْرِي بِحُسْنِ خِدْمَتِهِ فَهُوَ يَدِي وَالذَّرَاغُ وَالْمَعْضُدُ
 ٩ - وقال المعري في الشيب والشباب:
 خَبَّرَنِي مَاذَا كَرِهْتَ مِنَ الشَّيْءِ بَ فَلَا عَلَمَ لِي بِذَنْبِ الْمُشِيبِ
 أَضْيَاءَ النَّهَارِ أَمْ وَضَحَ اللَّؤْلُؤِ لَوْ أَمْ كَوْنُهُ كَشْفَرِ الْحَبِيبِ^(٣)؟
 وَادْكُرِّي لِي فَضْلَ الشَّبَابِ وَمَا يَجِدُ مَعَ مِنْ مَنَظَرٍ يَزُوقُ وَطِيبِ
 غَنَزُهُ بِالْخَلِيلِ أَمْ حُبِّهِ لَ مَنِّي أَمْ أَنَّهُ كَعَمِيشِ الْأَدِيبِ؟
 ١٠ - ومما ينسب إلى عترة^(٤):

- وَأَنَا ابْنُ سَوْدَاءَ الْحَبِيبِ كَأَنَّهَا ذُلَّبَ ثَرَعَرَعَ فِي تَوَاجِي الْمُنْزِلِ
 السَّاقُ يَمُتُّهَا يَمُتُّ سَاقِي نَعَامَةٍ وَالشُّعْرُ يَمُتُّهَا يَمُتُّ حَبَّ الْقُلْفَلِ
 ١١ - وقال ابن شهيد الأندلسي^(٥) يصف بُرْغُونًا:

- أَسْوَدَ رَنْجِي، أَهْلِي وَحْشِي، لَيْسَ بِوَائٍ وَلَا زُمَيْلِ^(٦)، وَكَأَنَّهُ جُزْءٌ لَا يَتَجَزَأُ مِنْ لَيْلٍ، أَوْ
 نَقْطَةٌ بِدَادٍ، أَوْ سَوِيدَاءُ^(٧) فَوَادٍ، شُرْبُهُ عَبٌّ^(٨)، وَمُشَبِّهٌ وَثْبٌ، يَكْمُنُ نَهَارُهُ، وَيَسِيرُ لَيْلُهُ،
 يُدَارِكُ^(٩) بَطْعَنَ مَوْلَمٍ، وَيَسْتَحِلُّ دَمَ الْبَرِيِّ. وَالْمَجْرَمُ، مُسَاوِرٌ^(١٠) لِلْأَسَاوِرَةِ^(١١)، وَمُجَرِّدٌ

-
- (١) الجوشن: الدرع.
 (٢) شاعر من بني عبد القيس كان أعجوبة في قوة الحافظة، وله تصانيف في الأدب وديوان شعر، توفي سنة ٤٠٠ هـ.
 (٣) الوضع: الضوء والياض.
 (٤) هو من شعراء الطبقة الأولى كانت أمه حبشية. وقد اشتهر بالشجاعة والإقدام وتوفي قبل ظهور الإسلام بسبع سنين.
 (٥) هو من بني شهيد الأشجعي أحد أفراد الأندلس أدباً وعلماً، وله شعر جيد وتصحيف بديعة، وتوفي بقرطبة مسقط رأسه سنة ٤٢٦ هـ.
 (٦) الزميل: الضعيف.
 (٧) السويداء: حبة القلب.
 (٨) العب: شرب بلا مص.
 (٩) يدارك: يتابع.
 (١٠) مساور: موابب ومهاجم.
 (١١) الأساورة: جمع أسوار وهو قائد الفرس، أو من يحسن رمي السهام، أو الثابت على ظهر الفرس.

نضله^(١) على الجبابة لا يُمنع منه أمير، ولا تنفع فيه غيره غيور، وهو أحقرُ حقير، شرُّه مبعوث^(٢)، وعهده منكوث^(٣)، وكفى بهذا نقصاً للإنسان، ودلالةً على قدرة الرحمن.

(٢)

- ١ - كَوْنُ تشبيه الغرض منها بيان حال الثمر.
- ٢ - كَوْنُ تشبيه الغرض منه بيان حال الكرة الأرضية.
- ٣ - كَوْنُ تشبيه الغرض منه بيان مقدار حال دواءٍ مرّ.
- ٤ - كَوْنُ تشبيه الغرض منه بيان مقدار حال نار شبت في منزل.
- ٥ - كَوْنُ تشبيه الغرض منه تقرير حال طائش يرمي نفسه في المهالك ولا يدري.
- ٦ - كَوْنُ تشبيه الغرض منه بيان حال مَنْ يعيش ظلام الباطل ويؤذيه نور الحق.
- ٧ - كَوْنُ تشبيه الغرض منه بيان إمكان العظيم من شيء حقير.
- ٨ - كَوْنُ تشبيه الغرض منه بيان إمكان أن التعب يُنتج راحة ولذة.
- ٩ - كَوْنُ تشبيه لتزيين الكلب.
- ١٠ - كَوْنُ تشبيه لتزيين الشيخوخة.
- ١١ - كَوْنُ تشبيه لتقبيح الضيف.
- ١٢ - كَوْنُ تشبيه لتقبيح الشتاء.

(٣)

إشرح بإيجاز الآيات الآتية وبين الغرض من كل تشبيه فيها:

وَقَانَا لْفَحَةً الرَّمْضَاءِ وَإِدِ	سَقَاهُ مُضَاعَفُ الْغَيْثِ الْعَمِيمِ ^(١)
نَزَّلْنَا دَوْحَهُ فَحْنًا عَلَيْنَا	حُنُوُّ الْمُرْضِعَاتِ عَلَى الْفَطِيمِ ^(٥)
وَأَرْشَفْنَا عَلَى ظَمَأٍ رُؤَالَا	أَلَدُ مِنَ الْمُدَامَةِ لِلنُّدِيمِ ^(٦)

(١) النصل: حديدة السيف والسهم والرمح والسكين.

(٢) مبعوث: منتشر.

(٣) منكوث: منقوض.

(٤) لفح النار: إحراقها، والرمضاء: شدة الحر أو الأرض الحارة من شدة حر الشمس.

(٥) الدوح: واحده دوحة وهي الشجرة، والمعنى نزلنا ظل دوحة.

(٦) أرشفنا: سقانا.

(٦) التشبيه المقلوب

الأمثلة:

١ - قال محمد بن وهيب الجُمَيْرِيُّ^(١):

وَبِذَا الصُّبْحُ كَأَنَّ عُرْتَهُ وَجْهَ الْخَلِيفَةِ جِئْنَ يُمْتَدِّحُ

٢ - وقال البحتري:

كَأَنَّ سَنَاها بِالْعَمَشِ لِصُبْحِها تَبَسُّمُ عَيْنِي جِئْنَ يَلْفِظُ بِالْوَعْدِ

٣ - وقال آخر:

أَجِئْ لَهُمْ وَذُوئُهُمْ فَلَاةٌ كَأَنَّ قَبِيحِها صَدْرُ الْحَلِيمِ

البحث:

يقول الجُمَيْرِيُّ: إن تباسير الصباح تشبه في التلألؤ وجه الخليفة عند سماعه المديح، فأنت ترى هنا أَنَّ هذا التشبيه خرج عما كان مستقرًا في نفسك من أَنَّ الشيء يُشَبَّه دائماً بما هو أقوى منه في وجه الشبه، إذ المألوف أن يقال إِنَّ وجه الخليفة يشبه الصباح، ولكنه عكس وقلب للمبالغة والإغراق بادعاء أَنَّ وجه الشبه أقوى في المشبه؛ وهذا التشبيه مظهر من مظاهر الافتتان والإبداع^(٢).

ويشبهه البحتري برق السحابة الذي استمر لَمَاعاً طوال الليل بتبسم ممدوحه حينما

(١) هو مشيع من شعراء الدولة العباسية بصري الأصل بغدادي النشأة، اتصل بالأمويين ومدحه ثم لم يزل منقطعاً إليهم حتى مات.

(٢) يقرب من هذا النوع ما ذكره الحلبي في كتاب حسن التوسل وسماه تشبيه التفضيل، وهو أن يشبه شيء بشيء لفظاً أو تقديراً ثم يعدل عن التشبيه لادعاء أن المشبه أفضل من المشبه به، ومثل له بقول الشاعر:

حسبت جماله بداراً مضيئاً وأين الجدر من ذاك الجمال
ومنه قول المتنبي في سيف الدولة:

ولما تلقاك السحاب بصوبه تلقاه أصلى منه كعباً وأكرم
وقول الشاعر:

من قاس جدواك يسوماً بالسحب أخطأ مدحك
السحب تعطى وتبكي وأنت تعطى وتضحك

يَعْدُ بالعطاء، ولا شك أن لمعان البرق أقوى من بريق الابتسام، فكان المعهود أن يشبه الابتسام بالبرق كما هي عادة الشعراء، ولكن البحري قلب التشبيه. وفي المثال الثالث شُبِّهَت الغلاة بصدر الحليم في الاتساع، وهذا أيضاً تشبيه مقلوب.

القاعدة

(١٢) التشبيه المقلوب هو جعل المشبّه مشبّهاً به بادّعاء أنّ وجه الشبه فيه أقوى وأظهر.

نمُودَج

- ١ - كأن النسيم في الرقة أخلاقه. ٢ - وكأن الماء في الصفاء طباعه.
- ٣ - وكأن ضوء النهار جبينه. ٤ - وكأن نشر الروض حسن سيرته.

الإجابة

المشبّه	المشبّه به	وجه الشبه	نوع التشبيه
١ - النسيم	أخلاقه	الرقة	مقلوب
٢ - الماء	طباعه	الصفاء	مقلوب
٣ - ضوء النهار	جبينه	الإشراق	مقلوب
٤ - نشر الروض	حسن سيرته	جميل الأثر	مقلوب

تعرينات

(١)

لِمَ كان التشبيه مقلوباً فيما يأتي؟

١ - قال ابن المعتز:

والمُصْبِحُ في طُرّةٍ لَيْلٍ مُسْفِرٍ كَأَنَّهُ غُرّةٌ مُنْهَرٍ أَشْفَر^(١)

(١) طرة الشيء: طرفه، وليل مسفر: أي دخل في الإسفار وهو ظهور الفجر، والغرة: بياض في جبهة الفرس، والمهر الأشقر: الأحمر الشعر.

٢ - وقال البحترى:

في حُمْرَةِ الْوَرْدِ شَيْءٌ مِنْ تَلْهُيْهَا وَلِلْقَضِيبِ نَصِيبٌ مِنْ تَنْثِيهَا

٣ - وقال أيضاً في وصف بركة المتوكل:

كَأَنَّهَا حِينِ لَجُثٌ فِي تَدْفِيقِهَا يَدُ الْخَلِيفَةِ لَمَّا سَالَ وَادِيهَا^(١)

٤ - سارت بنا السفينة في بحر كأنه جذواك، وقد سطع نور البدر كأنه جمال مُحْيَاك.

(٢)

مِيزُ التَّشْبِيهِ الْمَقْلُوبِ مِنْ غَيْرِ الْمَقْلُوبِ فِيمَا يَأْتِي وَبَيْنَ الْغَرَضِ مِنْ كُلِّ تَشْبِيهِ:

١ - كَانَ سَوَادُ اللَّيْلِ شَعْرٌ فَاحِمٌ.

٢ - قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ:

يَزُورُ الْأَعَادِي فِي سَمَاءٍ عَجَاجَةٍ أَيْسُتُهُ فِي جَانِبَيْهَا الْكَوَاكِبُ^(٢)

٣ - كَانَ الثُّبُلُ كَلَامُهُ وَكَأَنَّ الْوَبْلَ^(٣) نَوَالَهُ.

٤ - قَالَ الْأَبْيُورْدِيُّ^(٤):

كَلِمَاتِي قَلَانِدُ الْأَعْنَاقِ سَوْفَ تَقْنَى الذُّهُورُ وَفِي بَوَاقِ

٥ - أَرْسَلَ أَحَدُ كُتَّابِ الْمَأْمُونِ^(٥) إِلَيْهِ فَرَسًا وَقَالَ:

قَدْ بَعَثْنَا بِجَوَادٍ مِثْلَهُ لَيْسَ يُرَامُ

فَرَسٌ يُزْفَى بِهِ لِدَ حَسَنِ سَرْجٍ وَلِجَامٍ^(٦)

وَجْهَهُ صُبْحٌ وَلَكِنْ سَائِرُ الْجَنَمِ ظَلَامٌ

وَالَّذِي يَضْلَحُ لِلْمَوْتِ لَى عَلَى الْعَبْدِ حَرَامٌ

(١) لَجَّ فِي الْأَمْرِ مِنْ (بَابِي ضَرْبُ وَقْتِ): تَمَادَى وَاسْتَمَرَّ.

(٢) الْمَجَاجَةُ، الْغَبَارُ، وَالْأَسَنَةُ جَمْعُ سَنَانٍ: وَهُوَ طَرَفُ الرَّمَحِ.

(٣) الْوَبْلُ: الْمَطَرُ الشَّدِيدُ الْمُسْتَمِرُّ، وَالنَّوَالُ: الْعَطَاءُ.

(٤) شَاعِرٌ فَصِيحٌ رَاوِيَةٌ نَسَابَةٌ لَهُ مَعْنَفَاتٌ فِي اللُّغَةِ لَمْ يَسْبِقْ إِلَى مِثْلِهَا، وَقَدْ مَاتَ بِأَصْبَهَانَ سَنَةَ ٥٥٨ هـ وَالْأَبْيُورْدِيُّ نَسَبَةٌ إِلَى أَبِيورْدٍ بَلَدَةٍ بِخُرَاسَانَ.

(٥) هُوَ ابْنُ الْخَلِيفَةِ هُرُونَ الرَّشِيدِ، كَانَ عَالِمًا فَاضِلًا، وَقَدْ بَرَعَ فِي الْعَرَبِيَّةِ وَمَهَرَ فِي الْفَلَسَفَةِ، وَاشْتَهَرَ بِجُودِهِ وَفَصَاحَتِهِ، وَكَانَ مِنْ أَكْبَرِ رِجَالِ بَنِي الْعَبَّاسِ حَزْمًا وَعِزْمًا وَدَهَاءً وَشَجَاعَةً، تُوْفِيَ سَنَةَ ٢١٨ هـ.

(٦) يَزْهِي بِكَذَا: يَتَبَهَّرُ بِتَبَهُّرٍ، وَسَرْجٌ نَائِبٌ فَاعِلٌ.

(٣)

حوّل التشبيهات الآتية إلى تشبيهات مقلوبة وبين أيها أبلغ:

- ١ - قال البحرّي يصف قصراً فوق هضبة:
في رأس مشرفة حصاها لؤلؤ
وترابها منك يشاب بعنبر
- ٢ - وقال:
وكانت يد الفتح بن خاقان عندكم
يد الغيث عند الأرض حرقها المخل^(١)
- ٣ - وقال في الغزل:
لست أنساء باديأ من بعيد
يتقنى تقني الغصن غصنا
- ٤ - وقال في المديح:
وأشرق عن بشر هو النور في الضحا
وصافى بأخلاق هي الطل في الصبح^(٢)

(٤)

حوّل التشبيهات المقلوبة الآتية إلى تشبيهات غير مقلوبة:

- ١ - ركبتا قطاراً كأنه الجواد السباق.
- ٢ - فاح الزهر كأنه ذكرك الجميل.
- ٣ - ظهر الصبح كأنه حجّتك الساطعة.
- ٤ - تقلّد الفارس سيفاً كأنه عزيمته يوم النزال.

(٥)

كوّن تشبيهاً مقلوباً من كل طرفين من الأطراف الآتية مع وضع كل طرف مع ما

يناسبه:

- (١) الفتح بن خاقان: شاعر فصيح، كان في نهاية الفطنة والذكاء، وهو فارسي الأصل من أبناء الملوك، اتخذته المتوكل العباسي أخاً له واستوزره، وقّعه على أهله وولده، واجتمعت له خزانة كتب حافلة، وقتل مع المتوكل سنة ٢١٧هـ، واليد: النعمة والعطاء، والمحل: الجذب وانقطاع المطر.
- (٢) البشر: الفرح والبشاشة، ويكون الزهر وقت الضحا متفتحاً، والطل في وقت الصبح في أكمل أحوال نفاثه وصفاته.

قصفُ الرعد	غضبة	لَمْعُ البرق	أخلاقه
نور جبينه	الصاعقة	شَعْرُهُ	ابتسامه
شعاعُ الشمس	صوته	سواد الليل	أزهار الربيع.

(٦)

أتمم التشبيهات المقلوبة الآتية:

- ١ - كأن... قدومك لزيارتي. ٤ - كأن... حرارة حقدته.
- ٢ - كأن... جرأتك. ٥ - كأن... حدُّ عزيمتك.
- ٣ - كأن... صوته المنكر. ٦ - كأن... احتياله.

(٧)

أتمم التشبيهات المقلوبة:

- ١ - كأن عصف الريح... ٤ - كأن الدُّر... .
- ٢ - كأن ذل اليتيم... ٥ - كأن صفاء الماء... .
- ٣ - كأن نُصرة الورد... ٦ - كأن السُّحر... .

(٨)

جاء في كتب الأدب أن أبا تمام حينما قال في مدح أحمد بن المعتصم^(١):إِقْدَامُ عمرو^(٢) فِي سَمَاحَةِ حَاتِمٍ^(٣) فِي جِلْمٍ أَحْتَفٍ^(٤) فِي ذُكَاةِ إِيَّاسٍ^(٥)

قال بعض حساده أمام منذوحوه: «ما زدت على أن شَبَّهْتَ الأميرَ بِمَنْ هم دونه».

فقال أبو تمام:

لَا تُنْكِرُوا ضَرْبِي لَهُ مِنْ دُونِهِ مَثَلًا شُرُودًا فِي السُّدَى وَالْبَاسِ^(٦)

(١) هو ابن الخليفة العباسي الثامن (أمير المؤمنين المعتصم).

(٢) هو عمرو بن معدى كرب الزبيدي فارس اليمن وصاحب الغارات المشهورة، وأخبار شجاعته كثيرة توفي سنة ٢١هـ.

(٣) هو أحد أجواد العرب المشهورين.

(٤) هو الأحنف بن قيس من سادات التابعين، كان شهماً حليماً عزيزاً في قومه، إذا غضب غضب له مائة ألف سيف لا يسألون لماذا غضب، توفي سنة ٦٧هـ.

(٥) هو قاضي البصرة وأحد أعاجيب الدهر في الفطنة والذكاء يضرب المثل بذكائه وصدق حدسه توفي سنة ١٢٢هـ.

(٦) شروداً: سائراً، والتدى: الكرم، والبأس: الشجاعة والقوة.

فَاللَّهُ قَدْ ضَرَبَ الْأَقْلَ لِثُورِهِ مَثَلًا مِنَ الْمِشْكَاةِ وَالْتِبْرَاسِ^(١)
 فما معنى الرد الذي ساقه أبو تمام في البيتين السابقين؟ وهل في استطاعتك أن
 تدافع عن أبي تمام بحجة أخرى بعد أن تنظر في البيت جميعه؟ وما نوع التشبيه الذي
 يُرضي هؤلاء النقاد؟

(٩)

هاتِ تشبيهات مقلوبة في وصف جريء مقدام، ثم في وصف سفينة، ثم في
 وصف كلام بليغ.

(١٠)

وَلَوْلَا اخْتِقَارُ الْأَمْسِدِ شَبَهُهُمْ بِهَا وَلِكِنَّهَا مَعْدُودَةٌ فِي الْبَهَائِمِ
 تكلم على ما في البيت السابق من ضروب الحسن البياني، وهل ترى أن المدح
 يكون أبلغ لو قال «شبهتها بهم» وماذا يكون التشبيه إذا؟

(٧) بلاغة التشبيه وبعض ما أُثِرَ منه

(٢) عن العرب والمُحدثين

تَنَشَأُ بلاغة التشبيه من أنه ينتقل بك من الشيء نفسه إلى شيء طريف يشبهه، أو
 صورة بارعة تمثله. وكلما كان هذا الانتقال بعيداً قليل الخطورة بالبال، أو ممتزجاً
 بقليل أو كثير من الخيال، كان التشبيه أروع للنفس وأدعى إلى إعجابها واهتزازها.
 فإذا قلت: فلان يُشبه فلاناً في الطول، أو إنَّ الأرض تشبه الكرة في الشكل،
 أو إنَّ الجزر البريطانية تشبه بلاد اليابان، لم يكن لهذه التشبيهات أثر للبلاغة؛ لظهور
 المشابهة وعدم احتياج العثور عليها إلى براعة وجهد أدبي. ولخلوها من الخيال.
 وهذا الضرب من التشبيه يُقصد به البيان والإيضاح وتقريب الشيء إلى الأفهام،
 وأكثر ما يستعمل في العلوم والفنون.

(١) المشكاة: فتحة في الحائط غير نافذة، والتبراس: المصباح.

(٢) المحدث في اللغة: المتأخر، والمراد به هنا من جاء بعد عهد العرب الذين يحتج بكلامهم في اللغة.

ولكنك تأخذك زُوعَة التشبيه حينما تسمع قول المعري يَصِفُ نجماً:

يُسْرَعُ اللَّمَحُ فِي احْمِرَارٍ كَمَا تُسْرَعُ فِي اللَّمَحِ مُقْتَلَةُ الْغَضْبَانِ^(١)

فإن تشبيه لمحات النجم وتألقه مع احمرار ضوئه بسرعة لمحة الغضبان من التشبيهات النادرة التي لا تنقاد إلا لأديب. ومن ذلك قول الشاعر:

وَكَأَنَّ النُّجُومَ بَيْنَ دُجَاهَا سُنْنُ لَحٍ بَيْتُهُنَّ ابْتِدَاعُ

فإن جمال هذا التشبيه جاء من شعورك ببراعة الشاعر وحذقه في عقد المشابهة بين حالتين ما كان يخطر بالبال تشابههما، وهما حالة النجوم في رُفْعَةِ الليل بحال السنن الدينية الصحيحة متفرقة بين البدع الباطلة. ولهذا التشبيه رُوعَة أخرى جاءت من أن الشاعر تخيل أن السنن مضيئة لماعة، وأن البدع مظلمة قاتمة.

ومن أبدع التشبيهات قول المتنبي:

بَلِيْثٌ بِلَى الْأَطْلَالِ إِنْ لَمْ أَقِفْ بِهَا وَقُوفٌ شَحِيحٌ ضَاعَ فِي التُّرْبِ خَاتَمُهُ

يدعو على نفسه بالبلى والفناء إذا هو لم يقف بالأطلال ليذكر عهد من كانوا بها. ثم أراد أن يصوّر لك هيئة وقوفه فقال: كما يقف شحيح فقد خاتمه في التراب؛ من كان يُوفِّقُ إلى تصوير حال الذاهل المتحير المحزون المطروق برأسه المنتقل من مكان إلى مكان في اضطراب ودهشة بحال شحيح فقد في التراب خاتماً ثميناً؟ ولو أردنا أن نورد لك أمثلة من هذا النوع لطال الكلام.

هذه هي بلاغة التشبيه من حيث مبلغ طرافته وبعُد مرماء ومقدار ما فيه من خيال، أما بلاغته من حيث الصورة الكلامية التي يوضع فيها أيضاً. فأقل التشبيهات مرتبة في البلاغة ما ذكرت أركانه جميعها. لأن بلاغة التشبيه مبنية على ادعاء أن المشبه عين المشبه به، ووجود الأداة ووجه الشبه معاً يحولان دون هذا الادعاء، فإذا حذفت الأداة وحدها، أو وجه الشبه وحده، ارتفعت درجة التشبيه في البلاغة قليلاً، لأن حذف أحد هذين يقوي ادعاء اتحاد المشبه والمشبه به بعض التقوية. أما أبلغ أنواع التشبيه فالتشبيه البليغ؛ لأنه مبني على ادعاء أن المشبه والمشبه به شيء واحد.

هذا - وقد جرى العرب والمحدثون على تشبيه الجواد بالبحر والمطر، والشجاع بالأسد، والوجه الحسن بالشمس والقمر، والشهم الماضي في الأمور بالسيف، والعالي

(١) لمع البرق والنجم: لمعانهما، ولمع البصر: اختلاس النظر.

المنزلة بالنجم، والحليم الرزين بالجبل، والأمانى الكاذبة بالأحلام، والوجه الصبيح بالدينار، والشعر الفاحم بالليل، والماء الصافي باللجين، والليل بموج البحر، والجيش بالبحر الزاخر، والخيّل بالريح والبرق، والنجوم بالدرر والأزهار، والأسنان بالبرد واللؤلؤ، والسفن بالجمال، والجداول بالحيات الملتوية، والشئب بالنهار ولمع السيوف، وغرة الفرس بالهلال. ويشبهون الجبان بالمُعامة والذّابة، والثلثم بالثعلب، والطائش بالقراش، والذليل بالوتد، والقاسي بالحديد والصخر، والبلد بالجمار، والبخل بالأرض المُجديّة.



وقد اشتهر رجال من العرب بخلال محمودة فصاروا فيها أعلاماً فجرى التشبيه بهم. فيشبهه الوفيّ بالسُمّوءل^(١)، والكريم بحاتم، والعاذل بُمُر^(٢)، والحليم بالأخنف، والفصيح بسخبان، والخطيب بُمُس^(٣) والشجاع بعُمرو بن مَعْدِيكَرب، والحكيم بلقمان^(٤)، والذّكي بإياس.

واشتهر آخرون بصفات ذميّة فجرى التشبيه بهم أيضاً، فيشبهه العيي بإقل^(٥)، والأحمق بهيئة^(٦)، والنادم بالكسبي^(٧)، والبخل بمارد^(٨)، والهجاء بالخطيئة^(٩)، والقاسي بالحجاج^(١٠).

- (١) هو السمّوءل بن حيان اليهودي، يضرب به المثل في الوفاء، وهو من شعراء الجاهلية توفي سنة ٦٦٢ هـ.
- (٢) هو أمير المؤمنين وخليفة المسلمين وأحد السابقين إلى الإسلام والأولين، اشتهر بعدله وتواضعه وزهده، وقد نصر الله به الإسلام وأعزه.
- (٣) هو ابن ساعدة الإيادي خطيب العرب قاطبة، ويضرب به المثل في البلاغة والحكمة.
- (٤) حكيم مشهور أتاه الله الحكمة أي الإصابة في القول والعمل.
- (٥) رجل اشتهر بالعي، اشترى غزالاً مرة بأحد عشر درهماً فسل عن ثمنه فمذ أصابع كفيه يريد عشرة وأخرج لسانه ليكملها أحد عشر فقرّ الغزال، فضرب به المثل في العي.
- (٦) هو لقب أبي الودعاء يزيد بن ثروان القيسي، ويضرب به المثل في الحمق.
- (٧) هو غامد بن الحرث، خرج مرة للصيد فأصاب خمسة حمر بخمسة أسهم، وكان يظن كل مرة أنه مخطئ، فغضب وكسر قوسه، ولما أصبح رأى الحمر مصروعة والأسهم مخضبة بالدم، فندم على كسر قوسه، وعضّ على إبهامه ققطعها.
- (٨) لقب رجل من بني هلال اسمه مخارق، وكان مشهوراً بالبخل واللؤم.
- (٩) شاعر مخضرم كان هجاء مرأ، ولم يكذ يسلم من لسانه أحد، هجا أمه وأباه ونفسه، وله ديوان شعر، وتوفي سنة ٣٠ هـ.
- (١٠) هو الحجاج بن يوسف الثقفي، كان عاملاً على العراق وخراسان لعبد الملك بن مروان ثم للوليد من بعده، وهو أحد جبابرة العرب وله في القتل والعقوبات غرائب لم يسمع بمثلاها. توفي بمدينة واسط سنة ٩٧ هـ.

الحقيقة والمجاز المجاز اللغوي

الأمثلة:

١ - قال ابنُ العَمِيد^(١):

قَامَتْ تُظَلِّلُنِي مِنَ الشَّمْسِ نَفْسٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي
قَامَتْ تُظَلِّلُنِي وَمِنْ عَجَبٍ شَمْسٌ تُظَلِّلُنِي مِنَ الشَّمْسِ

٢ - وقال البحري يَصِفُ مبارزة الفتح بن خاقان لأسد:

فَلَمْ أَرِ ضِرْغَامَيْنِ أَضْذَقَ مِنْكُمَا عِرَاقاً إِذَا الْهَيْبَةِ النُّكْسُ كَذْبَا^(٢)
هَزِيرٌ مَشَى يَنْبِيهِ هَزِيراً وَأَغْلَبَ مِنَ الْقَوْمِ يَغْشَى بَابِلَ الْوَجْهِ أَغْلَبَا^(٣)

٣ - وقال المتنبي وقد سقط مطرٌ على سيف الدولة:

لَعَيْنِي كُلُّ يَوْمٍ مِنْكَ حَظٌّ تَحْبِرُ مِنْهُ فِي أَمْرِ عُجَابٍ^(٤)
جِمَالُهُ ذَا الْحُسَامِ عَلَى حُسَامٍ وَمَوْقِعُ ذَا السَّحَابِ عَلَى مَحَابٍ^(٥)

٤ - وقال البحري:

إِذَا الْعَيْنُ رَاخَتْ وَهِيَ غَيْرُ عَلَى الْجَوَى
فَلَيْسَ بِسَرٍّ مَا تُسِيرُ الْأَضَالِغُ

(١) هو الوزير أبو الفضل محمد بن العميد نبغ في الأدب وعلوم الفلسفة والنجوم، وقد برز في الكتابة على أهل زمانه حتى قيل: «بدلت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد» توفي سنة ٥٣٦٠هـ.

(٢) الضرغام: الأسد، الهيابة: الجبان، والنكس: الضعيف.

(٣) الهزير: الأسد، والأغلب: الأسد أيضاً، والبائل: الشجاع.

(٤) تحير: أصلها تحجير حلف منها إحدى التاءين.

(٥) حمالة السيف: ما يحمل به.

البحث:

انظر إلى الشطر الأخير في البيتين الأولين، تجد أن كلمة «الشمس» استعملت في معنيين: أحدهما المعنى الحقيقي للشمس التي تعرفها، وهي التي تظهر في المشرق صباحاً وتختفي عند الغروب مساءً، والثاني إنسان وضاء الوجه يشبه الشمس في التلألؤ، وهذا المعنى غير حقيقي، وإذا تأملت رأيت أن هناك صلةً وعلاقة بين المعنى الأصلي للشمس والمعنى العارض الذي استعملت فيه. وهذه العلاقة هي المشابهة، لأن الشخص الوضيء الوجه يُشبه الشمس في الإشراق، ولا يمكن أن يلتبس عليك الأمر فتفهم من «شمس تظللني» المعنى الحقيقي للشمس، لأن الشمس الحقيقية لا تظلل، فكلمة تظللني إذاً تمنع من إرادة المعنى الحقيقي، ولهذا تسمى قرينة دالة على أن المعنى المقصود هو المعنى الجديد العارض.

وإذا تأملت البيت الثاني للبحرني رأيت أن كلمة «هزبراً» الثانية يراد بها الأسد الحقيقي، وأن كلمة «هزبر» الأولى يراد بها الممدوح الشجاع، وهذا معنى غير حقيقي، ورأيت أن العلاقة بين المعنى الحقيقي للأسد والمعنى العارض هي المشابهة في الشجاعة، وأن القرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي للأسد هي أن الحال المفهومة من سياق الكلام تدل على أن المقصود المعنى العارض، ومثل ذلك يقال في «أغلب من القوم» و«بأسل الوجه أغلباً» فإن الثانية تدل على المعنى الأصلي للأسد، والأولى تدل على المعنى العارض وهو الرجل الشجاع، والعلاقة المشابهة، والقرينة المانعة من إرادة المعنى الأصلي هنا لفظية وهي «من القوم».

تستطيع بعد هذا البيان أن تدرك في البيت الثاني للمتنبي أن كلمة «حسام» الثانية استعملت في غير معناها الحقيقي لعلاقة المشابهة في تحمل الأخطار. والقرينة تُفهم من المقام فهي حالية، ومثل ذلك كلمة «سحاب» الأخيرة فإنها استعملت لتدل على سيف الدولة لعلاقة المشابهة بينه وبين السحاب في الكرم، والقرينة حالية أيضاً.

أما بيت البحرني فمعناه أن عين الإنسان إذا أصبحت بسبب بكائها جاسوساً على ما في النفس من وجيد وحزن. فإن ما تَطْلُوِي عليه النفس منهما لا يكون سرّاً مكتوماً، فأنت ترى أن كلمة «العين» الأولى استعملت في معناها الحقيقي وأن كلمة «عين» الثانية استعملت في الجاسوس وهو غير معناها الأصلي، ولكن لأن العين جزء من

الjasوس وبها يعمل، أطلقها وأراد الكل شأن العرب في إطلاق الجزء وإرادة الكل، وأنت ترى أن العلاقة بين العين والjasوس ليست المشابهة وإنما هي الجزئية والقرينة «على الجوى» فهي لفظية.

وينضح من كل ما ذكرنا أن الكلمات: شمس، وهزبر، وأغلب، وحسام، وسحاب، وعين، استعملت في غير معناها الحقيقي لعلاقة وارتباط بين المعنى الحقيقي والمعنى العارض وتسمى كل كلمة من هذه مجازاً لغوياً.

القاعدة

(١٢) المَجَازُ اللَّغَوِيُّ هُوَ اللَّفْظُ الْمُسْتَعْمَلُ فِي غَيْرِ مَا وُضِعَ لَهُ لِعَلَاقَةٍ مَعَ قُرَيْنَةٍ مَانِعَةٍ مِنْ إِدَاةِ الْمَعْنَى الْحَقِيقِيَّةِ. وَالْعَلَاقَةُ بَيْنَ الْمَعْنَى الْحَقِيقِيَّةِ وَالْمَعْنَى الْمَجَازِيَّةِ قَدْ تَكُونُ الْمُشَابَهَةُ، وَقَدْ تَكُونُ غَيْرَهَا، وَالْقُرَيْنَةُ قَدْ تَكُونُ لَفْظِيَّةً وَقَدْ تَكُونُ خَالِيَّةً.

نَمُودَجْ

١ - قال أبو الطيب حين مرض بالحمى بمصر:

فإن أمرض فما مرض اضطجاري وإن أخم فما خم اغترامي

٢ - وقال حينما أئذ السحاب بالمطر وكان مع ممدوحه:

تعرض لي السحاب وقد قفلنا فقلنا إليك إن ميعي السحاب^(١)

٣ - وقال آخر:

بلادي وإن جارت علي عزيزة وقوى وإن ضئوا علي كرام

(١) قفلنا: رجعنا، وإليك: اكف.

الإجابة

المجاز	السبب	العلاقة	توضيح العلاقة	القرينة
١ - مرض	لأن الاضطراب لا يمرض	المشابهة	شبه قلة الصبر بالمرض لما لكل منهما من الدلالة على الضعف	لفظية وهي اضطرابي
ب - حم	لأن الاعتزام لا يحم	المشابهة	شبه انحلال العزم بالإصابة بالحمل لما لكل منهما من التأثير السيء	لفظية وهي اعتزامي
٢ - السحاب الأخيرة	لأن السحاب لا يكون رفيقاً	المشابهة	شبه الممدوح بالسحاب لما ل كليهما من الأثر النافع	لفظية وهي معي
٣ - بلادي	لأن البلاد لا تجور	غير المشابهة	ذكر البلاد وأراد أهلها فالعلاقة المحلية	لفظية وهي جارت

تعرينات

(١)

الكلمات التي تحتها خط استُعِيْلَتْ مرّة استعمالاً حقيقياً، ومرّة استعمالاً مجازياً؛ يبين المجازي منها مع ذكر العلاقة والقرينة لفظية أو حالية:

١ - قال المتنبي في المديح:

فَيَوْمًا بِخَيْلٍ تَطْرُدُ الرُّومَ عَنْهُمْ وَيَوْمًا بِجُودٍ تَطْرُدُ الْفَقْرَ وَالْجُبْنَ

٢ - وقال:

فَلَا زَالَتْ الشُّمُسُ الَّتِي فِي سَمَائِهِ مُطَالَعَةُ الشُّمُسِ الَّتِي فِي لِسَامِهِ^(١)

(١) المطالعة هنا المشاركة في الطلوع - أي لا زال باقياً بقاء الشمس فكلمتا طلعت في السماء كان وجهه طالعاً بإزائها.

٣ - وقال :

عَيْبٌ عَلَيْكَ تُرَى بِسَيْفٍ فِي الْوَعَى ما يفعل الضَّمْصَامُ بِالضَّمْصَامِ^(١)

٤ - وقال :

إِذَا اغْتَلَّ سَيْفُ الدَّوْلَةِ اعْتَلَّتِ الْأَرْضُ^(٢).

٥ - وقال أبو تمام في الرثاء :

وما مات حتى مات مضرب سيفه من الضرب واعتلت عليه القنا السمر^(٣)

٦ - كان خالد بن الوليد^(٤) إذا سار سار النصر تحت لوائه .

٧ - بنيت بيوتاً عاليات وتبّلها بنيت فخاراً لا تُسامى شواهدة

(٢)

١ - أَمِنْ الْحَقِيقَةِ أَمْ مِنْ الْمَجَازِ كَلِمَةُ «الشمسين» في قول المتنبي يَزْنِي أَخْتَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ؟ :

فَلَيْتَ طَالِبَةُ الشَّمْسَيْنِ غَائِيَةً وَلَيْتَ غَائِبَةُ الشَّمْسَيْنِ لَمْ تَغِبْ^(٥)

٢ - أَحَقِيقَةُ أَمْ مَجَازٌ كَلِمَةُ «بدرًا» في قول الشاعر؟ :

وَقَدْ نَظَرْتُ بَذْرَ الدُّجَى وَرَأَيْتُهَا فَكَانَ كِلَانَا نَاطِرًا وَخَذَهُ بَذْرًا

٣ - أَحَقِيقَةُ أَمْ مَجَازٌ كَلِمَةُ «ليالي» في قول المتنبي؟ :

نُشِرَتْ ثَلَاثَ ذَوَائِبٍ مِنْ شَعْرِهَا فِي لَيْلَةٍ قَازَتْ لِيَالِي أَرْبَعًا^(٦)

(١) الوعى: الحرب، والصمصام: السيف؛ يرهق أنك كالسيف في المضاء فلا حاجة بك إلى السيف.

(٢) اغتل: مرض.

(٣) مضرب السيف: حده، والقنا: الرماح، والسمر: الرماح أيضاً، أي لم يمت في ساحة الحرب حتى تلم سيفه وضعت الرماح عن المقاومة.

(٤) صحابي جليل وقائد كبير من قواد جنود المسلمين، قاتل المرتدين في عهد أبي بكر رضي الله عنه، ثم فتح الحيرة وجانباً عظيماً من العراق، وكان موقفاً في غزواته وحروبه، قال أبو بكر: عجزت النساء أن يلدن مثل خالد، وقد توفي سنة ٢١هـ.

(٥) يقصد بطالعة الشمسين الشمس الحقيقية، وبغاية الشمسين أخت سيف الدولة.

(٦) الذوائب: جمع ذؤابة وهي الخصلة من الشعر.

٤ - أحقيقة أم مجازُ كلمة «القمرين» في قول المتنبي؟ :

واشتَقِبَلْتُ قَمَرَ السَّمَاءِ بِوُجْهِهَا فَأَرْتُنِي الْقَمَرَيْنِ فِي وَقْتٍ مَعَا

(٣)

١ - استعمل الأسماء الآتية استعمالاً حقيقياً مرّةً ومجازياً أخرى لعلاقة المشابهة :

البرق - الرّيح - المطر - الدُّرّ - الثعلب - النسر - النجوم - الخنظل .

ب - استعمل الأفعال الآتية استعمالاً حقيقياً مرّةً ومجازياً أخرى لعلاقة المشابهة :

غرق - قتل - مرق - شرب - دفن - أراق - رمى - سقط .

(٤)

ضع مفعولاً به في المكان الخالي يكون مستعملاً استعمالاً مجازاً، ثم اشرح العلاقة والقرينة :

أحيا طلعت حرب...	نثر الخطيب...	زرع المخسن...
قوم المعلم...	قتل الكسلان...	حارث أوربا...

(٥)

ضع في جملة كلمة «أذن» لتدل على الرجل الذي يميل لسماع الوشائات، وفي جملة أخرى كلمة «يمين» لتدل على القوة، ثم بين العلاقة .

(٦)

كوّن أربع جمل تشتمل كل منها على مجازٍ لغويٍّ علاقته المشابهة .

(٧)

اشرح بيّني البحري في المديح ثم بين ما تضمنته كلمة «شمسين» من الحقيقة والمجاز :

طَلَّغْتُ لَهُمْ وَقْتَ الشَّرُوقِ فَعَايَنُوا سَنَا الشَّمْسَ مِنْ أَفْنِي وَوَجَّهْتُكَ مِنْ أَفْنِي^(١)
فَمَا عَايَنُوا شَمْسَيْنِ قَبْلَهُمَا اتَّقَى فَبَايَاؤُهُمَا وَقَفَا مِنْ الْغَرْبِ وَالشَّرْقِ^(٢)

(١) الاستعارة التصريحية والمَكْنِيَّة

الأمثلة:

١ - قال تعالى: ﴿كَذَّبْتَ أَبْرَأَتَهُ إِلَيْكَ إِنِّي أَخْرِجَ النَّاسَ مِنْ أَفْطَلَمَنْتِ إِلَى التَّوْبَةِ﴾.

٢ - وقال المتنبي وقد قابله مندوحوه وعانقه:

فَلَمْ أَرْ قَبْلِي مَنْ مَشَى الْبُحْرَ نَحْوَهُ وَلَا رَجُلًا قَامَتْ تُعَانِيَتُهُ الْأُسْدُ

٣ - وقال في مدح سيف الدولة:

أَمَا تَرَى ظَفَرًا حُلُومًا سَوَى ظَفَرِ تَصَافَحَتْ فِيهِ بَيْضُ الْهَيْدِ وَاللِّمَمِ^(٣)

١ - وقال الحجاج في إحدى خطبه:

إِنِّي لِأَزَى رُؤُوسًا قَدْ أُبْنِيتَ وَحَانَ قِطَافُهَا وَإِنِّي لَصَاجِبُهَا^(٤).

٢ - وقال المتنبي:

وَلَمَّا قَلَّتِ الْإِبِلُ امْتَطَطْنَا إِلَى ابْنِ أَبِي سُلَيْمَانَ الْخُطُوبَا^(٥)

٣ - وقال:

الْمَجْدُ عُوفِي إِذْ عُوفِيَتْ وَالْكَرَمُ وَزَالَ عُنْكَ إِلَى أَغْدَاثِكَ الْأَلَمُ

(١) السنا: التور، والأفنى: الناحية.

(٢) وقفا: أي متفقين في الميعاد.

(٣) بيض الهند: السيوف، واللمم جمع لمة: وهي الشعر المجاور شحمة الأذن، والمراد بها هنا الرؤوس. يقول: لا ترى الانتصار للذي إلا بعد معركة تتلاقى فيها السيوف بالرؤوس.

(٤) أبنت من أبيض الشعر إذا أدرك ونضج، وحان قطافها: آن وقت قطعها، يريد أنه بصير بحال الغوم من الشقاق والخلاف في بيعة أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان، فهو يحذرهم عاقبة ذلك.

(٥) امتطنا: ركبنا، والخطوب: الأمور الشديدة، يقول: لما عزت الإبل عليه لفقره حملته الخطوب على قصد هذا الممدوح فكانت له بمنزلة مطية يركبها.

البحث:

في كل مثال من الأمثلة السابقة مجاز لُغوي: أي كلمة استعملت في غير معناها الحقيقي فالمثال الأول من الأمثلة الثلاثة الأولى يشتمل على كلمتي الظلمات والنور ولا يُقصد بالأولى إلا الضلال، ولا يراد بالثانية إلا الهدى والإيمان، والعلاقة المشابهة والقرينة حالية؛ وبيت المتنبي يحتوي على مجازين هما «البحر» الذي يراد به الرجل الكريم لعلاقة المشابهة، والقرينة «مضى» و«الأشد» التي يراد بها الشجعان لعلاقة المشابهة، والقرينة «تعانقه»؛ والبيت الثالث يحتوي على مجاز هو «تصافحت» الذي يراد منه تلاقى، لعلاقة المشابهة والقرينة «بيض الهند واللمم».

وإذا تأملت كل مجاز سبق رأيت أنه تضمن تشبيهاً حُذِفَ منه لفظ المشبه واستعير بدله لفظ المشبه به ليقوم مقامه بادعاء أن المشبه به هو عين المشبه، وهذا أبعد مدى في البلاغة، وأدخل في المبالغة، ويسمى هذا المجاز استعارة، ولما كان المشبه به مصرحاً به في هذا المجاز سمي استعارة نصريحية.

نرجع إذاً إلى الأمثلة الثلاثة الأخيرة؛ ويكفي أن نوضح لك مثلاً منها لتفيس عليه ما بعده، وهو قول الحجاج في التهديد: «إني لأرى رؤوساً قد أينعت» فإن الذي يفهم منه أن يشبه الرؤوس بالثمرات، فأصل الكلام إني لأرى رؤوساً كالثمرات قد أينعت، ثم حذف المشبه به فصار إني لأرى رؤوساً قد أينعت، على تخيل أن الرؤوس قد تمثلت في صورة ثمار، ورُمز للمشبه به المحذوف بشيء من لوازمه وهو أينعت، ولما كان المشبه به في هذه الاستعارة محتجباً سميت استعارة مكنية، ومثل ذلك يقال في «امتطينا الخطوب» وفي كلمة «المجد» في البيت الأخير.

القاعدة

(١٣) الاستعارة من المجاز اللغوي، وهي تشبيه حُذِفَ أحد طرفيه، فعلاقتها المشابهة دائماً، وهي قسمان:

- أ - نصريحية، وهي ما صُرح فيها بلفظ المشبه به.
- ب - مكنية، وهي ما حُذِفَ فيها المشبه به ورُمز له بشيء من لوازمه.

نموذج

١ - قال المتنبي يصف دخول رسول الزوم على سيف الدولة:

وأقبل يمشي في البساط فما درى إلى البحر يسعى أم إلى البئر يرتقي

- ٢ - وصف أعرابي أخاً له فقال:
 كان أَخِي يَقْرِي الْعَيْنَ جَمَالاً وَالْأَذْنَ بَيَاناً^(١).
 ٢ - وقال تعالى على لسان زكريا:
 ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ النَّظْمُ مِنِّي وَأَسْتَحِلُّ الرَّأْسَ سَيِّئاً﴾.
 ٤ - وقال أعرابي في المدح:
 فُلَانٌ يَرْمِي بِطَرْفِهِ خَيْثُ أَشَارَ الْكَرَمُ^(٢).

الإجابة

- ١ - أ - شُبّه سيف الدولة بالبحر بجامع^(٣) العطاء ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به وهو البحر للمشبه وهو سيف الدولة، على سبيل الاستعارة التصريحية، والقرينة «فأقبل يمشي في البساط».
- ب - شُبّه سيف الدولة بالبدر بجامع الرفعة، ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به وهو البدر للمشبه وهو سيف الدولة، على سبيل الاستعارة التصريحية، والقرينة «فأقبل يمشي في البساط».
- ٢ - شُبّه إمتاع العين بالجمال وإمتاع الأذن بالبيان بقري الضيف، ثم اشتق من القري يَقْرِي بمعنى يُمتنع على سبيل الاستعارة التصريحية، والقرينة جمالاً وبيانا.
- ٣ - شُبّه الرأس بالوقود ثم حذف المشبه به، ورُمز إليه بشيء من لوازمه وهو «اشتعل» على سبيل الاستعارة المكنية، والقرينة إثبات الاشتعال للرأس.
- ٤ - شُبّه الكرم بإنسان ثم حذف ورُمز إليه بشيء من لوازمه وهو «أشار» على سبيل الاستعارة المكنية، والقرينة إثبات الإشارة للكرم.

تعريفات

(١)

أجر الاستعارة التصريحية التي تحتها خط فيما يأتي:

- (١) القري: إكرام الضيف وإطعامه.
 (٢) الطرف: البصر.
 (٣) الجامع في الاستعارة هو ما يعبر عنه في التشبيه بوجه الشبه.

١ - كُلُّ زُنْجِيَّةٍ كَأَنَّ سَوَادَ الْ - تَيْلٍ أَفْذَى لَهَا سَوَادُ الْإِهَابِ^(١)

٢ - وقال في وصف مزَيْن:

إِذَا لَمَعَ الْبَرْقُ فِي كَفِّهِ أَفَاضَ عَلَى الْوَجْهِ مَاءَ النَّعِيمِ^(٢)
لَهُ رَاحَةٌ سَبْرُهَا رَاحَةٌ تَمُرُّ عَلَى الْوَجْهِ مَرُّ التَّيْمِ^(٣)

٣ - وقال ابن المعتز:

جَمِيعُ الْحَقِّ لَنَا فِي إِمَامٍ قَتَلَ الْبُخْلَ وَأَخْبَا السَّمَاخَا

(٢)

أَجْرُ الاستعارة المكنية التي تحتها خط فيما يأتي:

١ - مدح أعرابي رجلاً فقال:

تَطَلَّعْتُ عَيُونُ الْفَضْلِ لَكَ، وَأَصْنَعْتُ آذَانُ الْمَجْدِ إِلَيْكَ.

٢ - ومدح آخر قوماً بالشجاعة فقال: أَقْسَمْتُ سَيُوفُهُمْ أَلَّا تُضَيِّعَ حَقًّا لَهُمْ.

٣ - وقال السري الرفاء:

مَوَاطِنُ لَمْ يَسْحَبْ بِهَا الْتَمِي ذَيْلُهُ وَكَمْ لِلْعَوَالِي بَيْتُهَا مِنْ مَسَاجِبِ^(٤)

(٣)

عَيْنُ التصريحية والمكنية من الاستعارات التي تحتها خط مع بيان السبب:

١ - قال دَعْبِلُ الْخَزَاعِي^(٥):

لَا تَعَجَّبِي يَا سَلْمُ مِنْ رَجُلٍ ضَحِكَ الْمَشْيَبُ بِرَأْيِهِ فَبَكَى^(٦)

(١) الإهاب: الجلد، يقول: إن القار الذي طلبت به السفن لشدة سواده كأنه جزء من الليل أهداه الليل إليها.

(٢) ماء النعيم: رونقه ونضارته.

(٣) الراحة الأولى: باطن الكف، والراحة الثانية: ضد التعب، يصف اليد باللطف والخفة.

(٤) العوالي: جمع عالية وهي الرماح، يقول: إن هذه الأماكن طاهرة من أدان الغواية وإنها منازل شجعان طالما جرت فيها الرماح.

(٥) كان شاعراً هجاء، ولد بالكوفة وأقام ببغداد، وشعره جيد؛ وقد أولع بالهجو والخط من أقدار الناس فهجا الخلفاء ومن دونهم، وتوفي سنة ٢٤٦.

(٦) يا سلم: يا سلمى.

٢ - ذمُّ أعرابي قوماً فقال: أولئك قومٌ يصومون عن المعروف، ويُفطرون على الفحشاء.

٣ - وذمُّ آخر رجلاً فقال: إنه سمين المال مهزول المعروف.

٤ - وقال البحترى يرثي المتوكل^(١) وقد قُتل غيلة:

فما قاتلتُ عنه المنايا جُنودَهُ ولا دافعتُ أُملاكهُ ودُخائِرُهُ^(٢)

٥ - وإذا العناية لاحظتْكَ عيونُها نَمَّ فـالمخاوفُ كلُّهنَّ أمانُ

٦ - وقال أبو العتاهية يهتئ المهدي^(٣) بالخلافة:

أنتَ الخلافة منقادة إلى تُجرز أدبـالـها

(٤)

ضع الأسماء الآتية في جمل بحيث يكون كلُّ منها استعارةً تصريعية مرةً ومكنيةً أخرى:

الشمس - البلبل - البحر - الأزهار - البرق

(٥)

حوّل الاستعارات الآتية إلى تشبيهات:

١ - قال أبو تمام في وصف سحابة:

دَيْمَةٌ سَمْحَةٌ الْقِيَادِ سَكُوبٌ مُسْتَفِيئٌ بِهَا الشَّرَى الْمَكْرُوبُ^(١)

٢ - وقال الشَّري في وصف الثلج وقد سقط على الجبال:

أَلَمْ يَرْبِمْهَا صُبْحاً فَأَلْفَى مُلِمَّ الشَّيْبِ فِي لَمَمِ الْجِبَالِ^(٢)

(١) هو المتوكل العباسي، بويغ بالخلافة بعد وفاة أخيه الرائق سنة ٢٣٢هـ، وكان جواداً محباً للعرمان، وقد نقل مقر الخلافة من بغداد إلى دمشق، وقتل غيلة سنة ٢٤٧هـ.

(٢) يقول: إن جيشه لم ينفعه حين هجم عليه الأعداء في قصره فلم يقاتل دونه، وإن أملكه وأمواله لم تنفي عنه شيئاً.

(٣) هو من خلفاء الدولة العباسية في العراق، أقام في الخلافة عشر سنين محمود العهد والسيرة محبباً إلى الرعية وكان جواداً، توفي سنة ١٦٩هـ.

(٤) الديمة: السحابة الممطرة. وسمحة القيادة أي أن الريح تفودها وهي لينة لا تمنع، وسكوب: كثيرة سكب المطر وصبه، والثرى: التراب.

(٥) ألم: نزل. والضمير يعود على الثلج، يربمها: يمتزئها والمقصود بمكانها، والضمير يعود إلى البقعة، واللمم جمع لمة وهي شعر الرأس.

٣ - وقال في وصف قلم:

وأهيف إن زعزعته البنا ن أمطر في الطرس لبلاً أحمر^(١)

(٦)

حوّل التشبيهات الآتية إلى استعارات:

- ١ - إن الرسول لنورٌ يُستضاء به .
- ٢ - أنا عُصْنٌ من غصونِ سَرْجِكَ، وفرعٌ من فروعِ دَوْخِكَ^(٢).
- ٣ - أنا السَّيْفُ إلا أنَّ لِلسَّيْفِ نبوةٌ ومثلي لا تَلْبُو عَلَيْكَ مضاربُهُ^(٣)
- ٤ - «ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ يَوْمَ يَدْعُوكَ فَهَيَّ كَالْجَحَّارَةِ أَوْ أَشَدَّ قَسْوَةً».
- ٥ - وإنَّ صَخْرًا لَنَاتَمُّ الْهُدَاءُ بِهِ كَأَنَّهُ عِلْمٌ فِي رَأْيِهِ نَارٌ^(٤)
- ٦ - أنا عَرَسٌ يَدِيكَ .
- ٧ - أَسَدٌ عَلَيَّ وَفِي الْحُرُوبِ نِعَامَةٌ رِبْدَاءٌ تَجْفِلُ مِنْ صَفِيرِ الصَّافِرِ^(٥)!

(٧)

اشرح قول ابن سنان الخفاجي^(٦) في وصف حمامة، ثم بيّن ما فيه من البيان:

وَمَا تَقِفُ فِي الْبَانِ تُمْلِي غَرَامَهَا عَلَيْنَا وَتَتَلَوُ مِنْ صِبَابَتِهَا صُحُفًا^(٧)
وَلَوْ صَدَقْتَ فِيمَا تَقُولُ مِنَ الْأَسَى لَمَا لَبَسْتَ طَوْقًا وَمَا خَضَبْتَ كَفًّا^(٨)

-
- (١) الهيف في الأصل: رقة الخصر، وزعزعته: هزته، والبنا: الأصابع أو أطرافها، الطرس: القوطاس، والأحمر: الأسود.
 - (٢) السرجة: الشجرة العظيمة وكذلك الدوحة.
 - (٣) نبوة السيف: عدم قطعه، يقول: أنا سيف لا ينبر عند مقاتلتك وإن نبا السيف الحقيقي.
 - (٤) العلم: الجبل، وكان العرب يوقدون ناراً بأعلى الجبال لهداية السارين.
 - (٥) ربداء: أي ذات لون مغبر، تجفل: أي تسرع في الهرب.
 - (٦) شاعر، أديب كان يرى رأي الشيعة، وقد ولي قلعة من قلاع حلب من قبل الملك محمود بن صالح فشق عصا الطاعة بها؛ فاحتال عليه الملك حتى سمّه فمات سنة ٤٦٦ هـ.
 - (٧) هفت الحمامة: مدت صوتها، والبان: ضرب من الشجر، وفي قوله (تتلو من صبابتها صحفاً) حسن وإبداع.
 - (٨) الأسى: الحزن.

(٢) تَقْسِيمُ الاستعارة إِلَى أَصْلِيَّةٍ وَتَبَعِيَّةٍ

الأمثلة:

- ١ - قال المتنبي يَصِفُ قَلَمًا:
يَمُجُّ ظِلَامًا فِي نَهَارٍ لِسَانُهُ وَيَفْهَمُ عَنْ قَالٍ مَا لَيْسَ يَسْمَعُ
- ٢ - وقال يخاطب سيف الدولة:
أَجْبِكَ يَا شَمْسُ الزَّمَانَ وَيَذَرُهُ وَإِنْ لَأَمَنِي فِيكَ الشُّهَا وَالْفَرَاقِدُ^(١)
- ٣ - وقال المعري في الرثاء:
فَتَى عَشِيقَتُهُ الْبَابِلِيَّةُ جَفْبَةً قَلَمٌ يَشْفِيهَا مِنْهُ بَرْشَفٌ وَلَا لَقَمٌ^(٢)

* * *

- ٤ - قال تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ قَوْمِي الْقَضِبُ أَخَذَ الْآلَافُ وَفِي نُشُخَيْهَا هُدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْجُونَ﴾^(٣).
- ٥ - وقال المتنبي في وصف الأسد:

وَزَدَ إِذَا الْبَحِيرَةُ شَارِبًا وَزَدَ الْفَرَاتُ زَيْزِرُهُ وَالنُّمَيْلُ^(٤)

البحث:

في الأبيات الثلاثة الأولى استعارات مكنية وتصريحية، ففي البيت الأول شُبِّهَ القلم (وهو مَرْجِعُ الضمير في لسانه) بإنسان ثم حذف المشبَّه به وَزُمِرَ إِلَيْهِ بِشَيْءٍ مِنْ لَوَازِمِهِ وهو اللسان، فالاستعارة مكنية، وشُبِّهَ المداد بالظلام بجوامع السواد واستعير اللفظ الدال على المشبَّه به للمشبَّه على سبيل الاستعارة التصريحية. وشبَّه الورق بالنهار بجوامع البياض ثم استعير اللفظ الدال على المشبَّه به للمشبَّه على سبيل الاستعارة التصريحية.

(١) السها: نجم خفي يمتحن الناس به أبصارهم، والفراقد جمع فرقد: وهو نجم قريب من القطب، وفي السماء فرقدان ليس غير.

(٢) الحبة: المدة من الزمان ويراد بها المدة الطويلة، ورشف الماء: مصه، والشم: الثقيل.

(٣) الورد: الذي يضرب لونه إلى الحمرة، والمراد بالبحيرة بحيرة طبرية، أي أن زهير الأسد شديد فإذا زار في طبرية سمع زهيره من في العراق ومصر.

وفي البيت الثاني شبه سيف الدولة مرّة بالشمس، ومرّة بالبدر بجامع الرفع والظهور، ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به وهو الشمس والبدر للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية في الكلمتين، وشبه من دونه مرّة بالسّها ومرّة بالنجوم بجامع الصّغر والخفاء، ثم استعير اللفظ الدالّ على المشبه به وهو السّها والفراقد للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية في الكلمتين.

وفي البيت الثالث شُهِتَ البابلية وهي الخمر بامرأة ثم حذف المشبه به ورُمزَ إليه بشيءٍ من لوازمه وهو «عِثْقَتُهُ» على سبيل الاستعارة المكنية.

وإذا رجعتُ إلى كل إجراء أجريته للاستعارات السابقة، رأيتُ أننا في التصريحية استعرنا اللفظ الدال على المشبه به للمشبه وأنا لم نُفعل عملاً آخر، ورُمزنا إليه بشيءٍ من لوازمه، وأن الاستعارة تُمّت أيضاً بهذا العمل؛ وإذا تأملت ألفاظ الاستعارات السابقة رأيتها جامدة غير مشتقة. ويسمى هذا النوع من الاستعارة بالاستعارة الأصلية.

انظر إذاً إلى المثالين الآخرين تجد بكل منهما استعارة تصريحية، وفي إجرائها نقول: شبه انتهاء الغضب بالسكوت بجامع الهدوء في كل، ثم استعير اللفظ الدالّ على المشبه به وهو السكوت للمشبه وهو انتهاء الغضب ثم اشتق من السكوت بمعنى انتهاء الغضب سكّت بمعنى انتهى.

وشبه وصول صوت الأسد إلى الفرات بوصول الماء بجامع أن كلا ينتهي إلى غاية ثم استعير اللفظ الدالّ على المشبه به وهو الورد للمشبه وهو وصول الصوت ثم اشتق من الورد بمعنى وصول الصوت ورد بمعنى وصل.

فإذا أنت وازنت بين إجراء هاتين الاستعارتين وإجراء الاستعارات الأولى رأيت أن الإجراء هنا لا ينتهي عند استعارة المشبه به للمشبه كما انتهى في الاستعارات الأولى، بل يزيد عملاً آخر وهو اشتقاق كلمة من المشبه به، وأن ألفاظ الاستعارة هنا مشتقة لا جامدة، ويسمى هذا النوع من الاستعارة بالاستعارة التبعية، لأن جريانها في المشتق كان تابعاً لجريانها في المصدر.

ارجع بنا ثانياً إلى المثالين الآخرين لتتعلّم منهما شيئاً جديداً، ففي الأول وهو «وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مَوَى الْفَضْبِ» يجوز أن يشبه الغضب بإنسان ثم يُحذف المشبه به ويرمزُ إليه بشيءٍ من لوازمه وهو سكت فتكون في «الغضب» استعارة مكنية. وفي الثاني وهو «ورد الفرات زثيره» يجوز أن يشبه الزثير بحيوان ثم يُحذف ويرمزُ إليه بشيءٍ من لوازمه وهو ورد فيكون في «زثيره» استعارة مكنية، وهكذا كل استعارة تبعية يصح أن يكون في قريتها استعارة

مكنية غير أنه لا يجوز لك إجراء الاستعارة إلا في واحدة منهما لا في كليهما معاً.

القواعد

(١٤) تَكُونُ الاستعارة أَصْلِيَّةً إِذَا كَانَ اللَّفْظُ الَّذِي جَرَتْ فِيهِ اسْمًا جَامِدًا.

(١٥) تكون الاستعارة تَبَعِيَّةً إِذَا كَانَ اللَّفْظُ الَّذِي جَرَتْ فِيهِ مُشْتَقًّا أَوْ فِعْلًا^(١).

(١٦) كُلُّ تَبَعِيَّةٍ قَرِيبَتُهَا مَكْنِيَّةٌ، وَإِذَا أُجْرِيَتْ الاستعارة في واحدة منهما اِئْتَنَعَ إِجْرَاؤُهَا فِي الْأُخْرَى.

نموذج

قال الشاعر:

١ - غَضْنَا الدَّهْرَ بِنَابِهِ لَيْتَ مَا حَلَّ بِنَابِهِ

٢ - وقال المتنبي:

حَمَلْتُ إِلَيْهِ مِنْ لِسَانِي خَدِيقَةً سَقَاها الْحِجَا سَقَى الرِّيَاضِ السُّحَابِ^(٢)

٣ - وقال آخر يخاطب طائراً:

أَنْتَ فِي خَضْرَاءَ ضَاحِكَةٍ مِنْ بَكَاءِ الْعَارِضِ الْهَتَنِ^(٣)

الإجابة

١ - شُبِّهَ الدهر بحيوان مفترس بجامع الإيذاء في كلٍّ، ثم حُذِفَ المشبَّه به وَرُمِزَ إِلَيْهِ بِشَيْءٍ مِنْ لَوَازِمِهِ وَهُوَ «خَضْرَاءُ» فَالاستعارة مكنية أصلية.

٢ - شُبِّهَ الشَّعْرُ بِحَدِيقَةِ الْجَمَالِ فِي كُلٍّ، ثُمَّ اسْتَعِيرَ اللَّفْظُ الدَّالُّ عَلَى الْمَشْبَّهِ بِهِ لِلْمَشْبَّهِ فَالاستعارة تصريحية أصلية، وشُبِّهَ الْحِجَا وَهُوَ الْعَقْلُ بِالسُّحَابِ بِجَامِعٍ

(١) تقسم الاستعارة إلى أصلية وتبعية عام في الاستعارة سواء أكانت تصريحية أم مكنية، ومثال الاستعارة المكنية التبعية أَعْجَبَنِي إِرَاقَةُ الضَّارِبِ دَمِ الْبَاغِي، فَقَدْ شَبَّهَ الْفَرْبَ الشَّدِيدَ بِالْقَتْلِ بِجَامِعِ الْإِهْلَاءِ فِي كُلِّ، وَاسْتَعِيرَ الْقَتْلَ لِلضَّرْبِ الشَّدِيدِ، وَاشْتَقَّ مِنْهُ قَاتِلٌ بِمَعْنَى ضَارِبٍ ضَرْبًا شَدِيدًا، ثُمَّ حُذِفَ وَرُمِزَ إِلَيْهِ بِشَيْءٍ مِنْ لَوَازِمِهِ وَهُوَ الْإِرَاقَةُ عَلَى طَرِيقِ الاستعارة المكنية التبعية.

(٢) الرِّيَاضُ مَفْعُولٌ بِهِ لِلْمَصْدَرِ وَهُوَ سَقَى، سَقَى مَضَافٌ وَالرِّيَاضُ مَضَافٌ إِلَيْهِ، وَأَصْلُ الْكَلَامِ سَقَى السُّحَابَ الرِّيَاضَ.

(٣) فِي خَضْرَاءَ: أَيِ فِي رَوْضَةِ خَضْرَاءَ، وَالْعَارِضُ الْهَتَنِ: السُّحَابُ الْكَثِيرُ الْأَمْطَارُ.

التأثير الحسن في كلّ وحذف المشبه به ورُمز إليه بشيء من لوازمه وهو «سقى» فالاستعارة مكنية أصلية.

٣ - شُبّه الإزهار بالضحك بجامع ظهور البياض في كلّ، ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، ثم اشتقّ من الضحك بمعنى الإزهار ضاحكة بمعنى مُزهِرة؛ فالاستعارة تصرّحية تبعية.

ويجوز أن نضرب صفحاً عن هذه الاستعارة، وأن نجريها في قرينتها فنقول: شُبّهت الأرض الخضراء بالآدمي، ثم حُذف المشبه به ورُمز إليه بشيء من لوازمه وهو ضاحكة فتكون الاستعارة مكنية.

وشُبّه نزول المطر بالكاء بجامع سقوط الماء في كلّ، ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، فالاستعارة تصرّحية أصلية، ويجوز أن تُجرى الاستعارة مكنية في العارض.

تعرينات (١)

يُنّ الاستعارة الأصلية والتبعية فيما يأتي:

- ١ - قال السري الرفاء يَصِفُ شَجَرَهُ:
إِذَا مَا صَافَحَ الْإِسْمَاعَ يَوْمًا تَبَسَّمَتِ الضَّمَائِرُ وَالْقُلُوبُ
- ٢ - وقال ابن الرُّومي:
بَلَدٌ صَجِبْتُ بِهِ الشَّيْبَةَ وَالضَّبَا وَلَيْسْتُ ثَوْبَ الْهَرِّ وَهوَ جَدِيدُ
- ٣ - وقال:

حَيْثُكَ عَنَّا شِمَالٌ طَافَ طَائِفُهَا بِجَنَّةٍ نَفَحَتْ رَوْحاً وَرِيحَاناً^(١)
هَبْتُ سَحِيرًا فَنَاجَى الْغُصْنَ صَاحِبَهُ سِرًّا بِهَا وَتَدَاعَى الطَّيْرُ إِعْلَاناً^(٢)

(١) الشمال: الريح التي تهب من ناحية القطب، ونفحت رَوْحاً وريحاناً: أولت راحة وطياً.

(٢) الضمير في هبت يعود على الشمال. سحيراً: قبيل الصبح، وناجى: حدث سراً، وتداعى: دعا بعضه بعضاً.

- ٤ - وقال البحرّي في وصف جيش:
وإذا السّلاح أضاء فيه رأى العبدُ
برأ تألّق فيه بخُر حديد^(١)
- ٥ - وقال ابن بُناتة السّغديّ^(٢) في وصف مُهرٍ أغرّ^(٣):
وأذهمَ يَسْتَمِدُّ اللَّيْلُ مِنْهُ
وتطلّعَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ الثُّرَيَّا
- ٦ - وقال التّهاميّ في رثاء ابنه:
يا كوكباً ما كان أقصرَ عُمره
وكذاكَ عُمرُ كواكبِ الأَشْجارِ
- ٧ - وقال الشّريف في الشّيب:
ضوءٌ تَشْتَعِنُ في سوادِ دَوَائِبي
لا أَسْتَضِيءُ بِهِ ولا أَسْتَضْبِعُ^(٤)
بُعْتُ الشّبابِ بِهِ على مِقْوِ لَهُ
بَيْعُ العَليَمِ بِأَنَّهُ لا يَرْبُحُ^(٥)
- ٨ - وقال البحرّي في وصف قَصْر:
مِلاثُ جِوَانِبِهِ الفَضاءُ وَعائِقَتْ
شُرُفَاتُهُ قِطْعَ السّحابِ المُمَطَّرِ
- ٩ - وقال في وصف روضة:
يُضاحِكُها الضّحى طَوَراً وطَوَراً
عَلَيْهَا الغَيْثُ يَنْسِجُ أنسِجَما^(٦)
- ١٠ - وقال في الشّيب:
ولَمَعِ كُنْتُ مَشْغُوفاً بِجِدَّتِهَا
فَما عفا الشّيبُ لِي عَنْها ولا صَفَحَا
- ١١ - وقال ابن التّعاوِذي في وصف روضة:
وأعطافُ الغُصُونِ لَهَا نَشَاطٌ
وَأَنفَاسُ النّجِيمِ بِها قُتُورُ^(٧)

(١) تألق البرق: لمع.

(٢) هو أبو نصر عبد العزيز، كان شاعراً مجيداً جمع بين حسن السبك وجودة المعنى، ومعظم شعره جيد، وله ديوان كبير، توفي سنة ٤٠٥ هـ.

(٣) الغرة: يابض في جبهة الفرس.

(٤) تشعشع الضوء: انتشر، واستصبح: استضاء بالمصباح.

(٥) المقّة: الحب.

(٦) ينسجم: يسيل.

(٧) الأعطاف: جمع عطف وهو الجانب، القُتور: الضعف.

١٢ - وقال مهيّار^(١):

ما لِنَارِي اللّهُو فِي لَيْلِ الصُّبَا ضَلُّ فِي فَجْرِ بَرَّاسِي وَضَحَا

(٢)

اجعل الاستعارات التبعية الآتية أصليّة:

١ - إِنْ أَنْطَرْتُ عَيْنَايَ سَحَا فَعَنْ بَوَارِقِي فِي مَفْرِقِي تَلْمَعُ^(٢)

٢ - إِنْ الثُّبَاعُ لَا يَضُ رُ إِذَا تَقَارَبَتِ الْقُلُوبُ

٣ - وقال ابن المعتز يصف صحابة:

بِأَكْبَسَةِ يَضْحَكُ فِيهَا بَرْقُهَا مَوْضُوءَةٌ بِالأَرْضِ مُرْخَاءُ الطُّنْبِ^(٣)

(٣)

اجعل الاستعارات الأصلية تبعية فيما يأتي:

١ - شَرُّ النَّاسِ مَنْ يَرْضَى بِهِمْ دِينَهُ لِبَنَاءِ دُنْيَاهُ.

٢ - شِرَاءُ النُّفُوسِ بِالْإِحْسَانِ خَيْرٌ مِنْ بَيْعِهَا بِالْعُدْوَانِ.

٣ - إِنْ خَوَّضَ الْمَرْءُ فِيهَا لَا يَغْنِيهِ وَفِرَارُهُ مِنَ الْحَقِّ مِنْ أَسْبَابِ عِثَارِهِ.

٤ - خَيْرٌ جَلِيَّةٌ لِلشَّبَابِ كَبُحُّ النَّفْسِ عِنْدَ جُمُوعِهَا.

(٤)

هات ست استعارات منها ثلاث أصلية وثلاث تبعية.

(١) هو أبو الحسن مهيّار بن مرزويه الكاتب الفارسي الديلمي، كان مجوسياً وأسلم على يد الشريف الرضي وتخرّج في الشعر عليه، ويمتاز في شعره بجزالة القول ورقة الحاشية وطول النفس، وتوفي سنة ٤٢٨هـ.

(٢) سحاً: صباً، والبوارق جمع بارق وهو البرق، والمفرق: وسط الرأس وهو الموضع الذي يفرق فيه الشعر.

(٣) الطنب: الحبل تشد به الخيمة، يقول: إن السحابة لثقلها بالماء تقرب أطرافها من الأرض.

(٥)

اشرح قول السري الرفاء في وصف دولاب^(١) وبين ما فيه من استعارات:

فَمِنْ جَنَّاتِ تَرْيَكَ الثُّورِ مُبْتَسِمًا فِي غَيْرِ إِنَائِهِ وَالْمَاءُ مُتَسَكِّبًا^(٢)
كَأَنَّ دَوْلَابَهَا إِذْ أَنْ مُغْتَرِبٌ نَأَى فَحَرٌّ إِلَى أَوْطَانِهِ طَرِبًا^(٣)
بَالِكٌ إِذَا عَقَّ زَهَرَ الرُّوضِ وَالذُّهُ مِنَ الْغَمَامِ عَدَا فِيهِ أَبَا حَدِيدًا^(٤)
مُسْمَرٌ فِي مَسِيرِ لَيْسٍ يُبْعِدُهُ عَنِ الْفَحْلِ وَلَا يُبْدِي لَهُ نَعْبًا^(٥)
مَا زَالَ يَطْلُبُ رَفْدَ الْبَحْرِ مُجْتَهِدًا لِيَبْرَزَ حَتَّى أَتَذَى الثُّورَ وَالْعُشْبَا^(٦)

(٣) تقسيم الاستعارة إلى مرشحة ومطلقة

الأمثلة:

- ١ - قال تعالى: ﴿أَوَلَيْكَ الَّذِينَ اشْتَرَوْا السَّلَاطَةَ بِالْهَدْيِ كَمَا رَمَتْ بِمَعْنَتِهِمْ﴾.
 - ٢ - وقال البحري:
- يُؤَدُّونَ الشَّجْبَةَ مِنْ بَعِيدٍ إِلَى قَمَرٍ مِنَ الْإِيوَانِ بَادٍ^(٧)
- ٣ - وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَا كَلَامًا حَلَقًا فِي الْبَارَةِ﴾^(٨).



- (١) الدولاب: آلة كالناعورة يستقى بها الماء وهي المعروفة «بالساقية».
- (٢) إبان الشيء بالكسر والتشديد: وقته، يقال كل الفاكهة في إبانها: أي في وقتها.
- (٣) أنين الدولاب: صوته عند دورانه، وحين المغترِب: شوقه ويكازه عند ذكر الوطن، والطرب: خفة تصيب الإنسان لشدة حزن أو سرور.
- (٤) عقه: هد بره، والأب الحذب: الأب الذي يتعلق بابنه ويعطف عليه، ويقول إذا جفا الغمام زهر الروض فلم يطره قام الدولاب مقامه فكان الزهر بمنزلة الأب الحاني على ولده فتحده وسقاه.
- (٥) يقول: إن الدولاب مجد في سيره ومن العجب أنه لا يعتمد عن مكانه ولا تبدو عليه علامات التنب.
- (٦) الرفد: المطاء، يقول: إن الدولاب ما يرح يستجدي البحر للبر فيأخذ من مائه ويسقيه حتى ارتوى البر ونما زهره واكتسى أنواباً من الأزهار والنبات.
- (٧) الإيوان: مكان مرتفع في البيت يجلس عليه.
- (٨) الجارية: السفينة.

٤ - وقال البحرّي:

وأرى المنايا إن رأت بك شَيْئَةً جَعَلَتْكَ مَرْمَى نَبْلِهَا الْمُتَوَاتِرِ^(١)

٥ - كان فُلانٌ أَكْتَبَ الناس إذا شَرِبَ قَلَمُهُ من دَوَائِيهِ أَوْ غَنَى فَوْقَ قِرْطاسِهِ.

٦ - وقال قُرَيْظُ بن أَتَيْفٍ:

قَوْمٌ إِذَا الشَّرُّ أَبْذَى نَاجِذِيهِ لَهُمْ طَارَوْا إِلَيْهِ زَرَفَاتٍ وَوُحْدَانًا^(٢)

البحث:

في الأمثلة الأولى استعارات تصريحية في «اشترؤا» بمعنى اختاروا، وفي «قمر» الذي يراد به شخص الممدوح، وفي «طغى» بمعنى زاد، وقد استوفت كل استعارة قريبتها، فقريئة الأولى «الضلالة»، وقريئة الثانية «يؤدون التحية» وقريئة الثالثة «الماء»، وإذا تأملت الاستعارة الأولى رأيت أنها قد ذكر معها شيء يلائم المشبه به، وهذا الشيء هو «فَمَا دِمَحَتْ يَحْتَرُّهُمْ»، وإذا نظرت إلى الاستعارة الثانية رأيت بها شيئاً من ملائمتها للمشبه، وهو «من الإيوان باد»، وإذا تأملت الاستعارة الثالثة رأيتها خالية مما يلائم المشبه به أو المشبه.

والأمثلة الثلاثة الثانية تشتمل على استعارات مكنية هي «الضمير» في رأت الذي يعود على المنايا التي شُبِّهَتْ بالإنسان. و«القلم» الذي شُبِّهَ بالإنسان أيضاً و«الشرب» الذي شُبِّهَ بحيوان مفترس، وقد تمت لكل استعارة قريبتها، إذ هي في الأولى إثبات الرؤية للمنايا، وفي الثانية إثبات الشرب والغناء للقلم، وفي الثالثة إثبات إبداء الناجذين للشرب.

وإذا تأملت رأيت أن الاستعارة الأولى اشتملت على ما يلائم المشبه به وهو «جعلتك مرمى نبلها»، وأن الاستعارة الثانية اشتملت على ما يلائم المشبه وهو «دوائه» و«قِرطاسه»، وأن الاستعارة الثالثة خلّت مما يلائم المشبه أو المشبه به، والاستعارة التي من النوع الأول تسمى مرشحة، والتي من النوع الثاني تسمى مجردة، والتي من النوع الثالث تسمى مطلقة.

(١) النبل المتواتر: الكثير المتوالي.

(٢) هو قريظ بن أتيّف من شعراء الحماسة وهو شاعر إسلامي.

(٣) التاجذان: التباين، وإبداء الشر ناجذيه كناية عن شدته وصعوبته. يفهم بالإقدام على المكاره والإسراع إلى الشدائد وأنهم لا يتواكلون ولا يتخاذلون.

القواعد

- (١٧) الاستعارة المُرَشَّحة: ما ذُكِرَ معها مُلائِمُ المشبّه به.
- (١٨) الاستعارة المجرّدة: ما ذُكِرَ معها مُلائِمُ المشبّه.
- (١٩) الاستعارة المُطلقة: ما خَلَّتْ من مُلائِماتِ المشبّه به أو المشبّه^(١).
- (٢٠) لا يُغْتَبَرُ الترشيحُ أو التجريدُ إلا بَعْدَ أَنْ تَمَّ الاستعارةُ باستيفائها قَرِينَتَهَا لفظيةً أو حاليّةً، ولهذا لا تُسَمَّى قَرِينَةُ التصريحية تجريداً، ولا قَرِينَةُ المكنية ترشيحاً.

نُمُودَج

- ١ - خُلِقَ فلانٌ أرقُّ من أنفاسِ الضبا إذا غازلت أزهارَ الربا^(٢).
- ٢ - فإنْ يَهْلِكْ فكلُّ عمودِ قَومٍ مِن الدُّنيا إلى هُلْكَ يَصِيرُ
- ٣ - إني شديدُ العطشِ إلى لقائك.
- ٤ - وَلَيْلَةٌ مَرَضَتْ مِن كُلِّ نَاجِيَةٍ قَما يَضِيءُ لَهَا نَجْمٌ ولا قَمَرٌ
- ٥ - سَقاكِ وَحيانا بِكَ اللهُ إِنما على العيسِ نَوْرٌ والخُذورُ كَمائِمة^(٣)

الإجابة

- ١ - في كلمة الضبا - وهي الريح التي تهبُّ من مطلع الشمس - استعارة مكنية لأنها شُبِّهَتْ بإنسان وحذِفَ المشبّه به ورُمِزَ إليه بشيءٍ من لوازمه وهو أنفاس الذي هو قرينة المكنية، وفي «غازلت» ترشيح.
- ٢ - في عمود استعارة تصريحية أصلية، شُبِّهَ رئيس القوم بالعمود بجامع أن كلاً يخجل، والقرينة «يهلك»، وفي «إلى هُلْكَ يصير» تجريد.

(١) من نوع الاستعارة المطلقة الاستعارة التي تشمل على ترشيح وتجريد معاً، مثالها في التصريحية، نطق الخطيب بالدور، براءة ثمينة، فارتاحت لها الأسماك. ومثالها في المكنية، قصف الموت شيابه قبل أن يزهو ويصل إلى الكهولة.

(٢) الربا: الأماكن العالية.

(٣) الخطاب في سقاك لمحبوته، يدعو لها بالسقا وأن يحيا بها كما يحيا الناس بالأزهار. والعيس الإبل. والكمائم جمع كمامة: وهي غلاف الزهرة.

- ٣ - شُبّه الاشتياق بالمعش بجمع التطلع إلى الغاية، فالاستعارة تصريحية أصلية، والقرينة «إلى لقائك» وهي استعارة مطلقة.
- ٤ - في مرضت استعارة تبعية شُبّهت الظلمة بالمرض والجامع خفاء مظاهر النشاط، ثم اشتق من المرض مَرِضت، فالاستعارة تصريحية تبعية، وفي «ما يضيء لها نجم ولا قمر» تجريد.
- ٥ - النور: الزهر، أو الأبيض منه، والمراد به هنا النساء، والجامع الحُسن؛ فالاستعارة تصريحية أصلية، وفي ذكر الخُدور تجريد، وفي ذكر الكمائم ترشيح فالاستعارة مطلقة.

تعرينات

(١)

يُبين نوع كل استعارة فيما يأتي، وعين الترشيح الذي بها:

- ١ - قال السري الرفاء:
- وقَدْ كَتَبَتْ أَيْدِي الزَّبِيعِ صَحَائِفًا كَأَنَّ سَطُورَ السُّرُورِ حُسْنًا سَطُورُهَا^(١)
- ٢ - إذا ما الدُّفْعُ جَرَّ عَلَى أَنَاسٍ كَلَاكِلُهُ أَنَاخٌ بِآخِرِينَا^(٢)
- ٣ - وقال المتنبي في ذم كافر:
- نَامَتْ نَوَاطِيرُ مِصْرَ عَنْ نَعَالِهَا وَقَدْ بَشِمْنَ وَمَا تَفْنَى الْعَنَاقِيدُ^(٣)
- ٤ - وقال آخر في وصف موقعة:
- وَالْمَوْتُ يَخْطُرُ فِي الْجُمُوعِ وَخَوْلَةٌ أَجْنَادُهُ مِنْ أَتْصُلِ وَعَوَالِي^(٤)
- ٥ - رأيت حبال الشمس كفة حابل تُحِيطُ بِنَا مِنْ أَشْمَلٍ وَجَنُوبٍ^(٥)

(١) السرو: شجر عال.

(٢) الكلكل: الصدر، يقول: إن عادة الدهر تكدير العيش فهو يصيب قوماً بأذاه ثم ينتقل إلى إصابة غيرهم.

(٣) الناطور: حارس الزرع، وبشم: أخذته نخمة وثقل من كثرة الأكل، يقول: إن سادات مصر غفلوا عن العيد فعبثوا بالأموال حتى أكلوا فوق الشيع.

(٤) الأنصل جمع نصل: وهو حديدة السيف، والعوالي: الرماح.

(٥) المراد بجبال الشمس أشعتها، وكفة الحابل: فخ الصياد، وأشمل جمع شمال.

- نُروُحُ بِهَا وَالْمَوْتُ ظَمَانٌ سَاغِبٌ بِلَا حِطْنَا فِي جَيْتِهِ وَذُهِوبٌ^(١)
- ٦ - وقال المتنبي:
- أَتَى الزَّمَانُ بِئُوهٍ فِي شَيْبَتِهِ فَسَرُّهُمْ وَأَتَيْنَاهُ عَلَى الْهَرَمِ^(٢)
- ٧ - وقال أبو تمام:
- نَامَتْ مُمُومِي عَنِّي جِبْنَ قُلْتُ لَهَا هَذَا أَبُو دُلْفٍ خُسْبِي بِهِ وَكَفَى!
- ٨ - حَايِزٌ أَنْ تَقْتُلَ وَتَتَّ شَابِكٌ، فَإِنْ لَكَ قَتْلُ قِصَاصٍ.
- ٩ - وقال بعضهم في وصف الكتب:
- لَنَا جُلُوسَاءُ لَا نَمْلُ خَدِيثَهُمْ أَلْيَاءُ مَأْمُونُونَ غَيْباً وَمَشْهُدَا
- ١٠ - وقال أبو تمام:
- لَمَّا انْتَضَيْتُكَ لِلْخَطُوبِ كَفَيْتُهَا وَالسَّيْفُ لَا يَكْفِيكَ حَتَّى يُنْتَضَى^(٣)
- ١١ - تَلَطَّخَ فُلَانٌ بَعَارَ لَنْ يُغْسَلَ عَنْهُ أَبَدًا.

(٢)

ما نوع الاستعارات الآتية وأين التجريد الذي بها؟

- ١ - رَجِمَ اللَّهُ امْرَأَ الْجَنِّ نَفْسَهُ بِإِعَادِهَا عَنْ شَهْوَاتِهَا.
 - ٢ - اشْتَرَى بِالْمَعْرُوفِ عِزَّكَ مِنَ الْأَذَى.
 - ٣ - أَضَاءَ رَأْيُهُ مُشْكَلاتِ الْأُمُورِ.
 - ٤ - انْطَلَقَ لِسَانُهُ عَنْ عِقَالِهِ فَأَوْجَزَ وَأَعْجَزَ.
 - ٥ - مَا اكْتَحَلَتْ عَيْنُهُ بِالنَّوْمِ أَرْقاً وَتَسْهِدًا.
 - ٦ - قَالَ الْمَتَنَبِيُّ:
- وَعَجَبْتُ النَّوَى الظُّلُمَاتِ عَنِّي فَسَاعَدَتِ الْبَرَاقِعُ وَالْحِجَالُ^(٤)

(١) ساغب: أي جائع.

(٢) الهرم: الشيخوخة، يقول: إن بني الزمان من الأمم السالفة جالوا في حداثة الدهر ونفستهم فرهم، ونحن أتينا وقد هرم فلم يبق عنده ما يسرنا.

(٣) انتضى السيف: جرده من غمده.

(٤) النوى: البعد والفرق، والمقصود بالظلمات هنا الحسان، والحجال: الخدود ومفردها خجلة.

- ٧ - لا تُخَضُّ في حديثٍ ليس من حَقِّكَ سماعه .
- ٨ - لا تَتَفَكَّهُوا بِأَعْرَاضِ النَّاسِ ؛ فَشَرُّ الْخُلُقِ الْغِيْبَةِ .
- ٩ - بَيْنَ فُكْيِهِ حُسَامٌ مُهْتَدٌ ، لَهُ كَلَامٌ مُسَدَّدٌ .
- ١٠ - اكْتَسَتْ الْأَرْضُ بِالنَّبَاتِ وَالزَّهْرِ .
- ١١ - تَبَسُّمُ الْبَرِّقِ فَأَضَاءَ مَا حَوْلَهُ .

(٣)

يُبَيِّنُ لِمَ كَانَتْ الِاسْتِعَارَاتُ الْآتِيَةُ مُطْلَقَةً وَادْكُرْ نَوْعَهَا :

- ١ - قَالَ أَغْرَابِي فِي الْخَمْرِ : لَا أَشْرَبُ مَا يَشْرَبُ عَقْلِي .
- ٢ - وَقَالَ الْمُتَنَبِّي يَخَاطِبُ مَدْمُوحَهُ :
يَا بَذْرُ يَا بَحْرُ يَا غَمَامَةُ يَا لَيْبَ الشَّرَى يَا جِمَامُ يَا رَجُلُ^(١)
- ٣ - وَوَصَفَ أَغْرَابِي قُحْطًا فَقَالَ : التَّرَابُ يَابِسُ وَالْمَالُ عَابِسُ^(٢) .
- ٤ - وَقَالَ تَعَالَى : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الصَّلَاةَ بِالْهَدْيِ وَالْكَذَابِ بِالْمَقْصُورِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾^(٣) .
- ٥ - رَأَيْتُ جِبَالًا تَمُخَّرُ الْعُجَابَ .
- ٦ - طَارَ الْخَبَرُ فِي الْمَدِينَةِ .
- ٧ - غَتَّى الطَّيْرُ أُنْثُودَتَهُ فَوْقَ الْأَغْصَانِ .
- ٨ - بَرَزَتْ الشَّمْسُ مِنْ جَذْرِهَا .
- ٩ - يَهْجُمُ عَلَيْنَا الدُّغْرُ بِجَيْشٍ مِنْ أَيَّامِهِ وَلِيَالِهِ .

(٤)

يُبَيِّنُ الِاسْتِعَارَاتُ الْآتِيَةُ وَمَا بِهَا مِنْ تَرْشِيحٍ أَوْ تَجْرِيدٍ أَوْ إِطْلَاقٍ :

- ١ - قَالَ الْمُتَنَبِّي :
- فِي الْخُدِّ إِنَّ عِزَّمَ الْخَلِيْطُ رَجِيْلًا مَطَرٌ تَزِيدُ بِهِ الْخُدُودُ مَحْوِلًا^(١)

(١) الشرى: مكان في بلاد العرب يوصف بكثرة الأسود .

(٢) المال: ما ملكته من كل شيء ، وعند أهل البادية الإبل .

(٣) الخليط: الرقيق المعاشر ، والمحول: الجذب ، والمراد به هنا الشحوب وزوال النضرة بسبب الحزن .

- ٢ - قال التهامي يعتذر لحساده:
- لا ذنب لي قد رُمْتُ كَتَمَ قَضَائِي
فَكأَنَّمَا بَرَقْتُ وَجْهَ نَهَارٍ
- ٣ - قال أبو تمام في المديح:
- نَالِ الْجَزِيرَةَ إِحْصَالَ فُكْلِكَ لَهُمْ
ثَبِيمَا نَدَاهُ إِذَا مَا الْبَرْقُ لَمْ يُشْمِ^(١)
- ٤ - وقال بدر الدين يوسف الذهبي^(٢):
- هَلُمَّ يَا صَاحِبَ رَوْضَةٍ
ثَبِيمُهَا يَغْتَرُّ فِي ذَيْلِهِ
- ٥ - قال ابن المعتز:
- يَجْلُو بِهَا الْعَائِي صَدَا هُمُ^(٣)
وَزَهْرُهَا يَفْضَحُ فِي كُفِّهِ
- ٦ - قال سعيد بن حميد^(٤):
- مَا تَرَى نِعْمَةَ السَّمَاءِ عَلَى الْأَرْضِ
ضَ وَشُكْرَ الرِّيَاضِ لِلْأَمْطَارِ^(٥)؟
- ٧ - زارني جبل ضِفْتُ ذَرْعاً بِزُرَّتِي^(٦).
- ٨ - قال أعرابي: مَا أَشَدَّ جَوْلَةَ الرَّأْيِ عِنْدَ الْهَوَى، وَأَشَقُّ فِطَامَ النَّفْسِ عِنْدَ الضَّبَا^(٧).
- ٩ - ووصف أعرابي بني يَزْمَكَ فَقَالَ: رَأَيْتُهُمْ وَقَدْ لَبَسُوا النِّعْمَةَ كَأَنَّهُمْ مِنْ ثِيَابِهِمْ.

(٥)

اجعل الاستعارات الآتية مرشحة ومرة مجردة:

لا تلبس الرياء، ولا تجر وراءك الطيش، ولا تعبت بمودة الإخوان، ولا تصاحب

- (١) الإمحال: الجذب، وشام البرق: نظر إليه منتظراً مطره، والمعنى اطلبوا نداءه إذا يشتم من صدق البرق.
- (٢) من الشعراء الممدودين بالشام في طبيعة عصر المماليك، وكان سهل الشعر عذبه مولعاً بالمحسنات اللفظية، وتوفي سنة ٦٨٠هـ.
- (٣) العاني: المتعب الحزين.
- (٤) في البيت استفهام محذوف، أي أما ترى الخ، والمراد بشكر الرياض ازدهارها.
- (٥) كاتب مترسل وشاعر رقيق الشعر نحا فيه منحى ابن أبي ربيعة، وقطعه المستعين العباسي ديوان رسائله، وتوفي سنة ٢٥٠هـ.
- (٦) ضاق به ذرعاً: ضعفت طاقته عنه ولم يجد منه مخلصاً، والثروة: كثرة الكلام وتردده.
- (٧) الضبا: الميل إلى الجهل والفتنة.

الشر، ولا تتخضع إذا نظرت في الأمور - بسراب^(١) بل أتبع النور دائماً في هذه الدنيا، واجتنب الظلام، وإذا عثرت فقم غير يائس. وإذا حاربك الدهر، فتجمل غير عابس.

(٦)

أ - هات ست استعارات تصريحية فيها المرشحة والمجردة والمطلقة.

ب - هات ست استعارات مكنية فيها المرشحة والمجردة والمطلقة.

(٧)

اشرح الآيات الآتية وبين ما فيها من ضروب الحُسن البياني:

قال الشريف في وصف ليلة:

وليلة خُضَّتْهَا على عجلٍ وَصُبَّحَهَا بِالظُّلَامِ مُعْتَصِمٌ^(٢)
تَطْلُعُ الْفَجْرُ فِي جَوَائِبِهَا وَأَنْقَلَبَتْ مِنْ عَمَّالِهَا الظُّلُمُ^(٣)
كَأَنَّمَا الدُّجْنُ فِي نَزَاحِهِ خَيْلٌ، لَهَا مِنْ بُرُوقِهِ لُجْمٌ^(٤)

(٤) الاستعارة التمثيلية

الأمثلة:

١ - عَاذَ السَّيْفُ إِلَى قَرَابِهِ، وَخَلَّ اللَّيْتُ مَنِيْعَ غَابِهِ.

(لمجاهد عاد إلى وطنه بعد سفر)

٢ - قال المتنبي:

وَمَنْ يَكُ ذَا قَمٍ مُرٍّ مَرِيضٍ يَجِدُ مُرًّا بِهِ الْمَاءَ الزُّلَّالَا
(لَمَنْ لَمْ يُرْزَقِ الذُّوقَ لِقَهْمِ الشَّعْرِ الرَّائِعِ)

٣ - قَطَعْتُ جَهِيْزَةً قَوْلَ كُلِّ خَطِيْبٍ.

(لَمَنْ يَأْتِي بِالْقَوْلِ الْفُضْلِ)

(١) السراب: ما تراه نصف النهار كأنه ماء.

(٢) معتصم: أي متمسك بالظلام متحصن به.

(٣) المقال: قيد الدابة.

(٤) الدجن: الغيم يملأ أقطار السماء، واللجم: جمع لجام.

البحث:

حينما عاد الرجل العامل إلى وطنه لم يُعد سيف حقيقيّ إلى قِرابه، ولم يُنزل أَسَدُ حقيقيّ إلى عرينه، وإذاً كل تركيب من هذين لم يستعمل في حقيقته، فيكون استعماله في عودة الرجل العامل إلى بلده مجازاً، والقرينة حالية، فما العلاقة بين الحالين يا ترى، حال رجوع الغريب إلى وطنه، وحال رجوع السيف إلى قِرابه؟ العلاقة المشابهة. فإن حال الرجل الذي نزع عن الأوطان عاملاً مجداً ماضياً في الأمور ثم رجوعه إلى وطنه بعد طول الكد، تشبه حال السيف الذي استلّ للحرب والجلاد حتى إذا ظفر بالنصر عاد إلى غمده. ومثل ذلك يقال في: «وحلّ الليثُ مَنيع غابه».

وبيت المتنبي يدل وضعمه الحقيقي على أن المريض الذي يصاب بمرارة في فمه إذا شرب الماء العذب وجده مرّاً، ولكنه لم يستعمله في هذا المعنى بل استعمله فيمن يعيبون شِعْرَه لعيب في ذوقهم الشعريّ. وضعف في إدراكهم الأدبيّ، فهذا التركيب مجاز قرينته حالية، وعلاقته المشابهة، والمشبّه هنا حال المولعين بدمه والمشبّه به حال المريض الذي يجد الماء الزلال مرّاً.

والمثال الثالث مثّل عربيّ، أصله أن قومًا اجتمعوا للتشاور والخطابة في الصلح بين حينئذ قتل رجل من أحدهما رجلاً من الحي الآخر، وإنهم لذلك إذا بجارية تُدعى جهيْزة أقبلت فأنبأتهم أن أولياء المقتول ظفروا بالقاتل فقتلوه، فقال قاتل منهم: «فَطَعْتُ جَهيْزَةً قَوْلَ كُلِّ خَطِيبٍ»، وهو تركيب يمثّل به في كل موطن يؤتى فيه بالقول الفصل.

فأنت ترى في كل مثال من الأمثلة السابقة أن تركيباً استعمل في غير معناه الحقيقي، وأن العلاقة بين معناه المجازي ومعناه الحقيقي هي المشابهة. وكل تركيب من هذا النوع يُسمى استعارة تمثيلية^(١).

القاعدة

(٢١) الاستعارة التمثيلية تركيب استُعمل في غير ما وُضِعَ له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة مغناه الأصلي.

(١) لا بد أن يكون كل من المشبّه والمشبّه به في الاستعارة التمثيلية صورة منتزعة من متعدد كما تراه واضحاً في الأمثلة.

نَمُودَجْ

١ - من أمثال العرب :

قَبْلَ الرَّمَاءِ تُمْلَأُ الْكَتَائِنُ^(١) (إِذَا قُلْتَهُ لِمَنْ يَرِيدُ بِنَاءَ بَيْتٍ مِثْلًا قَبْلَ أَنْ يَتَوَافَرَ لَدَيْهِ الْمَالُ).

٢ - أَنْتَ تَرْقُمُ عَلَى الْمَاءِ (إِذَا قُلْتَهُ لِمَنْ يُلِحُّ فِي شَأْنٍ لَا يُمْكِنُ الْحَصُولُ مِنْهُ عَلَى غَايَةٍ).

الإجابة

١ - شُبِّهَتْ حَالُ مَنْ يَرِيدُ بِنَاءَ بَيْتٍ قَبْلَ إِعْدَادِ الْمَالِ لَهُ، بِحَالِ مَنْ يَرِيدُ الْقِتَالَ وَلَيْسَ فِي كِتَائِنِهِ سَهَامٌ، بِجَامِعِ أَنْ كَلًّا مِنْهُمَا يَتِمَّجِلُ الْأَمْرَ قَبْلَ أَنْ يُعِدَّ لَهُ عُدَّتُهُ، ثُمَّ اسْتَعْمِرَ التَّرَكِيبُ الدَّالَ عَلَى حَالِ الْمَشْبُوهِ بِهِ لِلْمَشْبُوهِ عَلَى سَبِيلِ الِاسْتِعَارَةِ التَّمثِيلِيَّةِ، وَالْقَرِينَةُ حَالِيَّةٌ.

٢ - شُبِّهَتْ حَالُ مَنْ يُلِحُّ فِي الْحَصُولِ عَلَى أَمْرٍ مُسْتَحِيلٍ، بِحَالِ مَنْ يَرْقُمُ عَلَى الْمَاءِ، بِجَامِعِ أَنْ كَلًّا مِنْهُمَا يَغْمَلُ عَمَلًا غَيْرَ مُثْجِرٍ، ثُمَّ اسْتَعْمِرَ التَّرَكِيبُ الدَّالَ عَلَى الْمَشْبُوهِ بِهِ لِلْمَشْبُوهِ عَلَى سَبِيلِ الِاسْتِعَارَةِ التَّمثِيلِيَّةِ، وَالْقَرِينَةُ حَالِيَّةٌ.

تمرينات

(١)

إفرض حالًا تجعلها مشبهًا لكلٍّ من التراكيب الآتية، ثم أجز الاستعارة في خمسة تراكيب.

- ١ - إِنَّكَ لَا تَجْنِي مِنَ الشُّوكِ الْعَنْبَ. ٥ - لِكُلِّ صَارِمٍ نَبْوَةٌ^(٢).
- ٢ - أَنْتَ تَنْفُخُ فِي رَمَادٍ. ٦ - لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرِ مَرْتِنٍ.
- ٣ - لَا تَنْثِرِ الدَّرَّ أَمَامَ الْخَنَازِيرِ. ٧ - الْمُؤَرَّدُ الْعَذْبُ كَثِيرُ الرِّحَامِ.
- ٤ - يَتَغَيُّ الصَّيْدُ فِي عَرِيْسَةِ الْأَسَدِ^(٣). ٨ - اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ^(٤).

(١) الرماء: رمي السهام، والكتائن جمع كنانة وهي وعاء السهام.

(٢) النبوة: عدم قطع السيف.

(٣) العريسة: ماوى الأسد.

(٤) الضمير في اعقلها يعود على الناقة: أي قيدها ثم توكل على الله، أما أن تتركها بلا عقال ثم تتوكل على الله في حفظها فلا يجوز.

- ٩ - أَخَذَ الْقَوْمَ بَارِيهَا. ١٥ - أَنْتَ تَخْصِدُ مَا رَزَعْتَ.
- ١٠ - اسْتَسْمَنْتَ ذَا وَرَمَ. ١٦ - أَلَيْ ذَلُوكَ فِي الذَّلَاةِ.
- ١١ - أَنْتَ تُضْرِبُ فِي حَدِيدٍ بَارِدٍ. ١٧ - يُخَرَّبُونَ بِيَوْنَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ.
- ١٢ - هُوَ يَبْنِي قُصُوراً بِغَيْرِ أُسَاسٍ. ١٨ - إِنَّ الْحَدِيدَ بِالْحَدِيدِ يُفْلَحُ^(١).
- ١٣ - لَا بُدَّ لِلْمَصْدُورِ أَنْ يَتَفَتَّ^(٢). ١٩ - وَمَنْ قَصَدَ الْبَحْرَ اسْتَقَلَّ السَّوَاقِيَا^(٣).
- ١٤ - لِكُلِّ جَوَادٍ كِبُورَةٌ^(٤). ٢٠ - أَحْشَفًا وَسُوءَ كَيْلَةٍ^(٥).

(٢)

يَبَيِّنُ نَوْعَ كُلِّ اسْتِعَارَةٍ مِنَ الاسْتِعَارَاتِ الْآتِيَةِ وَأَجْرَهَا:

- ١ - قَالَ الْمَتَنِيُّ:
- غَاضَ الْوَفَاءُ فَمَا تَلَقَّاهُ فِي عِدَّةٍ وَأَعْوَزَ الضُّدُّ فِي الْأَخْبَارِ وَالْقِسْمِ^(٦)
- ٢ - قَالَ الْبَحْرِيُّ:
- إِذَا مَا الْجُرْحُ رُمَّ عَلَى فَسَادٍ تَبَيَّنَ فِيهِ إِهْمَالُ الطَّبِيبِ^(٧)
- ٣ - وَقَالَ الشَّاعِرُ:
- مَتَى يَبْلُغُ الْبُشْبَانُ يَوْماً ثَمَامَهُ إِذَا كُنْتَ تَبْنِيهِ وَغَيْرُكَ يَهْدِمُ؟
- ٤ - وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.
- ٥ - وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَزَقْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوتُ فِي بَعْثٍ وَنَفِخَ فِي الصُّورِ لَمَسَعَتْهُمْ جَمًّا﴾.
- ٦ - وَقَالَ الْبَارُودِيُّ^(٨):

- (١) يَفْلَحُ: يَقْطَعُ.
- (٢) الْمَصْدُورُ: الْمَصَابُ بِمَرَضٍ فِي صَدْرِهِ، وَالْفَتْ فِي الْفَخِّ، وَرَمَى الْفَاتَةِ.
- (٣) السَّوَاقِي: الْأَنْهَارُ الصَّغِيرَةُ.
- (٤) كِبُورَةُ الْجَوَادِ: عَشْرَتُهُ.
- (٥) الْحَشَفُ: رَدِيءُ الثَّمَرِ، وَالْكَيْلَةُ اسْمٌ بِمَعْنَى الْكَيْلِ.
- (٦) غَاضَ الْمَاءُ: قَلَّ وَنَقَصَ، وَالْمَدَّةُ: الْوَعْدُ، وَأَعْوَزَ: عَزَّ وَقَلَّ.
- (٧) رَمَّ الْجُرْحَ: أَصْلَحَ وَعَوَّلَجَ.
- (٨) هُوَ مُحَمَّدٌ سَامِيُّ الْبَارُودِيِّ حَامِلُ لَوَاهِ النَّهْضَةِ الشَّعْرِيَّةِ الْحَدِيثَةِ، شَعْرُهُ يَشَاكِلُ شَعْرَ الْفُحُولِ فِي صَدْرِ الْعَصْرِ الْمَبَاسِي، مَاتَ سَنَةَ ١٣٢٢هـ.

فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ مَا يُعْنِي عَنِ الْوَشْلِ^(١)

٧ - وقال آخر:

وَمَنْ مَلَكَ الْبِلَادَ بِغَيْرِ حَرْبٍ يَهُونَ عَلَيْهِ تَسْلِيمُ الْبِلَادِ

٨ - وقال:

أَصْأَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ دُجَّى اللَّيْلِ حَتَّى نَظَّمَ الْجَزَعُ نَاقِبَهُ^(٢)

٩ - وقال الشاعر:

وَمَنْ خَطَبَ الْخُسَاءَ لَمْ يُغْلِهِ الْمَهْرُ^(٣)

١٠ - وقال المتنبي:

إِلَيْكَ فَإِنِّي لَسْتُ بِمَنْزِلِ إِذَا أَتَى عِضَاضُ الْأَفَاعِي نَامَ فَوْقَ الْعُقَارِبِ^(٤)

١١ - أنت كمتبضع التمر إلى هجر^(٥).

١٢ - وقال المتنبي:

وَتُخْبِي لهُ الْمَالُ الصُّورَامُ وَالْقَنَا وَيَقْتُلُ مَا تُحْيِي التَّبَشُّمُ وَالْجَدَا^(٦)

١٣ - وقال يخاطب سيف الدولة:

أَلَا أَيُّهَا السَّيْفُ الَّذِي لَيْسَ مُعْتَدَاً وَلَا فِيهِ مُرْتَابٌ وَلَا مِنْهُ عَاصِمٌ

١٤ - لَا يَضُرُّ السَّحَابَ ثُبَاحُ الْكَلَابِ.

١٥ - لَا يَحْمَدُ السَّيْفُ كُلُّ مَنْ حَمَلَهُ^(٧).

(١) اللجة: معظم الماء، والوشل: القليل.

(٢) الجزع: الخرز، وتنظيم الجزع ضمه في سلك، وثقب الشيء: أوجد به ثقباً.

(٣) لم يغله المهر: أي لم يجده باعظاً.

(٤) إليك: أي كفى، يقول كفى عني فإنني لست ممن إذا خاف من الهلاك صبر على الذل، فجعل الأفاعي مثلاً للهلاك لأنها تقتل دفعة واحدة، والعقارب مثلاً للذل لأنها إذا لم تقتل تنزهر لسعها فكانت أطول عذاباً.

(٥) هجر: قرية باليمن تشتهر بكثرة تمرها.

(٦) الصورام: السيوف، والقنا: الرماح، والجدا: العطاء، أي أن السيوف والرماح تجمع له غنائم الأعداء، والكرم يفرق ما جمعت.

(٧) أي أن السيف لا يحمد كل حامل له فقد يكون حامله جباناً أو جاهلاً بضروب القتال.

- ١٦ - وَذِي رَجَمٍ قُلْنَتْ أَظْفَارُ ضِفْنِهِ
بِجِلْمِي عَنْهُ وَهُوَ لَيْسَ لَهُ جِلْمٌ^(١)
- ١٧ - لَا نَغْدُمُ الْحَنَاءَ دَامًا^(٢).
- ١٨ - «رَبَّنَا آفِزْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّأْ مُتْلِيلِينَ».

(٣)

اجعل التشبيهات الضمنية الآتية استعاراتٍ تمثيليةً بحذف المشبه وفرض حال أخرى مناسبة تجعلها مشبهة:

- ١ - قال المتنبي:
- وَلَمْ أَزُجْ إِلَّا أَفْـلَـكُ ذَاكَ وَنَنْ يُرْدُ مَوَاطِرَ مِنْ غَيْرِ السَّحَابِ يَظْلُمُ^(٣)
٢ - فَإِنْ تَزَعَمِ الْأَمْـلَـاكُ أَنَّكَ مِنْهُمْ فَنَخَارُ فَإِنَّ الشَّمْسَ بَعْضُ الْكَوَـكِبِ
- ٣ - وقال:
- خُذْ مَا تَرَاهُ وَذَعْ شَيْئًا سَمِعْتَ بِهِ فِي طَلْعَةِ الْبَدْرِ مَا يُغْنِيكَ عَنْ زُحْلِ^(٤)
- ٤ - وقال:
- لَعَلَّ عَشْبَكَ مَحْمُودٌ عَوَاقِبُهُ وَزَيْمًا صَحْبُ الْأَجْسَامِ بِالْجِلِ
- ٥ - وقال بعضهم في شريف لا يكاد يجد قوتاً:
- أَيْشَكُو لَشَيْمَ الْقَوْمِ كَطًا وَبَطْنَةً وَيَشْكُو فِتَى الْفَيْثِيَانِ مِنْ سُغُوبِ^(٥)
لَأَمْرِ عَدَا مَا حَوْلَ مَكَّةَ مَقْفِرًا جَدِيبًا وَبَاقِي الْأَرْضِ غَيْرُ جَدِيبِ^(٦)

(١) الضغن: الحقد.

(٢) اللام: العيب.

(٣) المواطر: جمع ماطر، يقول أنت أهل لما رجوته منك، وأنا أعلم أنني لم أصح رجائي في غير محله فلست كمن يرجو المطر من غير السحاب.

(٤) امدحه بما تراه منه، واترك ما سمعت به من شرف أجداده؛ فإن من ظهر له البدر استغنى بنوره عن زحل: وهو نجم بعيد خفي.

(٥) الكظ والبطنة: الامتلاء الشديد من الطعام، والسغوب: الجوع.

(٦) مقفرًا: خاليًا من النبات. والجديب: المكان لا خصب فيه.

(٤)

اجعل الاستعارات التمثيلية الآتية تشبيهات ضمنية بذكر حال مناسبة تجعلها مشبهة قبل كل استعارة:

- ١ - يمشي زُوَيْدًا وَيَكُونُ أَوْلَا^(١).
- ٢ - رَضِيَتْ من الغنيمة بالإياب^(٢).
- ٣ - أَنْت تَضِيءُ للناس وتُخْرِقُ.
- ٤ - كَفَى بك داءً أَنْ تَرَى المَوْتَ شَافِيًا.
- ٥ - لَيْسَ التَّكْحُلُ في العَيْنَيْنِ كَالْتَّكْحُلِ^(٣).
- ٦ - وَلَا بُدَّ دُونَ الشَّهْدِ مِنْ إِبْرِ التَّحْلِ^(٤).
- ٧ - هُوَ يَنْفُخُ في غير ضَرْمٍ^(٥).
- ٨ - أَنْت تَخْدُو بِلَا بَعِيرٍ^(٦).

(٥)

اذكر لكل بيت من الأبيات الآتية حالاً يُسْتَشْهَد فيها به ثم أجزِ الاستعارة وبين نوعها:

- ١ - قال المتنبي:
- وَمَنْ يَجْعَلِ الضَّرْغَامَ لِلصَّيْدِ بَازَةً تَصَيِّدُهُ الضَّرْغَامُ فِيمَا تَصَيِّدُ^(٧)

-
- (١) يضرب للرجل يدرك حاجته في نزوة ودعة.
 - (٢) مثل يضرب عند القناعة بالسلامة.
 - (٣) التكحل: وضع الكحل في العين، والكحل: سواد الجفون خلقة، أي ليس المصنوع كالمطبووع.
 - (٤) الشهد: العسل في شمعها، وإبرة النخل: شوكتها، يقول مَنْ طلب الشهد لم يصل إليه حتى يقاسي لسع النحل.
 - (٥) الضرم: الجمر.
 - (٦) الحدو: سوق الإبل والغناء لها.
 - (٧) الضرغام: الأسد يقول: مَنْ اتخذ الأسد بازاً يصيد به لم يأمن أن يصيده الأسد.

- ٢ - أَرَى خُلِّلَ الزَّمَادِ وَمِیْضَ نَارٍ
وَيُوثِيكَ أَنْ يَكُونَ لَهَا ضَرَامٌ^(١)
- ٣ - قَدَّرَ لِرَجْلِكَ قَبْلَ الْخَطْوِ مَوْضِعَهَا
فَمَنْ عَلَا زَلَقاً عَنْ غِرَّةٍ زَلْجاً^(٢)
- ٤ - وقال المتنبي:
وَفِي تَعَبٍ مَنْ يَحْسُدُ الشَّمْسَ ضَوْءَهَا وَيَجْهَدُ أَنْ يَأْتِيَهَا بِضَرْبٍ^(٣)
- ٥ - وقال البوصيري:
قَدْ تُتَكَرَّعُ الْعَيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِنْ زَمْدٍ وَيُتَكَرَّرُ الْفَمُ طَعْمَ الْمَاءِ مِنْ سَقَمٍ^(٤)
- ٦ - وقال المتنبي:
إِذَا اعْتَادَ الْفَتَى خَوْضَ الْمَنَائِيَا فَأَيَّسُرْ مَا يَمُرُّ بِهِ الْوُحُولُ^(٥)
- ٧ - وقال:
مَا الَّذِي عِنْدَهُ تُدَارُ الْمَنَائِيَا كَالَّذِي عِنْدَهُ تُدَارُ الشُّمُولُ^(٦)
- ٨ - قال كُثَيْرُ غَزَّةَ^(٧):
هَنِيئاً مَرِيئاً غَيْرَ دَاءٍ مُخَامِرٍ لِعِزَّةٍ مِنْ أَعْرَاضِنَا مَا اسْتَحْلَبَتْ^(٨)

- (١) الخلل متفرج ما بين الشئين، وميض النار لمعانها، والضرام: اشتعال النار في الحطب.
- (٢) الزلق: الأرض الملساء التي لا تثبت فيها قدم، والغرة: الغفلة، وزلج زلّ وسقط.
- (٣) الضرب: المثيل، يمثل الشاعر ممدوحه بالشمس ويمثل حساده بمن يريد أن يأتي للشمس بنظير فهو في تعب دائم، لأنه يجهد نفسه في طلب المحال.
- (٤) تنكر: تجهل، والسقم: المرض.
- (٥) يقول: إذا تعمَّد الإنسان خوض معارك الحرب لم يبالِ الوحول، يريد أن الوحل لا يمنعه من السفر لأنه متعود ما هو أشد من ذلك.
- (٦) الشمول: الخمر، أي ليس من يشتغل بالحرب كمن يشتغل باللهو.
- (٧) شاعر متين مشهور من أهل الحجاز، وفد على عبد الملك بن مروان فازدري منظره إلى أن عرف أدبه فرفع مجلسه، وأخباره مع عزة بنت جميل كثيرة، وكان عفيفاً في حبه، توفي بالمدينة سنة ١٠٥هـ.
- (٨) الداء المخامر: الدفين المستتر، أي أن ما استحلته عزة من ثلب أعراضنا يحل لها حان كونه هنيئاً غير مسبب لها داء ولا ألاماً.

- ٩ - زعم الفرزدق^(١) أن سيفُثُل مِرْبَعاً أبشِرْ بطول سلامة يا مِرْبِعُ^(٢)
 ١٠ - ولأَبْدُ لِلْمَاءِ فِي مِرْجَل عَلَى النَّارِ مُرْقَدَةٌ أَنْ يَفُورَا^(٣)
 ١١ - إِذَا قَالَتْ حَذَامُ فَصَدَّقُوهَا فَإِنَّ الْقَوْلَ مَا قَالَتْ حَذَامُ^(٤)
 ١٢ - لَقَدْ هُرِلْتُ حَتَّى بَدَا مِنْ هُرَالِهَا كُلاهَا وَحَتَّى سَامَهَا كُلُّ مُفْلِسٍ^(٥)

(٦)

- أ - هَاتِ استعارة تمثيلية تضربها مثلاً لَمَنْ يَكْسُلُ وَيَطْمَعُ فِي النَجَاحِ .
 ب - هَاتِ استعارة تمثيلية تضربها مثلاً لَمَنْ يَنْفَقُ أَمْوَالَهُ فِي عَمَلٍ لَا يَنْتَجِ .
 ج - هَاتِ استعارة تمثيلية تضربها مثلاً لَمَنْ يَكْتُبُ ثُمَّ يَمْحُو ثُمَّ يَكْتُبُ ثُمَّ يَمْحُو .
 د - هَاتِ مثلين عربيين وأَجْرِ الاستعارة التمثيلية في كل منهما .

(٧)

اشرح قول المتنبي بإيجاز، واذكر ما أعجبك فيه من التصوير البياني:

- رَمَانِي الدُّفْرُ بِالْأَرْزَاءِ حَتَّى فُؤَادِي فِي غَشَاءٍ مِنْ نِبَالٍ^(٦)
 فَصِرْتُ إِذَا أَصَابَتْنِي سِهَامٌ تَكَثَّرَتِ النَّصَالُ عَلَى النَّصَالِ^(٧)

(١) هو أبو فراس همام بن غالب. تغلب على شعره فخامة الألفاظ. وكان بينه وبين جرير مهاجاة ومناقسة مات سنة ١١٠هـ.

(٢) مريع: اسم رجل، وفي البيت من السخرية والهزء بالفرزدق ما فيه.

(٣) المرجل: القدر.

(٤) حذام: امرأة من العرب اشتهرت بصدق الحدس.

(٥) هزلت: أي ضعفت ونحف جسمها والضمير للشاة، والكلبي جمع كلبية، وسامها أراد شراءها، والمفلس: مَنْ لَمْ يَبْقَ لَهُ مَالٌ.

(٦) الأرزاء: المصائب، والغشاء: الغلاف، والنبال: السهام العربية، يقول: كثرت علي مصائب الدهر حتى لم يبق من قلبي موضع إلا أصابه سهم منها فصار في غلاف من السهام.

(٧) النصال: حذائد السهام، يقول: صرت بعد ذلك إذا أصابني سهام من تلك المصاب لا تجد لها موضعاً تنفذ منه إلى قلبي، وإنما تقع نصالها على نصال السهام التي قبلها فتتكسر عليها.

(٥) بلاغة الاستعارة

سبق لك أن بلاغة التشبيه آتية من ناحيتين: الأولى تأليف ألفاظه، والثانية ابتكار مشبه به بعيد عن الأذهان، لا يجول إلا في نفس أديب وهب الله له استعداداً سليماً في تعرف وجوه الشبه الدقيقة بين الأشياء، وأودعه قدراً على ربط المعاني وتوليد بعضها من بعض إلى مدى بعيد لا يكاد ينتهي.

وسر بلاغة الاستعارة لا يتمدى هاتين الناحيتين، فبلاغتها من ناحية اللفظ أن تركيبها يدل على تناسي التشبيه، ويحملك عمداً على تخيل صورة جديدة تُنسك زوْعُها ما تضمنه الكلام من تشبيه خفي مستور.

انظر إلى قول البحري في الفتح بن خاقان:

يُسمو بكف على العافين حائِيةً تهجي وطَرْبٍ إلى العلياء طُمَاح^(١)

ألست ترى كفه وقد تمثّلت في صورة سحابة هتانة تُصَبُّ ويلها على العافين السائلين، وأن هذه الصورة قد تمثّلت عليك مشاعرك فأذهلك عما اختبأ في الكلام من تشبيه؟

وإذا سمعت قوله في رثاء المتوكل وقد قُتل غيلةً:

صريعٌ تقاضاهُ الليالي حُشاشةٌ يجود بها والموت حُمزٌ أظافره^(٢)
فهل تستطيع أن تُبعد عن خيالك هذه الصورة المخيفة للموت، وهي صورة حيوان مفترس ضُرِجت أظافره بدماء قتلاه؟

لهذا كانت الاستعارة أبلغ من التشبيه البليغ؛ لأنه وإن بنى على ادعاء أن المشبه والمشبه به سواء لا يزال فيه التشبيه مؤثراً ملحوظاً بخلاف الاستعارة فالتشبيه فيها مُنْسِيٌّ مجحود؛ ومن ذلك يظهر لك أن الاستعارة المرشحة أبلغ من المطلقة، وأن المطلقة أبلغ من المجردة.

(١) العافين: سائل المعروف، وحانية: عاطفة شفيقة، وتهجي: تسيل، والطرف: البصر، والطُمَاح: الذي يغالي في طلب المعالي والسمي وراءها.

(٢) الصريع: المطروح على الأرض، وتقاضاه أصله تقاضاه حذفت إحدى التاءين؛ وهو من قولهم تقاضى الدائن منه إذا قبضه، والحشاشة: بقية الروح في المريض والجريح؛ يصفه بأنه ملقى على الأرض يلفظ النفس الأخير من حياته.

أما بلاغة الاستعارة من حيث الابتكار وزوغة الخيال، وما تحدثه من أثر في نفوس سامعيها، فمجال فسح للإبداع، وميدان لسابق المجيدين من فُرسان الكلام.

انظر إلى قوله عز شأنه في وصف النار: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنْ أَلْتَيْطَ كَلَّمَا أَلْتَى فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتُمْ عَزَّيْنَهَا أَلْأَنْزَ بَأْسَكُمْ تَذِيذٌ﴾^(١)؟ ترسم أمامك النار في صورة مخلوق ضخم بطايش مكفهز الوجه عابس يغلي صدره حقداً وغيطاً.

ثم انظر إلى قول أبي العتاهية في تهته المهدي بالخلافة:

أَتَتْهُ الْخِلَافَةُ مُتَقَادَةً إِلَيْهِ تُجَرَّرُ أَذْيَالُهَا

تجد أن الخلافة عادة هيفاء مدللة ملول فتن الناس بها جميعاً، وهي تأبى عليهم وتصد إعراضاً، ولكنها تأتي للمهدي طائعة في دلال وجمال تجر أذيالها تيهاً وخفراً. هذه صورة لا شك رائعة أبدع أبو العتاهية تصويرها، وستبقى حلوة في الأسماع حبيبة إلى النفوس ما بقي الزمان.

ثم اسمع قول البارودي:

إِذَا اسْتَلَّ مِثْلًا سَيْدٌ غَرَبَ سَبِيغِهِ تَفَزَّعَتِ الْأَفْلَاكُ وَالتَفَتِ الدُّهْرُ^(٢)

وخبرني عما تحسّ وعما يتأبك من هول مما تسمع، وقل لنا كيف خطرت في نفسك صورة الأجرام السماوية العظيمة حيّة حساسة ترتعد قزعاً ووهلاً، وكيف تصورت الدهر وهو يلتفت دهشاً وذهولاً؟

ثم اسمع قوله في منفا وهو نهب اليأس والأمل:

أَسْمَعُ فِي نَفْسِي ذَبِيبَ الْمُنَى وَالْمَحْ الشُّبُهَةِ فِي خَاطِرِي

تجد أنه رسم لك صورة للأمل يتمشى في النفس تمشياً مُحَسّاً يسمعه بأذنه. وأن الظنون والهواجس صار لها جسم يراه بعينه؟ هل رأيت إبداعاً فوق هذا في تصويره الشك والأمل يتجاذبان؟ وهل رأيت ما كان للاستعارة البارة من الأثر في هذا الإبداع؟

ثم انظر قول الشريف الرضي في الوداع:

(١) تمييز غيظاً: تنقطع غضباً على الكفرة، وهو تمثيل لشدة اشتعالها بهم، والفوج: الجماعة، والاستهام في قوله تعالى: ﴿أَلْأَنْزَ بَأْسَكُمْ تَذِيذٌ﴾؟ للتوبيخ.

(٢) غرب السيف: حده، وتفزعت: ذعرت أي أصابها الذعر وهو الخوف.

نَسْرِقُ الدَّمْعَ فِي الْجُيُوبِ حَيَاءً وَبِنَا مَا بِنَا مِنَ الْأَشْوَابِ
هو يسرق الدمع حتى لا يوضم بالضعف والخور ساعة الوداع، وقد كان يستطيع أن يقول: «نُسْرِقُ الدمع في الجيوب حياءً»؛ ولكنه يريد أن يسمو إلى نهاية المرتقى في سحر البيان، فإن الكلمة «نَسْرِقُ» ترسم في خيالك صورة لشدة خوفه أن يظهر فيه أثر للضعف، ولمهارته وسرعته في إخفاء الدمع عن عيون الرقباء. ولولا ضيق نطاق هذا الكتاب لعرضنا عليك كثيراً من صور الاستعارة البديعة، ولكننا نعتقد أن ما قدمناه فيه كفايةً وغناءً.

(٦) المعجاز المرسل

الأمثلة:

١ - قال المتنبي:

لَهُ أَيَادٍ عَلَيَّ سَابِقَةٌ أَعْدُ بِهَا وَلَا أَعْدُدُهَا^(١)

٢ - وقال تعالى: ﴿وَيُرْزَقُ لَكُمْ مِنْ أَلْسَمِهِ يَنْقَ﴾.

٣ - كَمْ بَعَثْنَا الْجُنُودَ جَرًّا رَأَوْا زُنُودَنَا الْمُفِئُونَ^(٢)

٤ - وقال تعالى على لسان نوح عليه السلام: ﴿وَأَنِّي كُنَّا دَعْوَتُهُمْ لِيُنْفِرَ لَهُمْ جَمَلًا أُصِيعَ فِي مَقَابِهِمْ﴾.

٥ - وقال تعالى: ﴿وَمَا تَوْأَلَى الْيَتَامَىٰ أَمْوَالُهُمْ﴾.

٦ - وقال تعالى على لسان نوح عليه السلام: ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوكَ عِبَادَكَ وَلَا يُدْرِكُوا إِلَّا فَجْرًا كَفَّارًا^(٣)﴾.

٧ - وقال تعالى: ﴿تَلْبَعُ نَائِمَةً^(٤) سَتَعُ الْأَرْبَابَةَ^(٥)﴾.

٨ - وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ^(٦)﴾.

(١) يقول: إن للمدحوح علي نعماً شاملة، فوجودي يعد من نعمه، ولا أستطيع أن احصر هذه النعم.

(٢) الجيش الجرار: الثقل السير لكثرة.

البحث:

عرفت أن الاستعارة من المجاز اللغوي، وأنها كلمة استعملت في غير معناها لعلاقة المشابهة بين المعنيين الأصلي والمجازي، ونحن نطلب إليك هنا أن تتأمل الأمثلة السابقة، وأن تبحث فيما إذا كانت مشتملة على مجاز.

انظر إلى الكلمة «أياد» في قول المتنبي: «أتظن أنه أراد بها الأيدي الحقيقية؟ لا. إنه يريد بها النعم، فكلمة أياد هنا مجاز، ولكن هل ترى بين الأيدي والنعم مشابهة؟ لا. فما العلاقة إذاً بعد أن عرفت فيما سبق من الدروس أن لكل مجاز علاقة، وأن العربي لا يُرسل كلمة في غير معناها إلا بعد وجود صلة وعلاقة بين المعنيين؟ تأمل تجد أن اليد الحقيقية هي التي تمنح النعم فهي سبب فيها، فالعلاقة إذاً السببية وهذا كثير شائع في لغة العرب.

ثم انظر إلى قوله تعالى: ﴿وَوَيْزِلْ لَكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾؛ الرزق لا ينزل من السماء ولكن الذي ينزل مطرٌ ينشأ عنه النبات الذي منه طعامنا ورزقنا، فالرزق مسبب عن المطر، فهو مجاز علاقته المسببية. أما كلمة «العيون» في البيت فالمراد بها الجواسيس، ومن الهين أن تفهم أن استعمالها في ذلك مجازي، والعلاقة أن العين جزء من الجاسوس ولها شأن كبير فيه فأطلق الجزء وأريد الكل: ولذلك يقال إن العلاقة هنا الجزئية.

وإذا نظرت في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَكْفُرُوا إِلَّا فَإِذَا جَاءَهُمْ مِّنْهُم مَّوَدَّائِهِمْ﴾ رأيت أن الإنسان لا يستطيع أن يضع إصبعه كلها في أذنه، وأن الأصابع في الآية الكريمة أطلقت وأريد أطرافها فهي مجاز علاقته الكلية.

ثم تأمل قوله تعالى: ﴿وَمَا تَأْتُوا مِنَ النَّارِ مَبْعُوثِينَ﴾ تجد أن التيمم في اللغة هو الصغير الذي مات أبوه، فهل تظن أن الله سبحانه يأمر بإعطاء يتامى الصغار أموال آبائهم؟ هذا غير معقول، بل الواقع أن الله يأمر بإعطاء الأموال من وصلوا بين الرشد بعد أن كانوا يتامى، فكلمة يتامى هنا مجاز لأنها استعملت في الراشدين والعلاقة اعتبار ما كان.

ثم انظر إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا يَكْفُرُوا إِلَّا فَإِذَا جَاءَهُمْ مِّنْهُم مَّوَدَّائِهِمْ﴾ تجد أن فاجراً وكفاراً مجازان لأن المولود حين يولد لا يكون فاجراً ولا كفاراً، ولكنه قد يكون كذلك بعد الطفولة فأطلق المولود الفاجر وأريد به الرجل الفاجر والعلاقة اعتبار ما يكون.

أما قوله تعالى: ﴿فَلْيَعْلَمِ يَوْمَئِذٍ﴾ والأمر هنا للسخرية والاستخفاف، فإننا

نعرف أن معنى النادي مكان الاجتماع، ولكن المقصود به في الآية الكريمة من في هذا المكان من عشيرته ونصرائه، فهو مجاز أطلق فيه المحل وأريد الحال، فالعلاقة المحلية.

وعلى الضد من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ والنعيم لا يحل فيه الإنسان لأنه معنى من المعاني، وإنما يحل في مكانه، فاستعمال النعيم في مكانه مجاز أطلق فيه الحال وأريد المحل فعلاقته الحالية.

وإذا ثبت كما رأيت أن كل مجاز مما سبق كانت له علاقة غير المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي، فاعلم أن هذا النوع من المجاز اللغوي يسمى المجاز المرسل^(١).

القواعد

(٢) المجاز المرسل كلمة استُعملت في غير معناها الأصلي لعلاقة غير المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي^(٢).

(٢٣) من علاقات المجاز المرسل:

السببية - المسببية - الجزئية - الكلية - اعتبار ما كان - اعتبار ما يكون - التخليئة - الحائية.

نموذج

١ - شربنت ماء الثيل.

٢ - ألقى الخطيب كلمة كان لها كبير الأثر.

٣ - واسأل القرينة التي كُتبا فيها.

(١) المرسل: المطلق، وإنما سمي هذا المجاز مرسلًا لأنه أطلق فلم يفيد بعلاقة خاصة.

(٢) ومن المجاز المرسل نوع يقال له المجاز المرسل المركب، وهو كل تركيب استعمل في غير ما وضع له لعلاقة غير المشابهة، وذلك كالجمل الخبرية المستعملة في الإنشاء للتحسر وإظهار الحزن كما في قول ابن الرومي:

بانسي شبابي فعز مطلبه وانبت بيني وبينه نسيه

فهذا البيت مجاز مرسل مركب علاقته السببية والقرينة حالية، فإن ابن الرومي لا يريد الاخيار، ولكنه، يشير إلى ما استحوذ عليه من الهم والحزن بسبب فراق الشباب.

- ٤ - يَلْبَسُ المصريون القطنَ الذي تُنتِجُه بلادهم.
- ٥ - والأعوجية ملء الطريق خَلَقَهُمْ والمشرقية ملء البوم فَوْقَهُمْ^(١)
- ٦ - سأوقد ناراً

الإجابة

- ١ - ماء النيل يراؤ بعض مائه فالمجاز مرسل علاقته الكلية.
- ٢ - الكلمة يراد بها كلام فالمجاز مرسل علاقته الجزئية.
- ٣ - القرية يراد بها أهلها فالمجاز مرسل علاقته المحلية.
- ٤ - القطن يراد به نسيج كان قطعاً فالمجاز مرسل علاقته اعتبار ما كان.
- ٥ - ملء البوم يراد به ملء الفضاء الذي يشرق عليه النهار فالمجاز مرسل علاقته الحالية.
- ٦ - ناراً يراد به حطب يؤول إلى نار فالمجاز مرسل علاقته اعتبار ما يكون.

تعريفات

(١)

يُبين علاقة كل مجاز مرسل تحته خط مما يأتي:

- ١ - قال ابن الزيات^(٢) في رثاء زوجته:
- أَلَا مَنْ رَأَى الطُّفْلَ الْمُفَارِقَ أُمَّهُ بَعِيدَ الْكُرَى غَيْثَاءُ تَنْسِكِبَانِ
- ٢ - ويُنسب إلى السموءل:
- تَسْبِيلُ عَلَى حَدِّ السُّيُوفِ تُفُوسُنَا وَلَيْسَ عَلَى غَيْرِ السُّيُوفِ تَسْبِيلُ

(١) الأعوجية: الخيل المنسوبة إلى أهوج وهو فرس كريم لبني هلال، والمشرقية: السيوف، وملء في الشطرين منصوب على الحال، وخبر المبتدأ في الشطر الأول الظرف خلفهم، وفي الشطر الثاني الظرف فوقهم؛ يصف المتنبي إحاطة جيوش سيف الدولة بأعدائه.

(٢) هو أبو جعفر محمد بن عبد الملك، وإنما اشتهر بابن الزيات لأن جده كان يجلب الزيت من مواضعه إلى بغداد، كان أديباً شاعراً بليغاً، وقد توارث للمحتصم ولابنه الواثق من بعده، وتوفي سنة ٢٢٣هـ.

- ٣ - أَلِمْنَا عَلَى مَنْفٍ وَقَوْلًا لِقَبْرِهِ
سَقَتْكَ الْغَوَادِي مَرْبِعاً ثُمَّ مَرْبِعاً^(١)
- ٤ - لَا أَرْكَبُ الْبَحْرَ إِنِّي
طَبِينٌ أَنَا وَغَوْ مَاءٌ
أَخَافُ مِنْهُ الْمَقَاطِبُ^(٢)
- ٥ - وَمَا مِنْ بِيْدٍ إِلَّا يَدُ اللَّهِ فَوْقَهَا
وَالطُّبِينُ فِي الْمَاءِ ذَائِبٌ
وَلَا ظَالِمٌ إِلَّا سَيُّبِلَى بِأَظْلَمِ
- ٦ - وَقَالَ الْمَتَنِي فِي دَمِ كَافُورٍ:
إِنِّي نَزَلْتُ بِكَذَابِينَ ضَيَّفُهُمْ
عَنِ الْقِرَى وَعَنِ التَّرْحَالِ مَحْدُودُ^(٣)
- ٧ - وَقَالَ:
رَأَيْتُكَ مَحْضُ الْجَلْمِ فِي مَحْضِ قُدْرَةٍ
وَلَوْ شِئْتَ كَانَ الْحَلْمُ مَثَلُ الْمُهَنْدِ^(٤)

(٢)

يُبَيِّنُ كُلَّ مَجَازٍ مَرْسَلٍ وَعِلَاقَتَهُ فِيمَا يَأْتِي:

- ١ - سَكَنَ ابْنُ خَلْدُونٍ بَصْرًا.
- ٢ - مِنَ النَّاسِ مَنْ يَأْكُلُ الْقَمَحَ وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْكُلُ الذَّرَّةَ وَالشَّعِيرَ.
- ٣ - إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَنَزَّرَ كَنَاتِهِ.
- ٤ - رَغَبْنَا الْغَيْثَ.
- ٥ - ﴿قَفَى رَحْمَةُ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(١٧).
- ٦ - خَمَى فُلَانٌ غَمَامَةً وَادِيَهُ (أَيَّ غُثْبِهِ).
- ٧ - قَالَ تَعَالَى فِي شَأْنِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَرَجَعْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾.

(١) ألما: أنزلا به، الغوادي: جمع غادية وهي السحابة تنشأ غدوة أو مطرة الغداة. والأحسن في مريع هنا أن تكون اسماً مأخوذاً من أربعة؛ والمعنى سقتك الغوادي أربعة أيام متوالية ثم أربعة أخرى متوالية يدعو بكثرة السقيا للقبر.

(٢) المقاطب: المهالك.

(٣) محدود: أي ممنوع، يعني أن الذين نزل بساحتهم كذابون في وعودهم، ضيفهم ممنوع عن الطعام لبخلهم، وهم يمنعون الرحيل حتى يظن الناس فيهم الكرم.

(٤) المحض: الخالص، والمهند: السيف الهندي، والمراد به هنا الحرب؛ يقول: رأيتك خالص الحلم في قدرة خالصة لا يشوبها عجز، ولو شئت أن تجعل الحرب مكان الحلم لفعلت.

- ٨ - وقال تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ (أي هلال الشهر).
- ٩ - سأجازيك بما قدمت يداك.
- ١٠ - وقال تعالى: ﴿وَأَذْكُمُوا مَعَ الْكَاذِبِينَ﴾ (أي صلوا).
- ١١ - وقال تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُ بِأَنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ (١).
- ١٢ - وقال تعالى: ﴿يَقُولُونَ يَا فَوْهِيهِمْ مَتَى لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمُ﴾.
- ١٣ - أذل فلان ناصية فلان^(١).
- ١٤ - سقت الذل للأرض.
- ١٥ - سال الوادي.
- ١٦ - قال عترة:
- فشككت بالرمح الأصم ثيابه
ليس الكريم على القنا بمحرّم^(٢)
- ١٧ - لا تجالسوا السفهاء على الخفي (أي الخمر).
- ١٨ - وقال أعرابي لآخر: هل لك بيت؟ (أي زوج).

(٣)

يبين من المجازات الآتية ما علاقته المشابهة، وما علاقته غيرها:

- ١ - الإسلام بحث على تحرير الرقاب.
- ٢ - ملك شاد للكنانة مجداً أختمت وضع أنه أباًؤه
- ٣ - تفرقت كلمة القوم.
- ٤ - غاض الوفاء وفاض القدر.
- ٥ - ﴿وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ (١).
- ٦ - أحيا المطر الأرض بعد موتها.

(١) الناصية: الرأس.

(٢) الرمح الأصم: العلب المعصمت. والمراد بالثياب هنا القلب، يصف نفسه بالإقدام ويقول: إن الكريم ليس بمحرّم ولا بعزيز على الرماح.

٧ - ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ فِي الْقَتْلِ﴾ : (أي فيمن سيقتلون).

٨ - قرر مجلس الوزراء كذا.

٩ - بعثت إليّ بحديقة جلّت معانيها، وأحكمت قوافيها.

١٠ - شرب البُن.

١١ - لا تكن أذنًا تتقبل كل وشاية.

١٢ - سرق اللص المنزل.

١٣ - قال تعالى: ﴿إِنِّي أَرْفَعُ أَصِيرُ خَمْرًا﴾.

(٤)

استعمل كل كلمة من الكلمات الآتية مجازاً مرسلًا للعلاقة التي أمامها:

- | | |
|------------------------|-----------------------------|
| ١ - غين - الجزية. | ٤ - المدينة - المحلية. |
| ٢ - الشام - الكلية. | ٥ - الكتان - اعتبار ما كان. |
| ٣ - المدرسة - المحلية. | ٦ - رجال - اعتبار ما يكون. |

(٥)

ضع كل كلمة من الكلمات الآتية في جملتين بحيث تكون مرةً مجازاً مرسلًا،
ومرةً مجازاً بالاستعارة:

العلم - السيف - رأس - الصديق

(٦)

اشرح البيتين وبين ما فيهما من مجاز:

لا يُعْرَتُكَ مَا تُرَى مِنْ أَنْسَاسٍ إِذْ تُخْعَثُ الضُّلُوعُ ذَاةَ دُوْنِهَا^(١)
فَضَحِ السُّوْطُ وَارْفَعَ الشَّيْفُ حَتَّى لَا تُرَى فَوْقَ ظَهْرِهَا أَمْرِيَا

المَجَازُ العَقْلِيّ

الأمثلة:

- ١ - قال المتنبي يصف ملك الروم بعد أن هزمه سيف الدولة:
وَتَمَيَّي بِمِ الْعُكَّازِ فِي الدُّبْرِ نَائِباً
وَقَدْ كَانَ يَأْبَى مَشْيَ أَشْقَرِ أَجْرَدًا^(١)
- ٢ - بنى عمرو بن العاص مدينة الفسطاط.
- ٣ - نهأ الزاهد صائماً وليه قائم.
- ٤ - ازدحمت شوارع القاهرة.
- ٥ - جَذَّ جَذُّكَ وَكَذَّ كَذُّكَ.
- ٦ - قال الحطيتي:
ذِعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرْخُلْ يُغَيِّتُهَا واقْعُدْ فِلَانِكَ أَتَتْ الطَّاعِمُ الْكَاسِي
٧ - وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَلَلًا يَنْكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ جَهَنَّمُ مَسْجُورًا﴾.
- ٨ - وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا﴾.

البحث:

أنظر إلى المثالين الأولين تجد أن الفعل في كل منهما أُسْنِدَ إلى غير فاعله، فإن العكاز لا يمشي، والأمير لا ييني، وإنما يسير صاحب العكاز، وييني عُيَالُ الأمير، ولكن لما كان العكاز سبباً في المشي والأمير سبباً في البناء أُسْنِدَ الفعل إلى كل منهما.

(١) العكاز: عصا في طرفها زج، وقوله مشى أشقر أجرد: أي مشى جواد أشقر أجرد، والأشقر من الخيل: الأحمر، والأجرد: القصير الشعر، بقول: إنه أقام في دير الرهبان وصار يمشي على العكاز تائباً من الحرب بعد أن كان لا يرضى مشي الجواد الأشقر، وهو أسرع الخيل عند العرب.

ثم انظر إلى المثالين التاليين تجد أن الصوم أُسند إلى ضمير النهار، والقيام أُسند إلى ضمير الليل، والازدحام أُسند إلى الشوارع، مع أن النهار لا يصوم، بل يصوم مَنْ فيه، والليل لا يقوم، بل يقوم مَنْ فيه، والشوارع لا تزدهم، بل يزدهمُ الناس بها، فالفعل أو شَيْبُهُ في هذين المثالين أُسند إلى غير ما هو له، والذي سَوَّغ ذلك الإسناد أن المسند إليه في المثالين زمانُ الفعل أو مكانه.

وفي المثال الخامس أُسند الفعلان «جَدَّ» و«كَذَّ» إلى مصدريهما ولم يُسندا إلى فاعليهما. وفي المثال السادس يقول الحطينة لَمَنْ يَهْجُوهُ: «واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي» فهل تظن أنه بعد أن يقول: لا ترحل لطلب المكارم يقول له: إنك تطعم غيرك وتكسوه؟ لا. إنما أراد اقعد كلًّا^(١) على غيرك مطعوماً مَكْسُواً فأُسند الوصف المسند للفاعل إلى ضمير المفعول.

وفي المثالين الأخيرين جاءت كلمة «مستوراً» بدل ساتر و«مأثياً» بدل آت، فاستعمل اسم المفعول مكان اسم الفاعل، وإن شئت فقل أُسند الوصف المبني للمفعول إلى الفاعل.

فأنت ترى من الأمثلة كلها أنَّ أفعالاً أو ما يشبهها لم تُسند إلى فاعلها الحقيقي، بل إلى سبب الفعل أو زمانه أو مكانه أو مصدره، وأنَّ صفات كانت من حقها أن تسند إلى المفعول أُسندت إلى الفاعل. وأخرى كان يجب أن تسند إلى الفاعل أُسندت إلى المفعول، ومن الهين أن تعرف أن هذا الإسناد غير حقيقي، لأن الإسناد الحقيقي هو إسناد الفعل إلى فاعله الحقيقي، فالإسناد إذاً هنا مجازي ويسمى بالمجاز العقلي؛ لأن المجاز ليس في اللفظ كالاستعارة والمجاز المرسل؛ بل في الإسناد وهو يدرك بالعقل.

القواعد

(٢٤) المجازُ العقليُّ هو إسنادُ الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة الإسناد الحقيقي.

(٢٥) الإسنادُ المجازيُّ يكونُ إلى سببِ الفعل أو زمانه أو مكانه أو مصدره، أو بإسنادِ المبني للفاعل إلى المفعول أو المبني للمفعول إلى الفاعل.

نموذج

١ - قال أبو الطيب:

أبا المسك أرجو منك نصراً على العدا وأملُ عزاً يخضب البيض بالدم^(١)
ويؤمأ يغيط الحاسدين وحالة أقيم الشقا فيها مقام الثم^(٢)

٢ - قال تعالى: ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَجَى﴾.

٣ - ذهبنا إلى حديقة غناء.

٥ - بنت الحكومة كثيراً من المدارس بمصر.

٦ - وقال أبو تمام:

نكاذ عطاياه يحسنُ جُسُوسُهَا إذا لم يُعوذْها بِرُفِيَةِ طَالِبِ^(٣)

الإجابة

١ - «أ» عزاً يخضب البيض بالدم.

إسناد خَضَبَ السيوف بالدم إلى ضمير العز غير حقيقي لأن العز لا يخضب
السيوف ولكنه سبب القوة وجمع الأبطال الذين يخضبون السيوف بالدم، ففي
العبرة مجاز عقلي علاقته السببية.

«ب» ويومأ يغيط الحاسدين.

إسناد غيظ الحاسدين إلى ضمير اليوم غير حقيقي، غير أن اليوم هو الزمان
الذي يحصل فيه الغيظ: ففي الكلام مجاز عقلي علاقته الزمانية.

٢ - ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾.

المعنى لا معصوم^(٤) اليوم من أمر الله إلا مَنْ رجمه الله، فاسم الفاعل أسند
إلى المفعول، وهذا مجاز عقلي علاقته المفعولية.

(١) أبو المسك: كنية كافور الإخشيدي، والبيض: السيوف، يقول: أرجو منك أن تنصروني على أعدائي، وأن توليني عزاً أتمكن به منهم وأخضب سيوفي بدمائهم.

(٢) يقول: وأرجو أن أبلغ بك يوماً يفتاظ فيه حسادي لما يرون من إعظامك لقدري وكذلك أرجو أن أبلغ بك حالة تساعدني على الانتقام منهم فأتنتقم بشقائي في حربهم.

(٣) يعوذها: يحصنها، والرقية: العوذة، جمعها رقى.

(٤) يجوز أن تكون «عاصم» مستعملة في حقيقتها، ويكون المعنى لا شيء يعصم الناس من قضاء الله إلا مَنْ رجمه الله منهم فإنه تعالى هو الذي يعصمه.

- ٣ - ذهبنا إلى حديقة غُثاء .
 غُثاء مشتقة من الغُنْ ؛ والحديقة لا تُغْنُ وإنما الذي يَغْنُ عَصافيرها أو دُبابها ؛
 ففي الكلام مجاز عقلي علاقته المكانية .
- ٤ - بنت الحكومة كثيراً من المدارس .
 الحكومة لم تبِنْ بنفسها ولكنها أمرت ؛ ففي الإسناد مجاز عقلي علاقته السببية .
- ٥ - تكاد عطاياه يُجن جنونها .
 إسناد الفعل إلى المصدر مجاز عقلي علاقته المصدرية .

تعرينات

(١)

وَضَحَ المجاز العقلي فيما تحته خط وبيّن علاقته وقرّيته:

- ١ - قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نَكُنْ لَهُمْ حَرَمًا آَبَاءً؟﴾ .
- ٢ - كان المنزل عامراً وكانت حُجْرُهُ مَضِيئَةً .
- ٣ - عَظُمَتْ عَظَمَتُهُ وصالت صرلته^(١) .
- ٤ - لَقَدْ لَعْنَتْنَا يَا أُمَّ غَيْلَانَ فِي السَّرَى وَنَمَتَ وما لَيْلُ المِطَيطِ بِنَائِمٍ^(٢)
- ٥ - مَلَكْنَا فَكَانَ الْعَفْوُ بِنَا سَجِيَةً قَلَمْنَا مَلَكْتُمْ سَال بِالذِّمِّ أَبْطَحُ^(٣)
- ٦ - ضرب الدهرُ بينهم وفرّق شملهم .
- ٧ - ﴿يَهَنَكُنْ ابْنِ لِي مَرَكًا لَمَلَّ أَنْلَغُ الْأَسْتَبَ أَشْتَبَ السَّمَوَاتِ﴾ .
- ٨ - جلسنا إلى مشرب عذب، ماؤه دافق .
- ٩ - قال طرفة بن العبد^(٤) :
- سَتَبِدِي لَكَ الْإِيَّامُ مَا كُنْتُ جَاهِلًا وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدْ^(٥)

(١) صال عليه: وثب .

(٢) السري: السير ليلاً، والمطي جمع مطية وهي الدابة تمطو: أي تسرع في مشيها .

(٣) الأبطح: مسيل واسع فيه دقاق الحصى .

(٤) شاعر من شعراء الجاهلية يمد في الطبقة الثانية منهم وهو من أجودهم طويلاً، فكلما طالت قصيدته حسنت، وكان في حسب من قومه، جريئاً على هجائهم وهجاء غيرهم، وله المعركة المشهورة .

(٥) من لم تزود: أي من لم تعطه زلداً، والزاد طعام المسافرين، يقول: إذا عشت فتعلمك الأيام ما لم تكن تعلم، ويأتيك بالأخبار ما لم تكلفه ذلك .

- ١٠ - يُغْنِي كَمَا صَدَحَتْ أَيْكَةُ وَقَدْ نَبِهَ الصُّبْحُ أَطْنَارَهَا^(١)
 ١١ - إِنَّا لَمِنْ مَغْشَرٍ أَقْنَى أَوَائِلَهُمْ قَبِيلُ الْكُمَاةِ أَلَا أَتَى الْمُحَاسِنَا^(٢)

(٢)

يُبَيِّنُ كُلَّ مَجَازٍ عَقْلِيٍّ وَعِلَاقَتَهُ فِي أَقْوَالِ الْعَرَبِ الْآتِيَةِ:

- ١ - طريق وارد صادر (يرده الناس وَيَصْدُرُونَ عنه).
- ٢ - له شرف صاعد، وَجَدُ مساعد^(٣).
- ٣ - ضَرْسُهُم الزَّمَانُ وطحتهم الأيام.
- ٤ - يفعل المال ما تعجز عنه القوة.
- ٥ - هم ناصب^(٤). جَدُّ غُثُور^(٥). يوم عاصف^(٦). رِيح عقيم^(٧). عَجَبٌ عاجب.
- ٦ - أَعْمِيزُ إِنْ أَبَاكَ غَيْرَ رَأْسُهُ مَرُّ اللَّيَالِي واختلاف الأعْصُرِ.
- ٧ - رمت به الأسفار أبعد مراميها. حربٌ غشوم^(٨). موت مائت (أي شديد). شِغْرٌ شاعر.
- ٨ - لها وجه يصفُ الحسن.
- ٩ - وضع فلاناً الشَّخْ وِدْنَاهُ النسب.
- ١٠ - أَرْضَهُمْ واعدة (إِذَا رُجِيَ خَيْرُهَا).
- ١١ - بَطَّشَتْ بِهِمْ أَمْوَالُ الدُّنْيَا.
- ١٢ - أَعْرَنِي أَذْنَا واعية.

-
- (١) صدح الطائر: رفع صوته بفناء، الأيكة: الشجرة.
 - (٢) الكُمَاة: جمع كُمى وهو الشجاع المتكفي في سلاحه أي المتفطني المستتر به، يقول: إنا من قوم أفتانهم الإقدام على الحروب وإغاثة المستغيثين.
 - (٣) الجد: الحظ.
 - (٤) هم ناصب: أي ذو نصب وتعجب على حد قولهم (رجل تامر ولاين) أي ذو تمر ولين، وقيل هو فاعل بمعنى مفعول فيه. لأنه ينصب فيه ويتعجب. كليل نائم: أي ينام فيه.
 - (٥) غُثُور: كثير العثار والزلل.
 - (٦) يوم عاصف: أي تعصف فيه الريح.
 - (٧) العقيم: هي التي لا تلقح سحاباً ولا شجراً.
 - (٨) الغشوم: كثير الغشم وهو الظلم.

(٣)

يُبَيِّنُ المجاز العقلي والمجاز المرسل والاستعارة فيما يأتي:

- ١ - كَفَى بِالْمَرْءِ غَيْبًا أَنْ تَرَاهُ لَهُ وَجَهُ وَلَيْسَ لَهُ لِسَانٌ
- ٢ - قال المتنبي:
- وَالْهَمُّ يَخْتَرِمُ الْجَسِيمَ نَحَافَةً وَتُضَيِّبُ نَاصِيَةَ الضُّبِّيِّ وَيُهَرِّمُ^(١)
- ٣ - قال الشريف الرضي يخاطب الشيب:
- أَيُّهَا الصُّبْحُ زُلْ ذَمِيمًا فَمَا أَظْ لَمْ يَسُومِي مِنْ ذَاكَ الظُّلَامِ
- ٤ - وقال النابغة الذباني:
- فَبِتُّ كَأَنِّي سَاوَرْتُنِي ضَنْبِلَةً مِنْ الرُّقْشِ فِي أَتْيَابِهَا السُّمُّ نَافِعٌ^(٢)
- ٥ - وَكَمْ عَلَّمْتُهُ نَظْمَ الْقَوَافِي فَلَمَّا قَالَ قَافِيَةً هَجَانِي
- ٦ - «وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِطْرًا زَلِيلًا»
- ٧ - نشر الليل ذوائبه.
- ٨ - «فَوَجَدْنَا فِيهَا جَنَادًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ»
- ٩ - فلا فضيلة إلا أنت لابسها ولا رعيبة إلا أنت زاعبها
- ١٠ - «رَبِّهَا وَرَبُّكَ وَالْمَلِكُ صَفًا صَفًا»^(٣)
- ١١ - «يُذَيِّعُ أُنْثَاءَهُمْ»

(٤)

إِشْرَحِ الأبيات الآتية وبين ما فيها من مجاز عقلي:

صَجِبَ النَّاسُ قَبْلُنَا ذَا الزُّمَانِ وَعَنَاهُمْ مِنْ أَمْرِهِ مَا عَنَانَا^(٣)

-
- (١) يخترم: يهلك، والناصية: شمر مقدم الرأس، يقول: إن الهم إذا استولى على الجسم هزله حتى يهلك، وقد يشيب به الصبي ويصير كالهرم من الضعف.
 - (١) ساورتنني: واتبنتني، والضنبيلة: الحية الدقيقة النحيفة، والرقش: جمع رقشاء وهي الحية فيها نقط سوداء وبيضاء، والسم الناقع: المنقوع، وإذا نقع السم كان شديد التأثير.
 - (٣) عناهم: أهمهم وشغلهم.

وَتَوَلَّوْا بِئُصْحَاءِ كُلِّهِمْ ۖ
 زُبْنًا تَوْحِيحًا ۖ لِيَالِي
 وَكَأَنَّا لَمْ يَرَضْ فِينَا يَرْزِيقُ
 كَلِمًا أَتَيْتِ الزَّمَانُ قَنَاءً
 ١ وَإِنْ سَرَّ بِعَمَضِهِمْ أَحْيَانًا
 ٢ وَلَكِنْ تُكْذِرُ الْإِحْسَانَا
 ٣ دَهْرٍ حَتَّى أَعَانَهُ مَنْ أَعَانَا^(١)
 ٤ رَكِبَ الْمَرْءُ فِي الْقَنَاءِ مِينَانَا^(٢)

بلاغة المجاز المرسل والمجاز العقلي

إذا تأملت أنواع المجاز المرسل والعقلي رأيت أنها في الغالب تؤدي المعنى المقصود بإيجاز، فإذا قلت: «هزم القائد الجيش» أو «قرر المجلس كذا» كان ذلك أوجز من أن تقول: «هزم جنود القائد الجيش»، أو «قرر أهل المجلس كذا»، ولا شك أن الإيجاز ضرب من ضروب البلاغة.

وهناك مظهر آخر للبلاغة في هذين المجازين هو المهارة في تخيير العلاقة بين المعنى الأصلي والمعنى المجازي، بحيث يكون المجاز مضموراً للمعنى المقصود خبير تصوير كما في إطلاق العين على الجاسوس، والأذن على سريع التأثير بالوشاية، والخف والحافر على الجمال والخيال في المجاز المرسل، وكما في إسناد الشيء إلى سببه أو مكانه أو زمانه في المجاز العقلي فإن البلاغة توجب أن يختار السبب القوي والمكان والزمان المختصان.

وإذا دقت النظر رأيت أن أغلب ضروب المجاز المرسل والعقلي لا تخلو من مبالغة بديعة ذات أثر في جعل المجاز رائعاً خلّاباً، فإطلاق الكل على الجزء مبالغة ومثله إطلاق الجزء وإرادة الكل، كما إذا قلت: «فلان فم» تريد أنه شرّ يلتقم كل شيء. أو «فلان أنف» عندما تريد أن تصفه بعظم الأنف فتبالغ فتجعله كله أنفاً. ومما يؤثر عن بعض الأدباء في وصف رجل أنافي^(٣) قوله: «لست أدري أهو في أنفه أم أنفه فيه».

(١) من: فاعل يرض أو أعانه على التنازع، يقول: كان الذي يعين الدهر على نكاية أهله لم يرض بما تجر حوادث الدهر من البلاء، فزاد عليها بلاء العداوة والشر.

(٢) القنأة: عود الرمح، والسنان: نصله.

(٣) الأنافي: عظيم الأنف.

الكناية

الأمثلة:

١ - تقول العرب: فُلَانَةٌ بَعِيدَةٌ مَهْوَى الْقَرْطِ.

٢ - قالت الخنساء^(١) في أخيها صخر:

طَوِيلُ السَّجَادِ رَفِيعُ الْعِمَادِ كَثِيرُ الرُّمَادِ إِذَا مَا شَأْ^(٢)

* * *

٣ - وقال آخر في فضل دار العلوم في إحياء لغة العرب:

وَجَدْتُ فِيكَ بَثُّ عَدْنَانٍ دَاراً ذَكَّرْتُهَا بِدَاوَةَ الْأَعْرَابِ

٤ - وقال آخر:

الضَّارِبِينَ بِكُلِّ أَبْيَضٍ مَخْذَمٍ وَالطَّاعِنِينَ مَجَامِيعِ الْأَضْعَانِ^(٣)

* * *

٥ - المجدُّ بَيْنَ قُوَيْيِكَ . وَالكَرْمُ مِلْءُ بُرْدِيكَ .

البحث:

مَهْوَى الْقَرْطِ المسافة من شَحْمَةِ الْأُذُنِ إِلَى الْكَتِفِ . وَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ الْمَسَافَةُ بَعِيدَةً لَزِمَ أَنْ يَكُونَ الْمُتَقَطِّعُ طَوِيلًا ، فَكَأَنَّ الْعَرَبِيَّ بَدَلَ أَنْ يَقُولَ : «إِنَّ هَذِهِ الْمَرْأَةَ طَوِيلَةُ الْجِدِّ» نَفَخْنَا بِتَعْبِيرٍ جَدِيدٍ يُفِيدُ اتِّصَافَهَا بِهَذِهِ الصِّفَةِ .

(١) هي تماضر بنت عمر لها منزلة رفيعة في الشعر وقد اشتهرت برثاء أخيها صخر، أسلمت مع قومها وماتت سنة ٥٤هـ .

(٢) شتا بالمكان، أقام به شتاء .

(٣) الضاربين منصوب بأمدح محذوفاً، والأبيض: السيف، والمخدوم على وزن المبرد: السيف السريع القطع، والأضغان، جمع ضغن وهو الحقد .

وفي المثال الثاني تصف الخنساء أخاها بأنه طويل النجاد، رفيع العماد، كثير الرماد. تريد أن تدل بهذه التراكيب على أنه شجاع، عظيم في قومه، جواد، فعدلت عن التصريح بهذه الصفات إلى الإشارة إليها والكناية عنها، لأنه يلزم من طول جمالة السيف طول صاحبه، ويلزم من طول الجسم الشجاعة عادة، ثم إنه يلزم من كونه رفيع العماد أن يكون عظيم المكانة في قومه وعشيرته، كما أنه يلزم من كثرة الرماد كثرة حرق الحطب، ثم كثرة الطبخ، ثم كثرة الضيوف، ثم الكرم، ولما كان كل تركيب من التراكيب السابقة، وهي بعيدة مهوى القرط، وطويل النجاد، ورفيع العماد، وكثير الرماد، كُني به عن صفة لازمة لمعناه، كان كل تركيب من هذه وما يشبهه كناية عن صفة.

وفي المثال الثالث أراد الشاعر أن يقول: إن اللغة العربية وجدت فيك أيتها المدرسة مكاناً يذكرها بعهد بدواتها. فعدّل عن التصريح باسم اللغة العربية إلى تركيب يشير إليها ويُعدّ كناية عنها وهو «بنت عدنان».

وفي المثال الرابع أراد الشاعر وصف ممدوحه بأنهم يطعنون القلوب وقت الحرب فانصرف عن التعبير بالقلوب إلى ما هو أملح وأوقع في النفس وهو «مجامع الأضغان»؛ لأن القلوب تُفهم منه إذ هي مُجْتَمَعُ الحقد والبغض والحسد وغيرها. وإذا تأملت هذين التركيبين وهما: «بنت عدنان» و«مجامع الأضغان» رأيت أن كلا منهما كُني به عن ذات لازمة لمعناه، لذلك كان كل منهما كناية عن موصوف وكذلك كل تركيب يماثلهما.

أما في المثال الأخير فإنك أردت أن تُثسب المجد والكرم إلى من تخاطبه، فعدلت عن يُثسبهما إليه مباشرة ونُسبتهما إلى ما له اتصال به، وهو الثوبان والبُرْدان، ويسمى هذا المثال وما يشبهه كناية عن نسبة. وأظهر علامة لهذه الكناية أن بصرح فيها بالصفة كما رأيت، أو بما يستلزم الصفة، نحو: في ثوبيه أسد، فإن هذا المثال كناية عن نسبة الشجاعة.

وإذا رَجَعْتَ إلى أمثلة الكناية السابقة رأيت أن منها ما يجوز فيه إرادة المعنى الحقيقي الذي يفهم من صريح اللفظ، ومنها ما لا يجوز فيه ذلك.

القواعد

(٢٦) الكِنَايَةُ لَفْظٌ أَطْلِقَ وَأُرِيدَ بِهِ لَازِمٌ مَعْنَاهُ مَعَ جَوَازِ إِرَادَةِ ذَلِكَ الْمَعْنَى.

(٢٧) تُتَفَسِّمُ الكِنَايَةُ بِاعْتِبَارِ الْمَكْنَى عَنْهُ ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ، فَإِنَّ الْمَكْنَى عَنْهُ قَدْ يَكُونُ صِفَةً،

وقد يكون موصوفاً، وقد يكون نسبة^(١).

نموذج

١ - قال المتنبي في وقعة سيف الدولة ببني كلاب:

فَمَنَّاهُمْ وَبُسْطُهُمْ حَرِيرٌ وَصُبْحُهُمْ وَبُسْطُهُمْ تُرَابٌ
وَمَنْ فِي كَفِّهِ مِثْمٌ قَنَاءٌ كَمَنْ فِي كَفِّهِ مِنْهُمْ خَضَابٌ^(٢)

٢ - وقال في مدح كافور:

إِنْ فِي ثَوْبِكَ الَّذِي الْمَجْدُ فِيهِ لَضِيَاءٌ يُزْرِي بِكُلِّ ضِيَاءٍ^(٣)

الإجابة

١ - كُنِيَ بِكَوْنٍ يُسْطِطُهُمْ حَرِيرًا عَنْ سَيَادَتِهِمْ وَعِزَّتِهِمْ، وَيَكُونُ بَسْطُهُمْ تُرَابًا عَنْ حَاجَتِهِمْ وَذَلَّتِهِمْ، فَالْكِنَايَةُ فِي التَّرَكِّيْبِ عَنْ صِفَةٍ.

٢ - وَكُنِيَ بِمَنْ يُخَيِّلُ قَنَاءَ عَنِ الرَّجُلِ، وَيَمْنُ فِي كَفِّهِ خَضَابٌ عَنِ الْمَرْأَةِ وَقَالَ: إِنَّمَا سِوَاهُ فِي الضَّعْفِ أَمَامَ سَطْوَةِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ وَيَطْشُهُ، فَكَلَّمَا الْكِنَايَتَيْنِ كِنَايَةً عَنْ مَوْصُوفٍ.

٣ - أَرَادَ أَنْ يُثَبِّتَ الْمَجْدَ لِكَافُورٍ فَتَرَكَ التَّنْصِيحَ بِهَذَا وَأَثْبَتَهُ لِمَا لَهُ تَعَلُّقٌ بِكَافُورٍ وَهُوَ الثَّوْبُ، فَالْكِنَايَةُ عَنْ نِسْبَةٍ.

(١) إِذَا كَثُرَتِ الْوَسَائِطُ فِي الْكِنَايَةِ نَحْوُ: كَثِيرُ الرَّمَادِ، سَمِيَتْ تَلْوِيحًا، وَإِنْ قَلَّتْ وَخَفِيَتْ نَحْوُ: فَلَانَ مِنَ الْمُسْتَرِحِّينَ، كِنَايَةً عَنِ الْجَهْلِ وَالْبَلَاةِ، سَمِيَتْ رَمْزًا، وَإِنْ قَلَّتِ الْوَسَائِطُ، وَوَضِحَتْ أَوْ لَمْ تَكُنْ سَمِيَتْ إِيمَاءً وَإِشَارَةً. نَحْوُ: الْفَضْلُ يَسِيرُ حَيْثُ سَارَ فَلَانٌ، كِنَايَةً عَنْ نِسْبَةِ الْفَضْلِ إِلَيْهِ. وَمِنَ الْكِنَايَةِ نَوْعٌ يُسَمَّى التَّعْرِيفِ، وَهُوَ أَنْ يُطْلَقَ الْكَلَامُ وَيُشَارَ بِهِ إِلَى مَعْنَى آخَرٍ يَفْهَمُ مِنَ السِّبَاقِ، كَأَن تَقُولَ لَشَخْصٍ يَضُرُّ النَّاسَ: «خَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ»، وَكَقَوْلِ الْمُتَنَبِّيِّ يَعْرِضُ سَيْفُ الدَّوْلَةِ وَهُوَ يَمْدَحُ كَافُورًا:

إِذَا الْجُودُ لَمْ يَرْزُقْ خِلَاصًا مِنَ الْأَذَى فَلَا الْحَمْدُ مَكْسُوبًا وَلَا الْمَالُ بَاقِيًا

(٢) الْقَنَاءُ: عَوْدُ الرَّجُلِ.

(٣) أَزْرَى بِهِ: اسْتَهَانَ، يَقُولُ: إِنْ فِي ثَوْبِكَ لَضِيَاءٌ مِنَ الْمَجْدِ يَفُوقُ كُلَّ ضِيَاءٍ بِقُوَّةِ إِشْرَاقِهِ.

تمرينات

(١)

يُبين الصفة التي تلزم من كل كناية من الكنايات الآتية:

- ١ - نُؤُومُ الضُّحَا.
- ٢ - أَلْقَى فلان عصاه.
- ٣ - ناعمة الكفين.
- ٤ - قُرِعَ فلانُ سِنَّهُ.
- ٥ - يُشار إليه بالبنان.
- ٦ - ﴿فَأَصْبَحَ يُفْلِحُ كَفَيْهِ عَلَى مَا أَتَقَى فِيهَا وَمِنْ حَاوِيَةٍ﴾.
- ٧ - ركب جناحي نعامه.
- ٨ - لوت الليالي كفه على العصا.
- ٩ - قال المتنبي في وصف فرسه:
- وأصرع أي ألوحش قَفْنِيته به وأنزل عنه مثله حين أرْغَب^(١)
- ١٠ - فلان لا يضع العصا عن عاتيقه.

(٢)

يُبين الموصوف المقصود في كل كناية من الكنايات الآتية:

- ١ - قوم ترى أزماحهم يزوم الوغى مشغوفةً بمواطن الكتمان
- ٢ - وقال تعالى: ﴿أَوَمَنْ يُنَشِّئُ فِي الْحَيَاةِ وَهُوَ فِي لِقَاعٍ غَيْرِ سَوِيٍّ﴾^(٢).

(١) أصرع: أقتل، وقفته: أتبعته، ومثله حال من الضمير في عنه يقول: إذا اتبعت بهذا الغرس وحشاً أدركته وصرعته، وأنزل عنه بعد الصيد وهو باق على نشاطه مثلما كان عند الركوب.

(٢) ينشأ في الحلية: يربى في الزينة، والخصام: الجدال، وغير مبين: غير قادر على الإبانة عما في ضميره، ومعنى الآية: أو جعلوا له البنات وهن اللاتي يتربين في الزينة، ولا يقدرن على الإبانة حين الخصام والجدال.

- ٣ - كان المنصور^(١) في بستان في أيام محاربته إبراهيم بن عبد الله بن الحسن^(٢) ونظر إلى شجرة خلاف^(٣)، فقال للربيع^(٤): ما هذه الشجرة؟ فقال: طاعة يا أمير المؤمنين!
- ٤ - مرَّ رجل في صحن دار الرشيد ومعه خُزْمَة خَيْرُزَان، فقال الرشيد للفضل بن الربيع^(٥): ما ذاك؟ فقال: عروق الرماح يا أمير المؤمنين، وكره أن يقول خَيْرُزَان؛ لموافقة ذلك لاسم أم الرشيد.
- ٥ - قال أبو نُوَاس^(٦) في الخمر:
- ولمّا شربناها وذُبْ دبيبها إلى موطنِ الأسرارِ قُلْتُ لها قفي
- ٦ - وقال المعري في السيف:
- سَلِيلُ النَّارِ دَقُّ وَرْقٍ حَشَى كَأَنَّ أَبَاهُ أَوْزَنَهُ السُّلَالَا^(٧)
- ٧ - كَبُرَتْ سُنُّ فُلَانٍ وَجَاءَهُ النَّذِيرُ.
- ٨ - سئل أعرابي عن سبب اشتعال شيبه، فقال: هذا رَغْوَةُ الشَّيَابِ.

(١) هو ثاني خلفاء بني العباس وباني مدينة بغداد، كان عارفاً بالفقه والأدب مقدماً في الفلسفة والفلك محباً للعلماء، بعيداً عن اللهو والعبث كثير الجهد والتفكير، توفي بمكة حاجاً سنة ١٥٨هـ.

(٢) إبراهيم بن عبد الله بن الحسن هو حفيد علي بن أبي طالب، وأحد الأمراء الأشراف الشجعان، خرج على المنصور العباسي فاستولى على البصرة، ثم كان بينه وبين جيوش المنصور وقائع هائلة، وقتل سنة ١٤٥هـ.

(٣) شجر الخلاف: صنف من الصفصاف.

(٤) هو الربيع بن يونس، وكان جليلاً نبلاً فصيحاً خبيراً بالحساب والأعمال حاذقاً بأمور الملك بصيراً بما يأتي ويخطر.

(٥) الفضل بن الربيع أديب حازم من كبار خصوم البرامكة ولي الوزارة بعد أن قضى الرشيد عليهم، ثم تَوَزَّرَ لِلأَمِينِ بن الرشيد، ولما ظفر المأمون واستقام له الملك أبعداه وأهمله حتى توفي سنة ١٢٧هـ.

(٦) هو أبو علي الحسن بن هانئ الشاعر المشهور، كان من أجود الناس بديهة وأرقهم حاشية، قال فيه الجاحظ: لا أحرف بعد بشار مولداً أشعر من أبي نواس، ولد سنة ١٤١هـ وتوفي سنة ١٩٥هـ.

(٧) السليل: الولد، والسلال: السل، وهو داء معروف يضيئ الأجسام وينحفها، يقول: إن السيف الذي هو وليد النار قد رقّ جسمه حتى إنه ليثبه ولداً مسلولاً قد ورث السل عن أبيه.

٩ - وسئل آخر، فقال: هذا غبار وقائع الدهر.

١٠ - يروى أن الحجاج قال للفضبان بن القُبَعْرِي: لأخيلك على الأدهم^(١)، فقال: مثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب؛ قال: إنه الحديد؛ قال: لأن يكون حديداً خير من أن يكون بليداً.

(٣)

يبين النسبة التي تلزم كل كناية من الكنايات الآتية:

١ - إن السماحة والمروءة والسدى في قبة ضربت على ابن الحشرج^(٢)

٢ - قال أعرابي: دخلت البصرة فإذا ثياب أحرار على أجساد عبيد.

٣ - وقال الشاعر:

اليمينُ يتبعُ ظلُّهُ والمجدُ يمشي في ركابه^(٣)

(٤)

يبين أنواع الكنايات الآتية وعين لازم معنى كل منها:

١ - مدح أعرابي خطيباً فقال: كان يليل الرقيق قليل الحركات^(٤).

٢ - وقال يزيد بن الحكم^(٥) في مدح المهلب^(٦):

أضبح في قبلك السماحة والمجد دُ وفضل الصلاح والحسب

(١) يريد الحجاج بالأدهم القيد، وبالحديد المعدن المعروف، وقد حمل القُبَعْرِي الأدهم على الفرس الأدهم وهو الأسود، وحمل الحديد على الفرس الذي ليس بليداً.

(٢) ابن الحشرج: اسمه عبد الله، وكان سيداً من سادات قيس وأميراً من أمرائها، ولي كثيراً من أعمال خراسان ومن أعمال فارس وكرمان، وكان جواداً كثير العطاء.

(٣) اليمن: البركة، والركاب: الإبل التي يسار عليها.

(٤) يقول: إنه رطب اللسان، تخرج كلماته من فيه بسهولة، ولا يستعين في إظهار مراده بإشارة أو حركة.

(٥) شاعر مشهور من شعراء العصر الأموي، ولاء الحجاج كورة فارس ثم عزله قبل أن يصل إليها، وكان أبي النفس شريفاً، وطبقته في الشعر عالية، توفي سنة ٩٠هـ.

(٦) هو المهلب بن أبي صفرة أمير فاتك جواد، تولى خراسان من قبل عبد الملك بن مروان، وقد توفي بها سنة ٨٣هـ.

٣ - وتقول العرب: فلان زخب^(١) الذراع، نقي الثوب، طاهر الإزار، سليم دواعي الصدر^(٢).

٤ - وقال البحري يصف قتلة ذبياً:

فَاتَّبَعْتُهَا أُخْرَى فَأَضَلَّتْ نَصْلَهَا بَخِيْتُ يَكُونُ اللَّبُّ وَالرُّغْبُ وَالْحِقْدُ^(٣)
٥ - وقال آخر في رثاء مَنْ مات بعلّة في صدره:

وَدُبَّتْ فِي مَوْطِنِ الْجِلْمِ عِلَّةٌ لَهَا كَالضَّلَالِ الرَّقْشِ شَرُّ ذَبِيبِ^(٤)
٦ - ووصف أعرابي امرأة فقال: تُرْخِي ذِيلَهَا عَلَى عُرْقُونِي نَعَامَةً.

(٥)

يُنْ نوع الكنايات الآتية، وَيُن منها ما يصح فيه إرادة المعنى المفهوم من صريح اللفظ وما لا يصح:

١ - وصف أعرابي رجلاً بسوء العشرة فقال:

كَانَ إِذَا رَأَى قُرْبَ مَنْ حَاجِبٍ حَاجِبًا.

٢ - وقال أبو نواس في المديح:

فَمَا جَازَهُ جُودٌ وَلَا حِلٌّ دَوْنُهُ وَلَكِنْ يَسِيرُ الْجُودُ حَيْثُ يَسِيرُ

٣ - وتكني العربُ عمن يجاهر غيره بالعداوة بقولهم:

لَيْسَ لَهُ جِلْدُ الثَّيْرِ، وَجِلْدُ الْأَزْقَمِ^(٥)، وَقَلَبٌ لَهُ ظَهْرُ الْمِجَنِّ^(٦).

(١) الرحب: الواسع.

(٢) دواعي الصدر: همومه، وسليم دواعي الصدر من سلم صدره من أسباب الشر.

(٣) ضمير أتبعها يعود على الطمعة، وأضلت: أخفيت، والنصل: حديدة السيف، واللّب: العقل، والرغب: الفزع والخوف.

(٤) الضلال جمع صل بالكسر: ضرب من الحيات صغير أسود لا نجاة من لدغته، والرقش جمع رقشاء وهي التي فيها نقط سوداء في بياض الحية الرقشاء من أشد الحيات إهناء.

(٥) الأزقم: الحية فيها سواد وبياض.

(٦) المجن: الترس؛ قلب له ظهر المجن مثل يضرب لمن كان لصاحبه على مودة ورعاية ثم حال عن المهّد.

- ٤ - فلان عريض الوساد^(١)، أغمُ القفا^(٢).
- ٥ - قال الشاعر:
- تَجُولُ خَلَاحِيلُ النِّسَاءِ وَلَا أَرَى لِرِزْمَلَةٍ خَلَخَالًا يَجُولُ وَلَا قُلْبًا^(٣)
- ٦ - وتقول العرب في المديح: الكرم في أثناء خلته، ويقولون: فلان نفخ شِدْقِيهِ، أي تكبر، وَوَرِمَ أَثْنُهُ إذا غضب.
- ٧ - قالت أعرابية لبعض الولاة: أشكو إليك قِلَّةَ الجُرْدَانِ^(٤).
- ٨ - وقال الشاعر:
- بِيضُ الْمَطَابِخِ لَا تُشْكُو إِمَانَهُمْ طَبَخَ الْقُدُورِ وَلَا غَسَلَ الْمَنَادِيلِ
- ٩ - وقال آخر:
- مَطْبَخُ دَاوُدَ فِي نَظَائِفِهِ أَشْبَهُ شَيْءٍ بِعَرَشِ بَلْقَيْسِ^(٥)
- ثِيَابُ طَبَاخِهِ إِذَا اتَّسَخَتْ أَتَقَى بَيَاضاً مِنَ الْقَرَاطِيسِ
- ١٠ - وقال آخر:
- فَتَى مُخْتَصِرُ الْمَأْكُورِ لِ وَالْمَشْرُوبِ وَالْمِطْطَرِ
- نَقِي الْكَأْسِ وَالْقُضْفِ ٢ وَالْمُتْدِيلِ وَالْقِذْرِ

(٦)

إشرح البيت الآتي وبيِّن نوع الكناية التي به:

فَلَسْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ تَذْمَى كُلُّوْمُنَا وَلَكِنْ عَلَى أُنْدَامِنَا تَقْطُرُ الدَّمَا^(٦)

- (١) عريض الوساد: أي طويل العنق إلى درجة الإفراط، وهذا مما يستدل به على البلاهة وقلة العقل.
- (٢) الغمم: غزارة الشعر حتى تفسق منه الجبهة أو القفا، وكان يزعم العرب أن ذلك دليل على الغباوة.
- (٣) رملة: اسم امرأة، والقلب بالضم: السوار.
- (٤) الجرذان: جمع جرد وهو ضرب من الفأر.
- (٥) بلقيس بكسر الباء. ملكة سبأ، وسبأ: عاصمة قديمة لبلاد اليمن.
- (٦) الأعقاب: جمع عقب وهو مؤخر القدم، والكُلُوم: الجراح، يقول: نحن لا نولي فنجرح في ظهورنا فتقطر دماء كلومنا على أعقابنا، ولكننا نستقبل السيوف بوجوهنا فإن جرحنا قطرت الدماء على أُنْدَامِنَا.

بلاغة الكناية

الكناية مظهر من مظاهر البلاغة، وغاية لا يصل إليها إلا من لطف طبعه وصفت فريحته، والسُرُّ في بلاغتها أنها في صور كثيرة تُعطيك الحقيقة مصحوبة بدليلها، والقضية وفي طيها بُرْهَانُهَا، كقول البحري في المديح:

يُخْضُونَ فَضْلَ اللَّحْظِ مِنْ حَيْثُ مَا بَدَا لَهُمْ عَنْ مَهِيْبٍ فِي الصُّدُورِ مَخْبِيبُ
فإنه كنى عن إكبار الناس للممدوح وَهَيَّيْنَهُمْ إِيَّاهُ بَغْضَ الْأَبْصَارِ الَّذِي هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ برهان على الهية والإجلال، وتظهر هذه الخاصة جلية في الكنايات عن الصفة والنسبة.

ومن أسباب بلاغة الكناية أنها تَضَعُ لك المعاني في صور المُحَسَّنَات، ولا شك أن هذه خاصة الفنون فإن المصور إذا رسم لك صورة للأمل أو اليأس بهزك وجعلك ترى ما كنت تُعْجِزُ عن التعبير عنه واضحاً ملموساً.

فمثل «كثير الزماد» في الكناية عن الكرم و«رسول الشر» في الكناية عن المزاح وقول البحري:

أَوَمَا رَأَيْتَ الْمُتَجِدَّ أَلْقَى زَحْلَهُ فِي آلِ طَلْحَةَ ثُمَّ لَمْ يَسْخَرْ
في الكناية عن نسبة الشرف إلى آل طلحة، كل أولئك يُبْرِزُ لك المعاني في صورة تشاهدها وترتاح نفسك إليها.

ومن خواص الكناية أنها تمكّنك من أن تُشْفِي غُلَّتْكَ من خضمك من غير أن تجعل له سبيلاً؛ ودون أن تُخْذِلَ وجه الأدب، وهذا النوع يسمى بالتعريض، ومثاله قول المتنبي في قصيدة يمدح بها كافوراً ويُعرض سيف الدولة:

رَحَلْتُ فَكُنْ بِأَلِكِ بِأَجْفَانِ شَادِنٍ عَلَيَّ وَكَمْ بِأَلِكِ بِأَجْفَانِ ضَمِيمٍ^(١)
وَمَا رَبِّهِ الْقَرْطُ الْمَلِيحُ مَكَائِدُ بِأَجْزَعٍ مِنْ رَبِّ الْحَسَامِ الْمَضْمِ^(٢)

(١) الشادين: ولد الغزال، والضيغم: الأسد، أراد بالباكي بأجفان الشادين المرأة الحسنة، وبالبكي بأجفان الضيغم، الرجل الشجاع، يقول كم من نساء ورجال بكوا على فراقه وجزعوا لارتحالي.

(٢) القُرط: ما يعلق في شحمة الأذن، والحسام: السيف القاطع، والمضمم: الذي يصيب المفاصل ويقطعها، يقول: لم تكن المرأة الحسنة بأجزع على فراقه من الرجل الشجاع.

فَلَوْ كَانَ مَا بِي مِنْ حَبِيبٍ مُقْتَنِعٍ عَذْرَتْ وَلَكِنْ مِنْ حَبِيبٍ مُعْتَمٍ
زَمِي وَاتَّقِي زَمِي وَمَنْ دُونِ مَا اتَّقَى هَوَى كَاسِرٌ كَفَى وَقَوْسِي وَأَسْهَمِي
إِذَا سَاءَ فِعْلُ الْمَرْءِ سَاءَتْ ظُنُونُهُ وَصَدَقَ مَا يَغْتَاذُهُ مِنْ ثَوْنِهِ

فإنه كنى عن سيف الدولة أولاً بالحبیب المعتم، ثم وصفه بالغدر الذي يدعي أنه من شيممة النساء، ثم لامه على مبادئه بالعدوان، ثم رماه بالجن لأنه يزمي ويتقي الرمي بالاستتار خلف غيره، على أن المتنبي لا يجازيه على الشر بمثله لأنه لا يزال يحمل له بين جوانحه هوى قديماً يكبر كفه وقوسه وأسهمه إذا حاول النضال، ثم وصفه بأنه سيء الظن بأصدقائه لأنه سيء الفعل كثير الأوهام والظنون حتى ليظن أن الناس جميعاً مثله في سوء الفعل وضعف الوفاء. فانظر كيف نال المتنبي من سيف الدولة هذا النيل كله من غير أن يذكر من اسمه حرفاً.

هذا، ومن أوضح ميزات الكناية التعبير عن القبيح بما تيسع الأذان سماحه. وأمثلة ذلك كثيرة جداً في القرآن الكريم وكلام العرب، فقد كانوا لا يعبرون عما لا يحسن ذكره إلا بالكناية، وكانوا لشدة نخوتهم يكتفون عن المرأة بالتيضة والشاة.

ومن بدائع الكنايات قول بعض العرب:

أَلَا يَا نُخْلَةً مِنْ ذَاتِ عِرْقٍ عَلَيْنِكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ السَّلَامُ^(١)

فإنه كنى بالنخلة عن المرأة التي يحبها.

ولعل هذا المقدار كاف في بيان خصائص الكناية وإظهار ما تضمنته من بلاغة وجمال.

(١) ذات عرق: موضع بالبادية وهو مكان إحرام أهل العراق.

أثر علم البيان في تأدية المعاني

ظهر لك من دراسة علم البيان أنَّ معنى واحداً يستطاع أداؤه بأساليب عدَّة وطرائق مختلفة، وأنَّه قد يوضع في صورة رائعة من صور التشبيه، أو الاستعارة، أو المجاز المرسل، أو العقلي، أو الكناية.

فقد يصف الشاعر إنساناً بالكرم فيقول:

يريد الملوك مدى جفْرِ
وليس بأوسمهم في الغنى
ولا يصنعون كما يصنع
ولكن معروفه أوسع

وهذا كلامٌ بليغ جداً مع أنه لم يُقصد فيه إلى تشبيه أو مجاز، وقد وصف الشاعر فيه ممدوحه بالكرم وأن الملوك يريدون أن يبلغوا منزلته، ولكنهم لا يشترون الحمد بالمال كما يفعل، مع أنه ليس بأغنى منهم ولا بأكثر مالاً.

وقد يعيد الشاعر عند الوصف بالكرم إلى أسلوب آخر فيقول:

كالبَّحر يَظْفِرُ للقرِيب جواهرأ
جوداً وَبَعَثَ لِلْبَعِيدِ سَحَابِنَا

فيشبه الممدوح بالبحر، وتذقُّ بخيالك إلى أن يضاهي بين الممدوح والبحر الذي يقذف الدرر للقرِيب ويرسل السحاب للبعيد.

أو يقول:

هو البَّخْرُ مِنِّي النواحي أَتَيْتُهُ
فلَجِئْتُ المَعْرُوفَ والجُودَ سَاجِلُهُ
فيدعي أنه البحر نفسه وينكر التشبيه تُكراراً يدل على المبالغة وادعاء المماثلة الكاملة.

أو يقول:

علا فَمَا يَسْتَقِرُّ المَالُ فِي يَدِهِ
وكَيْفَ تَمْسُكُ ماءَ قُبَّةِ الجَبَلِ
فيرسل إليك التشبيه من طريق خفي ليرتفع الكلام إلى مرتبة أعلى في البلاغة،

وليجعل لك من التشبيه الضمني دليلاً على دعواه، فإنه ادعى أنه لعلو منزلته ينحدر المال من يديه، وأقام على ذلك برهاناً فقال: «وكيف تمسك ماء قُتَّة الجبل؟».

أو يقول:

جَزَى النَهْرُ حَتَّى خَلَتْهُ مِنْكَ أَنْعُمًا تُسَاقُ بِلَا ضَرْنٍ وَتُغْطِي بِلَا مَنْ^(١)
فيقلب التشبيه زيادة في المبالغة وافتتاناً في أساليب الإجادة، ويشبه ماء النهر بنعم الممدوح بعد أن كان المألوف أن تُشَبَّه النعم بالنهر الفياض.

أو يقول:

كَأَنَّهُ حِينَ يُعْطِي الْمَالَ مُبْتَسِمًا ضُوبُ الْغَمَامَةِ تَهْمِي وَهْمِي تَأْتِلِقُ^(٢)
فيعمد إلى التشبيه المركب، ويعطيك صورة رائعة تمثل لك حالة الممدوح وهو وجود، وابتسامة السرور تملو شففيه.

أو يقول:

جَاذَتْ يَدَ الْفَتْحِ وَالْأَنْوَاءِ بَاجِلَةً وَذَابَ نَائِلُهُ وَالْغَيْثُ قَدْ جَمَدَا
فيضاهي بين جود الممدوح والمطر. ويدعي أن كرم ممدوحه لا ينقطع إذا انقطعت الأنواء أو جمد القطر.

أو يقول:

قَدْ قُلْتُ لِلْغَنِيمِ الرُّكَّامِ وَلِجْ فِي إِبْرَاقِهِ وَأَلَحْ فِي إِرْعَادِهِ^(٣)
لَا تُعْرِضُنْ لِجُفُفِ مُتَشَبِّهَا بِنْدَى يَدَيْهِ فَلَسْتُ مِنْ أُنْدَادِهِ
فيصرح لك في جلاء وفي غير خشية بتفضيل جود صاحبه على جود الغنيم، ولا يكتفي بهذا بل تراه ينتهي السحاب في صورة تهديد أن يحاول التشبه بممدوحه لأنه ليس من أمثاله ونظرائه.

أو يقول:

وَأَقْبَلَ يَمْشِي فِي الْبَسَاطِ فَمَا ذَرَى إِلَى الْبَحْرِ يَشْقَى أَمْ إِلَى الْبَذْرِ يَرْتَقِي

(١) الفن: البخل، والمن: الامتنان بتعداد الصنائع.

(٢) تهمي: تلج، وتالق: تلمع.

(٣) الغنيم الركام: المتراكم، ولج وألح: كلاهما بمعنى استمر.

يصف حال رسول الروم داخلاً على سيف الدولة فيَنزِع في وصف الممدوح بالكرم إلى الاستعارة التصريحية، والاستعارة كما علمت مبنية على تناسي التشبيه والمبالغة فيها أعظم وأثرها في النفوس أبلغ.

أو يقول:

دَعَوْتُ نَدَاهُ دَعْوَةً فَاجَابَنِي وَغَلَمَنِي إِحْسَانُهُ كَيْفَ آمَلُهُ

فيشبه ندى ممدوحه وإحسانه بإنسان. ثم يحذف المشبه به ويرمز إليه بشيء من لوازمه، وهذا ضرب آخر من ضروب المبالغة التي تساق الاستعارة لأجلها.

أو يقول:

«وَمَنْ قَصَدَ الْبَحْرَ اسْتَقَلَّ السَّوَابِقَا»

فيرسل العبارة كأنها مثل، ويصور لك أن مَنْ قصد ممدوحه استغنى عن هو دونه، كما أن قاصد البحر لا يأبه للجداول فيعطيك استعارة تمثيلية لها روعة وفيها جمال، وهي فوق ذلك تحمل برهاناً على صدق دعواه وتؤيد الحال التي يدعيها.

أو يقول:

مَا زِلْتُ تُشْبِعُ مَا تُؤَلِّي يَدَايَ حَتَّى ظَنَنْتُ حَيَاتِي مِنْ أَيْدِيكََا

فيعدل عن التشبيه والاستعارة إلى المجاز المرسل، ويطلق كلمة «يد» ويريد بها النعمة لأن اليد آلة النعم وسببها.

أو يقول:

أَعَاذَ بِرُمُكَ أَيَّامِي لِتَفْضَرَتْهَا وَاقْتَصَرَ جُودُكَ مِنْ فَقْرِي وَإِعْسَارِي

فيُستند الفعل إلى اليوم وإلى الجود على طريقة المجاز العقلي.

أو يقول:

فَمَا جَاءَهُ جُودٌ وَلَا خَلَّ دُونَهُ وَلَكِنْ يَسِيرُ الْجُودُ حَيْثُ يَسِيرُ

فيأتي بكناية عن نسبة الكرم إليه بادعاء أن الجود يسير معه دائماً، لأنه بدل أن يحكم بأنه كريم ادعى أن الكرم يسير معه أينما سار. ولهذه الكناية من البلاغة والتأثير في النفس وحسن تصوير المعنى، فوق ما يجده السامع في غيرها من بعض ضروب الكلام.

فأنت ترى أنه من المستطاع التعبير عن وصف إنسان بالكرم بأربعة عشر أسلوباً،

كل له جماله وحسنه وبراعته، ولو نشأ لأتينا بأساليب كثيرة أخرى في هذا المعنى، فإن للشعراء ورجال الأدب افتتاناً وتوليداً للأساليب والمعاني لا يكاد ينتهي إلى حد، ولو أردنا لأوردنا لك ما يقال من الأساليب المختلفة المناحي في صفات أخرى كالشجاعة والإباء والحزم وغيرها، ولكننا لم نقصد إلى الإطالة، ونعتقد أنك عند قراءتك الشعر العربي والآثار الأدبية ستجد بنفسك هذا ظاهراً، وستدّهنس للندى البعيد الذي وصل إليه العقل الإنساني في التصوير البلاغي والإبداع في صوغ الأساليب.

هذه الأساليب المختلفة التي يؤدّي بها المعنى الواحد هي موضع بحث علم البيان، ولا أظنك تفهم أن القدرة على صوغ هذه الأساليب البديعة موقوفة على علم البيان؛ لأن الافتتان في التعبير لا يتوقف على درس قواعد البلاغة، وإنما يُصْبِحُ المرء كاتباً مجيداً، أو شاعراً مبدعاً أو خطيباً موثراً، بكثرة القراءة في كتب الأدب وحفظ آثار العرب، وينقد الشعر وتفهمه، ودراسة النثر الغني وتذوق أسرارها؛ بهذا ترسخ فيه ملكة تدفعه دفعا إلى الإحسان والإجادة، ولا بد أن يعاضد هذه الملكة طبع سليم وفطرة حساسة تكون مُعِينَةً لهذه الملكة وظهيراً لها.

ولكنّا بعد كل هذا لا نستطيع أن نجحد فائدة علم البيان والإلمام بقوانينه، فإنه بما يفصل من الفروق بين الأساليب ميزان صحيح لتعرف أنواعها، ودراسة أدبية للفحص عن كل أسلوب وتبين سر البلاغة فيه.

علم المعاني

تقسيم الكلام إلى خبر وإنشاء

الأمثلة:

١ - قال أبو إسحاق الغزالي^(١):

لَوْلَا أَبُو الطَّيِّبِ الْكِنْدِيُّ مَا امْتَلَأَتْ مَسَامِعُ النَّاسِ مِنْ مَدْحِ ابْنِ خُمْدَانَ

٢ - وقال أبو الطَّيِّبِ:

لَا أَشْرَيْتُ إِلَى مَا لَمْ يَفُتْ طَمَعًا وَلَا أَبَيْتُ عَلَى مَا فَاتَ خُسْرَانًا^(٢)

٣ - وقال أبو القَتَاهِيَّة:

إِنَّ الْبَخِيلَ وَإِنْ أَفَادَ غِنًى لَثَرَى عَلَيْهِ مَخَايِلُ الْفَقْرِ^(٣)

٤ - وقال بَعْضُ الْحُكَمَاءِ لَايْنِي:

يَا بُنَيَّ تَعَلَّمْ حُسْنَ الْاسْتِمَاعِ كَمَا تَتَعَلَّمُ حُسْنَ الْحَدِيثِ

٥ - وَأَوْصَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ^(٤) رَجُلًا فَقَالَ:

لَا تَتَكَلَّمْ بِمَا لَا يَغْنِيكَ، وَدَعْ الْكَلَامَ فِي كَثِيرٍ مِمَّا يَغْنِيكَ حَتَّى تَجِدَ لَهُ مَوْضِعًا.

٦ - وقال أبو الطيب:

لَا تَلْقَ ذَهْرَكَ إِلَّا غَيْرَ مُكْثَرٍ مَا دَامَ يَصْحَبُ فِيهِ رُوْحَكَ الْبَذَنُ^(٥)

(١) شاعر مجيد، أتى في قصائده الطوال بكل بديع، ولد بغزة، وهي بلدة بالشام وتوفي سنة ٥٢٤ هـ.

(٢) اشرب إلى الشيء: تطلع إليه.

(٣) أفاد غنى بمعنى استفادته، والمخايل: العلامات، يقول: إن البخيل تظهر عليه دائماً أمارات الفقر وعلاماته، وإن كان غنياً كثير المال.

(٤) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أحد أكابر الصحابة في العلم سمي بالحبر لسعة علمه، ومات بالطائف سنة ٦٨ هـ.

(٥) يقول: لا تبال الزمان وصورته ما دمت حياً، فإن الشدة والرخاء يتعاقبان فيه على الحي، فلا يأس مع الحياة.

البحث:

يخبرنا أبو إسحاق الغزني بأن أبا الطيب المتنبي هو الذي نشر فضائل سيف الدولة بن حَمْدَانَ وأذاعها بين الناس. ويقول: لولا أبو الطيب ما ذاعت شهرة هذا الأمير، ولا عَزَفَ الناس من شمائله كل الذي عرفوه. وهذا قول يحتمل أن يكون الغزني صادقاً فيه كما يحتمل أن يكون كاذباً؛ فهو صادق إن كان قوله مطابقاً للواقع، كاذب إن كان قوله غير مطابق للواقع.

والمتنبي في المثال الثاني يخبر عن نفسه بأنه قانع راض بحاله التي هو فيها، فليس من عادته أن يَطْلُع مُشْتَرِفاً إلى ما هو آت، وليس من دأبه أن يَتَذَمَّ على ما فات، ومن المحتمل أن يكون كاذباً غير صادق.

كذلك يجوز أن يكون أبو العتاهية في المثال الثالث صادقاً فيما قال وادعى، ويجوز أن يكون غير صادق:

انظر بعد ذلك إلى المثال الرابع تجد قائله ينادي ولده ويأمره أن يتعلم حسن الحديث، وذلك كلام لا يَصِحُّ أن يقال لقائله إنه صادق فيه أو كاذب؛ لأنه لا يُعْلَمُنا بحصول شيء أو غَدَم حصوله، وإنما هو ينادي ويأمر.

كذلك لا يَصِحُّ أن يَتَّصِفَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ في المثال الخامس، والمتنبي في المثال السادس بالصدق أو الكذب، لأن كلاً منهما لا يخبر عن حصول شيء أو غَدَم حصوله، ولو أنك تتبعت جميع الكلام لوجدته لا يخرج عن هذين النوعين، ويُسمَّى النوع الأول خبراً والنوع الثاني إنشاء.

انظر بعد ذلك إلى الجمل في الأمثلة السابقة أو في غيرها تجد كل جملة مكونة من رَكْنَيْنِ أساسيين هما المحكوم عليه والمحكوم به، ويسمى الأول مستنداً إليه والثاني مستنداً أما ما عداهما فهو «قيد» في الجملة وليس ركناً أساسياً.

القواعد

(٢٨) الكلام قِسْمَانِ: خَيْرٌ وإنشاء:

أ- فالخَيْرُ ما يَصِحُّ أن يُقَالَ لِقَائِلِهِ إِنَّهُ صَادِقٌ فِيهِ أو كاذبٌ، فَإِنْ كَانَ الكلام مُطَابِقاً للواقع كان قَائِلُهُ صَادِقاً، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ مُطَابِقٍ لَهُ كان قَائِلُهُ كاذباً^(١).

(١) الخبر إما جملة اسمية وإما جملة فعلية، فالجملة الاسمية تفيد بأصل وضعها ثبوت شيء لشيء ليس غير، فإذا قلت: الهواء معتدل لم يفهم من ذلك سوى ثبوت الاعتدال للهواء من غير نظر إلى =

ب - والإِنشاء ما لا يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ لِغَائِلِهِ إِنَّهُ صَادِقٌ فِيهِ أَوْ كَاذِبٌ.

(٢٩) لكل جُمْلَةٍ مِنْ جُمَلِ الْخَبَرِ وَالْإِنشَاءِ رُكْنَان: مَحْكُومٌ عَلَيْهِ، وَمَحْكُومٌ بِهِ، وَيُسَمَّى الْأَوَّلُ مُسْتَدًّا إِلَيْهِ، وَالثَّانِي^(١) مُسْتَدًّا^(٢)، وَمَا زَادَ عَلَى ذَلِكَ غَيْرُ الْمُضَابِ إِلَيْهِ وَالصَّلَةِ فَهُوَ قَيْدٌ^(٣).

نَمُودَجْ

لبیان أنواع الجمل وتعيين المسند إليه والمسند في كل جملة رئيسية^(٤):

١ - قال عبد الحميد الكاتب^(٥) يوصي أهل صناعته بمحاسن الآداب: تَنَافَسُوا^(٦) يَا مَعَايِشَ الْكُتَّابِ فِي صُنُوفِ الْآدَابِ، وَتَفَهَّمُوا فِي الدِّينِ، وَابْذُؤُوا بِعِلْمِ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ الْغَرَبِيَّةِ؛ فَإِنَّهَا نَفَاقٌ أَلَسَّيْتُكُمْ^(٧) ثُمَّ أَجِيدُوا الْخَطَّ فَإِنَّهُ حِلْيَةُ كُتُبِكُمْ،

• حدوث أو استمرار، وقد يكتنفها من القرائن ما يخرجها عن أصل وضعها فتفيد الدوام والاستمرار كأن يكون الكلام في مرض المدح أو الذم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ لَعَلْنَا عَظِيمِينَ﴾.

أما الجملة الفعلية فموضوعة لإفادة الحدث في زمن معين مع الاختصار، فإذا قلت: «أمطرت السماء» لم يستفد السامع من ذلك إلا حدوث الإمطار في الزمن الماضي، وقد تفيد الاستمرار التجديدي بالقرائن كما في قول المتنبي:

تدبر شرق الأرض والغرب كفـه وليس لها يوماً عن المجد شاغل
فإن المدح قربة دالة على أن التدبير أمر مستمر متجدد أنا فأنأ.

والجملة الاسمية لا تفيد الثبوت بأصل وضعها ولا الاستمرار بالقرائن، إلا إذا كان خبرها مفرداً أو جملة اسمية، أما إذا كان خبرها جملة فعلية فإنها تفيد التجدد.

(١) مواضع المسند إليه المفاعل ونائبه والمبتدأ الذي له خبر وما أصله المبتدأ كاسم كان وأخواتها.

(٢) مواضع المسند هي الفعل التام، والمبتدأ المكثفي بمرفوعه، وخبر المبتدأ، وما أصله خبر المبتدأ كخبر كان وأخواتها، واسم الفعل، والمصدر النائب عن فعل الأمر.

(٣) القيود هي أدوات الشرط والنفي والمفاعيل والحال والتمييز والتوابع والنواسخ.

(٤) تنقسم الجملة عند علماء المعاني إلى جملة رئيسية وجملة غير رئيسية، والأولى هي المستقلة التي لم تكن قيداً في غيرها. والثانية ما كانت قيداً في غيرها وليست مستقلة بنفسها.

(٥) هو أبو غالب بن يحيى بن سعد، كان كاتباً مبدعاً، وقد برع في إنشاء الرسائل وضرب المثل ببلاغته في الكتابة، حتى قال الثعالبي: ففتحت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد، وقد كتب لمرwan آخر ملوك بني أمية وقتل معه سنة ١٣٥هـ.

(٦) تنافسوا: تباروا.

(٧) نفاق الستكم: رواج كلامكم.

وَأَزُورُوا الْأَشْعَارَ وَاعْرِفُوا غَرِيبَهَا وَمَعَانِيَهَا وَأَيَّامَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ وَأَحَادِيثَهَا
وسيرها، فَإِنَّ ذَلِكَ مُعَيَّنٌ لَكُمْ عَلَى مَا تَسْمُرُ إِلَيْهِ هِمْمُكُمْ.

٢ - قال أبو نواس:

الرَّزْقُ وَالْجِزْمَانُ مَجْرَاهُمَا بِمَا قُضِيَ اللَّهُ وَمَا قُدِّرَا
فَاضْبِرْ إِذَا الذُّهْرُ نَبَا نُبُوَّةٍ فُجْنَةُ الْحَازِمِ أَنْ يَضْبِرَا^(١)

إجابة (١)

الجملة	نوعها	المستد إليه	المستد
تنافسوا	إنشائية	الفاعل (واو الجماعة)	الفعل (تنافس)
يا معاشر الكتاب	إنشائية	{الفاعل المستر في الفعل} أدعو الذي نابت عنه يا	الفعل (أدعو)
وتفهموا في الدين	إنشائية	الفاعل (واو الجماعة)	الفعل تفهم
وابدؤوا بعلم كتاب الله	إنشائية	الفاعل (واو الجماعة)	الفعل ابدأ
فإنها نفاق ألسنتكم	خبرية	اسم إن (الضمير المتصل)	خبر إن (نفاق)
أجيدوا الخط	إنشائية	الفاعل (واو الجماعة)	الفعل (أجذ)
فإنه حلية كتبكم	خبرية	اسم إن (الضمير المتصل)	خبر إن (حلية)
وارووا الأشعار	إنشائية	الفاعل (واو الجماعة)	فعل الأمر (ارو)
واعرفوا غريبها	إنشائية	الفاعل (واو الجماعة)	فعل (اعرف)
فإن ذلك معين لكم	خبرية	اسم إن (اسم الإشارة)	خبر إن (معين)

إجابة (٢)

الجملة	نوعها	المستد إليه	المستد
{الرزق والحرمان إلى} {آخر البيت	خبرية	المبتدأ (الرزق)	الخبر (جملة مجراهما إلخ)
فاصبر	إنشائية	الفاعل (الضمير في اصبر)	الفعل (اصبر)
فجنة الحازم أن يصبر	خبرية	المبتدأ (جنة الحازم)	الخبر (أن يصبر)

(١) نبا نبوة: أساء إساءة من قولهم نبا السيف إذا لم يعمل في الضريبة، وجنة الحازم: وقايته.

تمريثات

(١)

مِيزَ الجمل الخيرية من الجمل الإنشائية وعيّن المسند إليه والمسند فيما يأتي:

١ - مما يُنسَبُ لعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه في رسالة إلى الحارث الهمداني^(١): تمسك بحبل القرآن واستنصحه وأجلّ حلاله وحرم حرامه واعتبر بما مضى من الدنيا ما بقي منها^(٢) فإن بعضها يُشبه بغضاً، وأجرها لاحقاً بأولها، وكلها حائل مفارق^(٣)، وعظم اسم الله أن تذكره إلا على حق^(٤).

ب - ومما يُنسَبُ إليه أيضاً:

توقروا البرز في أوله، وتلقوه في آخره فإنه يفعل بالأبدان كيفه في الأشجار، أوله يخرق، وآخره يورق.

ج - وكتب بعض البلغاء في الاستعطاف:

لذت بعفوك، واستجرت بصفحك، فأذقني خلاوة الرضا، وأنسني مزاراة السخط فيما مضى.

(٢)

تفهّم الأبيات الآتية، وميز فيها الجمل الخيرية من الجمل الإنشائية، وعيّن المسند إليه والمسند في كل جملة.

١ - قال صاحب العقد الفريد^(٥) يصف الدنيا:

ألا إنما الدنيا نضارة أيكّة إذا اخضر منها جانب جف جانب^(٦)

(١) هو الحارث بن عبد الله بن كعب الهمداني الكوفي، كان رواية لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وهو من الطبقة الأولى من التابعين من أهل الكوفة، توفي سنة ٧٠هـ.

(٢) اعتبر: قس، والمعنى قس الباقي بالماضي.

(٣) حائل: متغير.

(٤) أي لا تحلف بالله إلا على حق تعظيماً له وإجلالاً.

(٥) هو أحمد بن محمد القرطبي المشهور بابن عبد ربه، كان عالماً أديباً كثير الحفظ والاطلاع على أخبار الناس، وقد اشتهر بكتابه العقد الفريد، توفي سنة ٣٢٨هـ.

(٦) النضارة: الحسن والرونق، والأيكّة: الشجرة.

هِيَ الدَّارُ مَا الْأَمَالُ إِلَّا فَجَائِعُ عَلَيْهَا وَلَا اللَّذَاتُ إِلَّا مَصَائِبُ
فَلَا تَكْتَحِلْ عَيْنَاكَ فِيهَا بِعَبْرَةٍ عَلَى ذَاهِبٍ مِنْهَا فَإِنَّكَ ذَاهِبٌ^(١)
ب - وقال ابن المعتز:

لَيْسَ الْكَرِيمُ الَّذِي يُعْطِي عَطِيئَتَهُ عَنِ الشَّاءِ وَإِنْ أَعْلَى بِهِ الثُّمْنَا
بَلِ الْكَرِيمُ الَّذِي يُعْطِي عَطِيئَتَهُ لِيُغَيِّرَ شَيْءٍ سِوَى اسْتِحْسَانِهِ الْحَسْنَا
لَا يَسْتَشِيبُ بِبَذْلِ الْعُرْفِ مَحْمَدَةً وَلَا يَمُنُّ إِذَا مَا قُلْدُ الْبِئْسَا^(٢)

(٣)

أنثر البيهقي الآتين نثراً فصيحاً، ثم عَيَّنَ الجمل الخبرية والجمل الإنشائية التي تأتي بها في نثره:

وَلَا تُضْطَنِعْ إِلَّا الْكَرَامَ فَإِنَّهُمْ يُجَازُونَ بِالنُّعْمَاءِ مَنْ كَانَ مُنْعِمًا^(٣)
وَمَنْ يَتَّخِذْ عِنْدَ اللِّثَامِ صَنِيعَةً تَجِدُهُ عَلَى آثَارِهَا مُتَّخِذًا^(٤)

(٤)

١ - صف حياة القرويين في أسلوب خبري لا يتخلله شيء من الجمل الإنشائية.
ب - اكتب إلى أزمَد ترجو له الشفاء، وتنصحه بما يساعده على السلامة من داءه
وضمن رسالتك إليه طائفة من الجمل الإنشائية.

(١) العبارة: الدعمة قبل أن تفيض.

(٢) يستشيب: يسأل أن يثاب. والعرف: المعروف. والمحملة: الحمد. ويمن: يحسن بتعداد النعم.
وقلد المنن: أولاها. والمنن: جمع منة وهي النعمة، يقول: إن الكريم هو الذي يبذل
المعروف ولا يطلب عليه حمداً، ويولي الجميل ولا يمن به.

(٣) اصطنع الكرام: أحسن إليهم، والنعماء: النعمة والإحسان.

(٤) الصنعة: اليد والإحسان.

الخبر

(١) الغرض من إلقاء الخبر

الأمثلة:

- ١ - وَلِدَ النَّبِيُّ ﷺ غَامَ الْفِيلِ^(١)، وَأَوْحِيَ إِلَيْهِ فِي سِنِّ الْأُرَيْمِينَ، وَأَقَامَ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَبِالْمَدِينَةِ عَشْرًا.
- ٢ - كَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ^(٢) لَا يَأْخُذُ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ شَيْئًا، وَلَا يُجْعِرِي عَلَى نَفْسِهِ مِنْ الْفَيْءِ^(٣) دِرْهَمًا.

* * *

- ٣ - لَقَدْ نَهَضْتُ مِنْ نَوْمِكَ الْيَوْمَ مُبْتَكِرًا.
- ٤ - أَنْتَ تَعْمَلُ فِي خَدِيقَتِكَ كُلَّ يَوْمٍ.

* * *

- ٥ - قَالَ يَحْيَى الْبَزْزَمِيُّ^(٤) يُخَاطَبُ الْخَلِيفَةَ هَارُونَ الرَّشِيدَ^(٥):

-
- (١) عام الفيل: هو العام الذي غزا فيه أبرهة ملك اليمن مكة، ثم رجع عنها خائباً بعد أن نفّس المرض في جنده ومات فيه.
 - (٢) هو الخليفة الصالح والملك عادل عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي. ولي الخلافة سنة ٩٩هـ وتوفي سنة ١٠١هـ، وأخبار عدله وزهده كثيرة مشهورة.
 - (٣) الفئ: الخراج والغنيمة.
 - (٤) هو أبو الفضل يحيى بن خالد بن برمك وزير هارون الرشيد، كان كاتباً بليغاً صائب الرأي حسن التدبير يباري الريح كرمًا وجوداً، سجنه هارون الرشيد حين تغير على البرامكة، وبقي في سجنه حتى مات سنة ١٩٠هـ.
 - (٥) هو أحد الخلفاء العباسيين المشهورين بالفضل والفصاحة والكرم، كان يحب الشعراء ويعمل إلى أهل الأدب والفقه، بويغ بالخلافة سنة ١٧٠ وتوفي بطوس سنة ١٩٢هـ.

إِنَّ الْبِرَامِكَةَ الَّذِي مَنْ رُمُوا لَذَيْكَ بِذَاهِيَةٍ
صَفَرُ الْوُجُوهِ عَلَيْهِمْ خَلَعَ^(١) الْمَذَلَّةَ بِأَيْدِيهِ

٦ - قال الله تعالى حكاية عن زكريا عليه السلام:

﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾.

٧ - قال أحد الأعراب يرثي ولده:

لَمَّا دَعَوْتُ الصَّبْرَ بَعْدَكَ وَالْأَسَى أَجَابَ الْأَسَى طَوْعًا وَلَمْ يُجِبِ الصَّبْرُ^(٢)
فَإِنْ يَنْقَطِعُ مِنْكَ الرَّجَاءُ فَإِنَّهُ سَيَبْقَى عَلَيْكَ الْحُزْنُ مَا بَقِيَ الدُّهُرُ
٨ - قال عمرو بن كلثوم^(٣):

إِذَا بَلَغَ الْفِطَامَ لَنَا صَبِي تَخَرُّهُ الْجَبَابِرُ سَاجِدِينَ
٩ - كَتَبَ طَاهِرُ بْنُ الْحُسَيْنِ^(٤) إِلَى الْعَبَّاسِ بْنِ مُوسَى الْهَادِي^(٥) وَقَدْ اسْتَبْطَأَهُ فِي
خُرَاجِ نَاحِيَتِهِ:

وَلَيْسَ أَخُو الْحَاجَاتِ مَنْ بَاتَ نَائِمًا وَلَكِنْ أَخُوهَا مَنْ يَبِيتُ عَلَى وَجَلٍ
البحث:

تدبر المثالين الأولين تجد المتكلم إنما يقصد أن يفيد المخاطب الحكم الذي
تضمنه الخبر في كل مثال، ويسمى هذا الحكم فائدة الخبر فالتكلم في المثال الأول
يريد أن يفيد السامع ما كان يجهله من مولد الرسول، وتاريخ الإحياء إليه، والزمن
الذي أقامه بعد ذلك في مكة والمدينة. وهو في المثال الثاني يخبره بما لم يكن يعرفه
عن عُمر بن عبد العزيز من العفة والزهد في مال المسلمين.

تأمل بعد ذلك المثالين التاليين، تجد المتكلم لا يقصد منهما أن يفيد السامع

(١) الخلع: الملابس، يقول: إن ملابس الذل ظاهرة عليهم.

(٢) الأسى: الحزن.

(٣) هو أبو الأسود عمرو بن كلثوم ينتهي نسب إلى تغلب، وهو صاحب المعلقات التي مطلعها: «ألا
هني بصحتك فأصبحينا».

(٤) هو أبو الطيب طاهر بن الحسين من كبار الوزراء أدباً وحكمة وشجاعة، وهو الذي وعد الملك
للمأمون العباسي وتوفي بمدينة مرو سنة ٢٠٧هـ.

(٥) هو ثالث أبناء موسى الهادي الخليفة العباسي الرابع، كان عاملاً على الكوفة من قبل الأمين،
وتوفي سنة ١٩٦هـ.

شيئاً مما تضمنه الكلام من الأحكام؛ لأن ذلك معلومٌ للسامع قبل أن يُلَمِّمه المتكلم، وإنما يريد أن يبين أنه عالم بما تضمنه الكلام. فالسامع في هذه الحال لم يستفد علماً بالخبر نَفْسِهِ، وإنما استفاد أن المتكلم عالم به، ويسمى ذلك لازم الفائدة.

انظر إلى الأمثلة الخمسة الأخيرة تجد أن المتكلم في كل منها لا يقصد فائدة الخبر ولا لازم الفائدة، وإنما يُقْصِدُ إلى أشياء أخرى يَسْتَطْلِعُهَا اللبيب وَيَلْمَحُهَا مَنْ سِيَّاقِ الكلام، فيحى البرمكي في المثال الخامس لا يقصد أن يبنى الرشيد بما وصل إليه حاله وحال ذوي قُرْبَاه من الذلِّ والصغار؛ لأن الرشيد هو الذي أَمَرَ بِهِ فهو أولى بأن يعلمه، ولا يريد كذلك أن يفيد أنه عالم بحال نفسه وذوي قرابته. وإنما يَسْتَطْفِهُ وَيَسْتَرْحِمُهُ ويرجو شفقتَه، عسى أن يُضْفِي إِلَيْهِ فيعود إلى البرِّ به والعطف عليه.

وفي المثال السادس يصف زكريا عليه السلام حاله وَيُظْهِرُ ضَعْفَهُ ونفاد قوته. والأعرابي في المثال السابع يتحسر وَيُظْهِرُ الأسى والحزن على فَقْدِ ولده وفَلَذِهِ كَبِدِهِ. وعُمَرُو بن كلثوم في المثال الثامن يَفْتَخِرُ بقومه، ويباهي بما لهم من البأس والقوة: وطاهرُ بن الحسين في المثال الأخير لا يقصد الإخبار. ولكنه يَحْتُكُّ عامله على النشاط والجِدِّ في جباية الخراج.

وجميع هذه الأغراض الأخيرة إنما تُفْهَمُ من سياق الكلام لا من أَصْلِ وَضْعِهِ.

القواعد

٣٠ - الْأَصْلُ فِي الْخَبَرِ أَنْ يُلْقَى لِأَحَدٍ غَرَضَيْنِ:

أ - إِفَادَةُ الْمُخَاطَبِ الْحُكْمَ الَّذِي تَضَمَّنَتْهُ الْجُمْلَةُ، وَيُسَمَّى ذَلِكَ الْحُكْمُ فَايِدَةُ الْخَبَرِ.

ب - إِفَادَةُ الْمُخَاطَبِ أَنَّ الْمُتَكَلِّمَ عَالِمٌ بِالْحُكْمِ، وَيُسَمَّى ذَلِكَ لَازِمَ الْفَايِدَةِ.

٣١ - قَدْ يُلْقَى الْخَبَرُ لِأَغْرَاضٍ أُخْرَى تُفْهَمُ مِنَ السِّيَاقِ، مِنْهَا مَا يَأْتِي:

أ - الْإِسْتِزْحَامُ. ج - إظهار التحسر.

ب - إظهار الضغف. د - الفخر.

نُمُودَجْ في بيان أغراض الأخبار

- ١ - كان مُعاوية^(١) رضي الله عنه حَسَنَ السِّيَاسَةِ والتَّذْيِيرِ، يَخْلُمُ في مواضع الجِلْمِ، وَيُثَنِّدُ في مواضع الشُّدَّةِ.
- ٢ - لَقَدْ أَذْنَبْتُ بَيْنَكَ بِاللَّيْنِ وَالرَّفَقِ لَا بِالْقَسْوَةِ وَالْعِقَابِ.
- ٣ - ثُوْفِي عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه سِتَّةَ ثَلَاثٍ وَعَشْرِينَ مِنَ الْهَجْرَةِ.
- ٤ - قَالَ أَبُو فِرَاسٍ الْحَمْدَانِيُّ:
وَمَكَارِمِي عَذُّ النَجُومِ وَمَنْزَلِي مَأْوَى الْكِرَامِ وَمَنْزِلُ الْأَضْيَافِ
٥ - قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ:
وَمَا كُلُّ هَؤُلَاءِ لِلْجَمِيلِ بِفَاعِلٍ وَلَا كُلُّ فُعَالٍ لَهُ بِمُتَمِّمٍ
- ٦ - وَقَالَ أَيْضاً يَرِي أُخْتُ سَيْبِ الدُّوَلَةِ:
غَدَرْتُ يَا مَوْتُ كَمْ أَقْنَيْتُ مِنْ عَدُوِّ
٧ - قَالَ أَبُو الْعَتَايَةِ يَرِي وَلَدَهُ عَلِيّاً:
بَكَيْتُكَ يَا عَلِيُّ بِدَمْعِ عَيْنِي وَكَاثَتْ فِي حَيَاتِكَ لِي عِظَاتُ
- ٨ - إِنَّ الثَّمَانِينَ وَبُلُغَتْهَا
٩ - قَالَ أَبُو الْعَلَاءِ الْمُعَرِّي:
وَلِي مَنْطِقٌ لَمْ يَرْضَ لِي كُتُّهُ مَنْزَلِي
١٠ - قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُهْدِي^(٢) يَخَاطِبُ الْمَأْمُونُ:
بِمَنْ أَصَبْتَ وَكَمْ أَشَكَّتْ مِنْ لَجَبِ^(٣)
فَمَا أَغْنَى الْبُكَاءُ عَلَيْكَ شَيْئاً
وَأَتَيْتَ الْيَوْمَ أَوْغَظَ مِنْكَ حَيْباً
قَدْ أَحْوَجْتَ سَمْعِي إِلَى تَرْجُمَانِ

-
- (١) هو من أجلة الصحابة، وأحد كتاب النبي ﷺ، يُضْرَبُ المثل بحلمه وكياسته، وهو أول ملوك للدولة الأموية، استقام له الملك عشرين سنة، وتوفي سنة ٦٠هـ.
 - (٢) اللجب: الضجيج واختلاط الأصوات، يقول: غدرت يا موت بسيف الدولة حين اغتلت أخته، وكنت تغني به العدد الكثير من أعدائه وتسكت لجبههم.
 - (٣) السماكان: نجمان نيران يقال لأحدهما الأعزل وللآخر الرامح، يقول: إن له عقلاً ولساناً جعلاه يستصر المنزلة الرفيعة التي هو فيها، على أنها لرفعتهما تشبه ما بين السماكين.
 - (٤) إبراهيم بن المهدي هو عم المأمون وأخو هارون الرشيد، كان وافر الفضل غزير الأدب، لم يز في أولاد الخلفاء أفصح منه لساناً ولا أحسن منه شعراً. بوبع له بالخلافة ببغداد سنة ٢٠٢هـ، ومات بسر من رأى سنة ٢٢٤هـ.

أَتَيْتُ جُزْماً شَنِيعاً وَأَنْتَ لِلْقَفْرِ أَهْلُ
فَإِنْ عَفَوْتَ فَمَنْ وَإِنْ قَتَلْتَ فَمَعْدُلُ

الإجابة

- ١ - الغرض إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنه الكلام.
- ٢ - الغرض إفادة المخاطب أن المتكلم عالم بحاله في تهذيب بنيه.
- ٣ - الغرض إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنه الكلام.
- ٤ - الغرض إظهار الفخر، فإن أبا فراس إنما يريد أن يفاخر بمكارمه وشماله.
- ٥ - الغرض إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنه الكلام؛ فإن أبا الطيب يريد أن يبين لسامعيه ما يراه في بعض الناس من التقصير في أعمال الخير.
- ٦ - الغرض إظهار الأسى والحزن.
- ٧ - الغرض إظهار الحزن والتحسر على فقد ولده.
- ٨ - الغرض إظهار الضعف والعجز.
- ٩ - الغرض الافتخار بالعقل واللسان.
- ١٠ - الغرض الاسترحام والاستعطاف.

تعريّنات

(١)

يُنْ أَعْرَاضَ الْكَلَامِ فِيمَا يَأْتِي:

- ١ - مَنْ أَصْلَحَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ أَصْلَحَ اللَّهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ، وَمَنْ أَصْلَحَ أَمْرَ أَجْرَتِهِ أَصْلَحَ اللَّهُ لَهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ وَاعِظَ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ.
- ٢ - إِنَّكَ لَتَكْطِطُ الْغَيْظَ، وَتَحْلُمُ عِنْدَ الْغَضَبِ، وَتَتَجَاوَزُ عِنْدَ الْقُدْرَةِ، وَتَضْفَحُ عَنِ الزَّلَّةِ.
- ٣ - قَالَ أَبُو فِرَاسٍ الْحَمْدَانِي:

إِنَّمَا إِذَا اشْتَدَّ الزَّمَا نُ وَتَابَ خُطْبٌ وَاذْلَهَمُ^(١)
 أَلْفَيْتَ حَوْلَ بِيوتِنَا عُدُّ الشُّجَاعَةِ وَالكَرَمِ^(٢)
 لِّلِقَا الْعِدَا بِفُضِّ السِّبَا فِي وَلِلثَدَى حُمُرُ الثُّعْمِ^(٣)
 هَذَا وَهَذَا دَأْبُنَا يُودَى دَمٌ وَيُرَاقُ دَمٌ^(٤)

٤ - قال الشاعر:

مَضَتْ اللَّيَالِي الْبَيْضُ فِي زَمَنِ الْعُتْبَا وَآتَى الْمَشِيبُ بِكُلِّ يَوْمٍ أَشْوَدَ
 ٥ - قال مزوانُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ^(٥) من قصيدة طويلة يَزِيهِ بِهَا مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ^(٦):
 مَضَى لِسَبِيلِهِ مَعْنٌ وَأَبْقَى مَكَارِمٌ لَّنْ تَبِيدَ وَلَنْ تُنَالَا^(٧)
 كَأَنَّ الثُّمُنَ يَوْمٌ أَصِيبَ مَعْنٌ مِنَ الْإِظْلَامِ مُلْتَبَسَةٌ ظِلَالَا
 هُوَ الْجَبَلُ الَّذِي كَانَتْ نِزَارُ تَهْدُ مِنَ الْعَدُوِّ بِهِ الْأَجْبَالَا^(٨)
 فَإِنْ يَغْلُ الْبِلَادَ لَهُ خُشُوعٌ فَقَدْ كَانَتْ تَطُولُ بِهِ اخْتِيَالَا^(٩)
 أَصَابَ الْمَوْتُ يَوْمَ أَصَابَ مَعْنًا مِنَ الْأَحْيَاءِ أَكْرَمَهُمْ فَعْمَالَا^(١٠)
 وَكَانَ النَّاسُ كُلُّهُمْ لِمَعْنٍ إِلَى أَنْ زَارَ حُفْرَتَهُ عِيَالَا^(١١)

٦ - وقال آخر:

فَمَا لِي حَبْلَةٌ إِلَّا رَجَائِي لِقَعْفُوكَ إِنْ عَفَوْتُ وَحُسْنُ ظَنِّي

(١) عدد الشجاعة: آلات الحرب. وعدد الكرم: وسائل الجود والمطاء.

(٢) حمر النعم: الإبل الحمراء.

(٣) يودي دم: تعطى دية، أي نحن شجعان نقتل أعداءنا وبعد الظفر نؤدي دية القتلى، ويراق دم: يبال للفرى. وقد تكون يودي من ودى بمعنى سال ويقصد به سفك دم الأعداء.

(٤) ولد مروان بالبيعة، وقدم بغداد ومدح المهدي وهارون الرشيد، واتصل بمعن بن زائدة ومدحه ورواه بقصائد غراء فضل بها على شعراء زمانه، وتوفي ببغداد سنة ١٨١هـ.

(٥) هو أبو الوليد معن بن زائدة، كان جواداً شجاعاً جزيلاً المعطاء، خضه مروان بن أبي حفصة بأكثر مدائحه وقد عاش في دولتي بني أمية وبني العباس، ثم قتله قوم من الخوارج سنة ١٥١هـ.

(٦) لن تبعد ولن تنال: أي لن يفنى ذكرها ولن يستطيع أحد أن يكون له مثلها.

(٧) نزار قبيلة من قبائل العرب أبوها نزار بن معد.

(٨) الخشوع: السكون وغض الصوت والبصر، تطول: تمتد، والاختيال: الكبر، يقول: إن أصاب البلاد لموته خشوع غرض من أبصارها فقد رفعت بحياته رأسها مباهاة وكبراً.

(٩) الفعالم بالفتح: الفعل وهو مصدر كالذهاب.

(١٠) عيال الرجل: من يعولهم وهو جمع عيل.

فَكُنْ مِنْ رَلَّةٍ لِي فِي الْخَطَايَا
يُظَنُّ النَّاسُ بِي خَيْرًا وَإِنِّي

٧ - قال أبو نواس في مرض موته:

ذَبَّ فِي السَّقَامِ سُفْلًا وَعُلُوًّا
ذَهَبَتْ جِدَّتِي بِطَاعَةِ نَفْسِي
لَهْفَ نَفْسِي عَلَى لَبَالٍ وَأَيَّا
فُذَّ أَسْنَا كُلِّ الْإِسَاءَةِ فَالِد

٨ - إنك إذا رأيت في أخيك غيًّا لم تكتنه.

٩ - قال ابن بُنَاتَةَ السَّعْدِيُّ:

يَفُوتُ ضَجِيعَ الشُّرُهَابِ طِلَابُهُ
وَيَذُتُو إِلَى الْحَاجَاتِ مَنْ بَاتَ سَاعِيًا^(٣)

١٠ - قال الأميرُ أَبُو الْفَضْلِ عُيَيْدُ اللَّهِ^(٤) في وصف يوم ماطر:

دَقَمْنَا السَّمَاءَ عَلَى جِبِينِ صَخْرٍ
وَأَشْرَفَ أَصْحَابُنَا مِنْ أَذَاهُ
فَمِنْ لَائِذٍ بِفَيْئَاءِ الْجِدَارِ
وَجَاذَتْ عَلَيْنَا سَمَاءُ السُّقُوفِ

١١ - قال الجاحظ^(٥):

- (١) عضضت أناملتي وقرعت سني: أي ندمت من أجلها.
- (٢) جد الشيء: جلة صار جديداً، والنضو: الثوب الخلق والبعر المهزول، يقول: إنه أطاع هواه في أيام شبابه ولم يتذكر طاعة الله إلا وقت الهرم والضعف.
- (٣) الضجيج: المضاجع، والشرهات: الأباطيل والأمانى الكاذبة، والطلاب: الشيء المطلوب، يقول: لا يدرك غايته إلا الساعي المجهد، أما الذي يعمل نفسه بالأمانى الكاذبة ولا يشمر عن ساعد الجد في سبيل الحصول عليها فعايقته الحرمان.
- (٤) هو أبو الفضل الميكالي، كان واحد خراسان في عصره أدباً وفضلاً ونسباً. وله ديوان رسائل، وديوان شعر، وتصانيف أخرى كثيرة، توفي سنة ٤٣٦هـ.
- (٥) هملت العين: سال دمعها، يقول: إن بكاء السقوف لم يكن بسبب الحزن كما هو المألوف بل كان بسبب المطر.

(٦) هو أبو عثمان عمرو بن بحر المعروف بالجاحظ، كان عالماً أديباً وله تصانيف في فنون كثيرة، وإليه تنسب الطريقة المعروفة بالجاحظية من المعتزلة، ومن أحسن تصانيفه كتاب الحيوان وكتاب البيان والتبيين، توفي سنة ٢٥٥هـ.

الْمَشُورَةُ لِقَاغُ الْعُقُولِ، وَرَائِدُ الصَّوَابِ. وَالْمُسْتَشِيرُ عَلَى طَرَفِ النَّجَاحِ،
وَاسْتِنَارَةُ الْمَرْءِ بِرَأْيِ أَخِيهِ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ وَحَزْمِ التَّدْبِيرِ.

١٢ - قال المتنبي وهو مريض بالحمى:

أَقْنَعْتُ بِأَرْضٍ مَضْرُوءٍ فَلَا وَرَائِي تَخَبُّ بِي الرُّكَّابُ وَلَا أَمَامِي^(١)
وَمَلَيْنِي الْفِرَاشَ وَكَانَ جَنْبِي يَمَلُّ لِقَاءَهُ فِي كُلِّ عَامٍ^(٢)

(٢)

أنثر قول أبي العلي، وبين غرضه:

إِنِّي أَصَاحِبُ حُلْمِي وَهَوِّي كَرَمٌ وَلَا أَصَاحِبُ جُلْمِي وَهَوِّي جُبْنٌ
وَلَا أَتَيْمٌ عَلَى مَالٍ أَذِلُّ بِهِ وَلَا أَلَدٌ بِمَا عِزِّي بِهِ ذَرْنٌ^(٣)

(٣)

صف وطنك واجعل غرضك من الوصف الفخر بمكانه، وهوائه، وصفاء
سمائه، وخضب أرضه وارتفاع عُمرانه.

(٤)

١ - كَوْنُ سِتْ جَمَلٍ خَبْرِيَّةٍ تَكُونُ الثَّلَاثُ الْأُولَى مِنْهَا لِإِفَادَةِ الْمُخَاطَبِ حَكْمَهَا،
وَالثَّلَاثُ الْآخِرَةُ لِإِفَادَتِهِ أَنَّكَ عَالِمٌ بِالْحَكْمِ.

٢ - كَوْنُ ثَلَاثِ جَمَلٍ تَفِيدُ بِسِيَاقِهَا وَقِرَائِنِ أَحْوَالِهَا الْاسْتِعْطَافَ وَإِظْهَارَ الضَّعْفِ
وَالْتَحُشُّرِ.

٣ - كَوْنُ ثَلَاثِ جَمَلٍ تَفِيدُ بِسِيَاقِهَا وَقِرَائِنِ أَحْوَالِهَا الْحُثَّ عَلَى السَّعْيِ وَالتَّوْبِيخِ
وَالْفَخْرِ عَلَى التَّرْتِيبِ.

(١) تخب: تعدو، والركاب: الإبل، يعني أنه لزم الإقامة بمصر فلم يرحلها لضعفه.

(٢) يعني أن مرضه طال حتى مله فراشه بعد أن كان هو يمل الفراش ولو لقيه مرة كل عام.

(٣) الدرن: الوسخ.

(٢) أَضْرِبَ الْخَبْرَ

الأمثلة :

١ - كَتَبَ معاوية إلى أحد عُمَاله فقال :

لَا يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نُسَوِّسَ النَّاسَ سِيَاسَةً وَاحِدَةً، لَا نَلْبِثُ جَمِيعاً قَيْمَرَحَ^(١) النَّاسِ فِي الْمَغْصِيَةِ، وَلَا نُسْتَنْدُ جَمِيعاً فَتُخَمِلَ النَّاسَ عَلَى الْمَهَالِكِ، وَلَكِنْ تَكُونُ أَنْتَ لِلشَّدَةِ وَالْغِلْظَةِ، وَأَكُونُ أَنَا لِلرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ.

٢ - قال أبو تمام :

يَسْأَلُ الْفَنَى مِنْ غَيْثِهِ وَهُوَ جَاهِلٌ
وَيُكْذِبِي الْفَنَى فِي ذَمِّهِ وَهُوَ عَالِمٌ^(٢)
وَلَوْ كَانَتْ الْأَرْزَاقُ تَجْرِي عَلَى الْحِجَا^(٣)
مَلَكُنْ إِذَا مِنْ جَهْلِهِنَّ الْبِهَائِمُ

* * *

٣ - قال الله تعالى :

﴿قَدْ بَلَغَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ إِتْقَانًا وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا لَيْلًا﴾^(٤).

٤ - قال السري الرفاء :

(١) يمر : ينشط ويختبر.

(٢) يكذي : يقل ماله.

(٣) الحجا : العقل.

(٤) المعوقين : من قولهم عوقه عن الأمر صرفه عنه وثبطه، هلم : تعالوا، والباس : الحرب، والمعنى أن الله يعلم المنافقين الذين يسيطون أمثالهم عن نصرة النبي ﷺ، ويقولون لهم : تعالوا معنا ودعوا محمداً، وهم مع هذا يحضرون الحرب ساعة مع المسلمين رياء منهم ونفاقاً ثم يتسللون.

إِنَّ الْبِئْسَ إِذَا مَا أَتَاهُ جَانِبُهُ لَمْ يَأْمَنْ النَّاسُ أَنْ يَنْهَضَ بِأَقْبِهِ

٥ - قال أبو العباس السفاح^(١):

لَأُعْطِيَنَّ اللَّيْنَ حَتَّى لَا يَنْفَعُ إِلَّا الشَّدَّةُ، وَلَأُكْرِمَنَّ الْخَاصَّةَ مَا أُمِيتُهُمْ عَلَى الْعَامَّةِ،
وَلَأُعْطِيَنَّ سَيْفِي حَتَّى يَسْأَلَ الْحَقَّ، وَلَأُعْطِيَنَّ حَتَّى لَا أَرَى لِلْعَطِيَةِ مَوْضِعًا.

٦ - قال الله تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ^(٢) فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾.

٧ - وَاللَّوِ إِنْشِي لِأَخْوِ هُمِةٍ ثَمَمُوا إِلَى الْمَجْدِ وَلَا تُفْشَرُ^(٣)

البحث:

إذا تأملت الأمثلة المتقدمة وجدتها أخباراً، ووجدتها في الطائفة الأولى خالية من أدوات التوكيد. وفي الطائفتين الأخيرتين مؤكدة بمؤكد أو مؤكدين أو أكثر، فما السر في هذا الاختلاف؟ إذا بحثت لم تجد لذلك سبباً سوى اختلاف حال المخاطب في كل موطن، فهو في أمثلة الطائفة الأولى خالي الذهن من مضمون الخبر، ولذلك لم يَزِ المتكلم حاجة إلى توكيد الحكم له، فألقاه إليه خالياً من أدوات التوكيد، ويسمى هذا الضرب من الأخبار ابتدائياً.

أما في الطائفة الثانية فالمخاطب له بالحكم إمام قليل يمتزج بالشك، وله تشوُّف إلى معرفة الحقيقة، وفي مثل هذه الحال يحسن أن يلقي إليه الخبر وعليه مِسْحَةٌ من اليقين تجلو له الأمر وتدفع عنه الشبهة؛ ولذلك جاء الكلام في المثال الثالث مؤكداً بـ«قد» وفي الرابع مؤكداً بـ«إن» ويسمى هذا الضرب طلبياً.

أما في الطائفة الأخيرة فالمخاطب مُكْرَرٌ للحكم جاحد له. وفي مثل هذه الحال يجب أن يُضْمَنَ الكلام من وسائل التقوية والتوكيد ما يدفع إنكار المخاطب ويدعو إلى التسليم، ويجب أن يكون ذلك بقدر الإنكار قوةً وضعفاً ولذلك جاء الكلام في المثالين الخامس والسادس مؤكداً بمؤكدين هما القسم ونون التوكيد. أما في المثال

(١) هو أول الخلفاء العباسيين، بويح بالخلافة سنة ١٣٢هـ، وكان جواداً كريم الأخلاق، توفي بالأنبار سنة ١٣٦هـ.

(٢) لتبلون: لتخبرن.

(٣) تفتر: تضعف.

الأخير فقد فرض الشاعر أن الإنكار أقوى. ولهذا أكدّه بثلاث أدوات هي: القسم وإن واللام، ويسمى هذا الضرب إنكارياً.

ولتوكيد الخبر أدوات كثيرة سنأتي عند ذكر القواعد على طائفة صالحة منها.

القواعد

(٣٢) للمخاطب ثلاث حالات:

أ - أن يكون خالي الذهن من الحكم، وفي هذه الحال يُلقَى إِلَيْهِ الخبر خالياً من أدوات التوكيد، ويسمى هذا الضرب من الخبر ابتدائياً.

ب - أن يكون متزّداً في الحكم طالباً أن يصل إلى اليقين في معرفته، وفي هذه الحال يخسّن توكيده له ليتّمكن من نفسه، ويسمى هذا الضرب طلبياً.

ج - أن يكون منكراً له، وفي هذه الحال يجب أن يؤكّد الخبر بمؤكد أو أكثر على حسب إنكاره قوة وضعفاً، ويسمى هذا الضرب إنكارياً^(١).

(٣٣) لتوكيد الخبر أدوات كثيرة منها إن، وأن، والقسم ولائم الابتداء، ونونا التوكيد، وأخرف التنبيه، والخروف الزائدة، وقد، وأما الشرطية.

نموذج

في تعيين أضرب الخبر وأدوات التوكيد

١ - قال أبو العتاهية:

إني رأيت عواقب الدنيا فتركت ما أهوى لما أخشى

٢ - قال أبو الطيب:

(١) وضع الخبر ابتدائياً أو طلبياً أو إنكارياً إنما هو على حسب ما يخطر في نفس القائل من أن سامعه خالي الذهن أو متردد أو منكر، وقد يعدل المتكلم أحياناً عن التأكيد، وقد يؤكد ما لا يتطلب التأكيد لأغراض سببها بعد.

- عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْقَرْمِ تَأْتِي الْعِزَائِمُ وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكَرَامِ الْمَكَارِمُ^(١)
وَتُكْبَرُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صِغَارُهَا وَتُصَغَّرُ فِي عَيْنِ الْعَظِيمِ الْعِظَائِمُ^(٢)
- ٣ - قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:
وَأِنِّي لَأُحَلِّقُ تَغْتَرِبْنِي مَرَاةٌ وَإِنِّي لَنَرَاكَ لِمَا لَمْ أَعُودِ
- ٤ - قَالَ الْأَرْجَانِيُّ^(٣):
إِنَّا لِفِي زَمَنٍ مَلَأَ مِنْ فِتْنٍ فَلَا يُعَابُ بِهِ مَلَأَ مِنْ فَرْقٍ^(٤)
- ٥ - قَالَ لَبِيدٌ^(٥):
وَلَقَدْ عَلِمْتُ لَأَتَّيِبَنَّ مَنِيَّتِي إِنَّ الْمَنَايَا لَا تُطِيشُ سِهَانَهَا^(٦)
- ٦ - قَالَ الثَّابِغَةُ الذَّيْنَانِيَّةُ:
وَلَسْتُ بِمُسْتَنْبِقٍ أَحَا لَا تَلْمُهُ عَلَى شَعَثِ أَيِّ الرِّجَالِ الْمُهَذَّبِ^(٧)
- ٧ - قَالَ الشَّرِيفُ الرَّضِيُّ:
قَدْ يَبْلُغُ الرَّجُلُ الْجَبَانَ بِمَالِهِ مَا لَيْسَ يَبْلُغُهُ الشُّجَاعُ الْمُعْدِمُ

- (١) العزائم: جمع عزيمة وهي الإرادة، والمكارم: جمع مكرمة اسم من الكرم، والمعنى أن العزائم والمكارم تأتي على قدر فاعليها، ويقاس مبلغها بمبلغهم، فتكون عظيمة إذا كانوا عظاماً.
- (٢) الضمير في صغارها يعود على العزائم والمكارم، أي أن الصغير منها يعظم في عين الصغير القدر لأنه يستند همة، والعظيم يصغر في عين العظيم القدر لأن في همة زيادة عليه.
- (٣) هو القاضي ناصح الدين أبو بكر الأرجاني، والأرجاني نسبة إلى أرجان «بلد بفارس»، كان فقيهاً شاعراً كثير الشعر رفيقه، وقد توفي سنة ٥٤٥هـ.
- (٤) الفرق: الخوف.
- (٥) هو لبيد بن ربيعة أحد الشعراء المجيدين والفرسان الممهرين أسلم وحسن إسلامه، قيل إنه مات وعمره ١٤٥ سنة، عاش منها ٩٠ سنة في الجاهلية، وله المعلقة المشهورة.
- (٦) لا تطيش: أي لا تخطيء، وكل سهم يخطيء ويصيب إلا سهم المنة فإنه قاتل لا محالة.
- (٧) لا تلمه: أي لا تجمعه إليك، والشعث: اتساخ الرأس من الغبار، والمقصود على ما به من الهفوات، ومعنى قوله أي الرجال المهذب: ليس في الناس كامل لا عيب فيه.

الإجابة

رقم العبارة	الجملة	ضرب الخبر	أدوات التوكيد
١	إني رأيت	طلبي	إِنَّ
	فتركت ما أهوى	ابتدائي	
٢	على قدر أهل العزم الخ	ابتدائي	
	وتأتي على قدر الكرام الخ	ابتدائي	
	وتكبر في عين الصغير الخ	ابتدائي	
	وتصغر في عين العظيم الخ	ابتدائي	
٣	واني لحلو تمريني مرارة	إنكاري	إِنَّ واللام
	واني لتركك	إنكاري	إِنَّ واللام
٤	إنا لفي زمن الخ البيت	إنكاري	إِنَّ واللام
	فلا بعاب الخ	ابتدائي	
٥	ولقد علمت	إنكاري	القسم وقد
	إن المنايا لا تطيش سهامها	طلبي	إِنَّ
٦	ولست بمستيق الخ	طلبي	الباء الزائدة
٧	قد يبلغ الرجل الجبان الخ	طلبي	قد

تمرينات

(١)

بَيِّنْ أَضْرِبَ الْخَبَرِ فِيمَا يَأْتِي وَعَيِّنْ أَدَاةَ التَّوَكِيدِ :

١ - جَاءَ فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ :

الدَّهْرُ يُخْلِقُ الْأَبْدَانَ، وَيَجْعَدُ الْأَمَالَ، وَيُقَرِّبُ الْمَيِّتَةَ، وَيَبَاعِدُ الْأُمِّيَّةَ، مَنْ ظَفَرَ
بِهِ نَصِيبٌ، وَمَنْ فَاتَهُ تَعَبٌ^(١).

(١) لا يخلو الإنسان في دهره من التعب، وسيان في ذلك مَنْ ظفر بحاجته ومن فاتته مطالبه.

٢ - قال الأرجاني:

ذَقَبَ الشُّكْرُ وَالْوَفَاءُ مِنَ الْوَزَى وَتَصَرُّمًا إِلَّا مِنَ الْأَشْعَارِ
وَفُشَّتْ خِيَانَاتُ الثَّقَاتِ وَغَيْرِهِمْ حَتَّى أَتَهَمْنَا زُفْنَةَ الْأَبْصَارِ

٣ - قال العباس بن الأحف^(١):

فَأَقْسَمُ مَا تُرَكِّي عَثَابَكَ عَنْ قَلِي وَلَكِنْ لِيَعْلَمِي أَنَّهُ غَيْرُ نَافِعِ

٤ - قال محمد بن بشير^(٢):

إِنِّي وَإِنْ قَصُرْتُ عَنْ هِمَّتِي جَدَّتِي وَكَانَ مَالِي لَا يَقْوَى عَلَى خُلُقِي^(٣)
لَتَسَارِكُ كُلُّ أَنْسِرٍ كَانَ يُلْزِمُنِي عَارًا وَيُشْرَعُنِي فِي الْمُنْهَلِ الرُّنْقِ^(٤)

٥ - قال تعالى: ﴿آلَ إِنَّ أَوْلَىٰ لَهُ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

٦ - وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ
الْفُحْرِ مُعْرِضُونَ.

٧ - قال أبو نواس:

وَلَقَدْ نَهَزْتُ مَعَ الْغَوَاةِ بِدَلْوِهِمْ وَأَسْمُتُ سَرْخَ الْلَهُوِ حَيْثُ أَسَامُوا^(٥)
وَيَلْعُتُ مَا بَلَغَ امْرُؤٌ بِشَبَابِهِ فَإِذَا غَضَارُهُ كُلُّ ذَلِكَ أَثَامُ^(٦)

٨ - وقال أعرابي:

(١) هو من الموالي، شاعر ظريف عاش بالبصرة ولم يفارقها، ولم يرد على أمير ولا شريف
متجعماً، واشتهر برقة غزله، وهو من شعراء العصر العباسي الأول.

(٢) هو محمد بن بشير الخارجي شاعر حجازي فصيح مطبوع من شعراء الدولة الأموية، وكان
منقطعاً إلى أبي عبيدة القرشي، وله فيه مدائح ومراث مختارة هي من عبون شعره.

(٣) الجدة: المال والغنى.

(٤) يشرعني: يخوض بي، والمنهل الرنق: مورد الماء الكدر. ومعنى البيت أنه مع قلة ماله وعلو
هيمته لا يتورط فيما يورثه سبة.

(٥) يقال نهز الدلو في البئر إذا ضربها في الماء لثمتلى، ويقال: أسام الإبل إذا أرسلها إلى
المرعى، والسرخ: المال السائم أي الراعي، كالإبل وغيرها؛ يعني أنه اتبع الغواة والضالين
وسلك مسالكهم.

(٦) المعاصرة في الأصل: ما يتحلب من الشيء بعد عصره، ويريد بها هنا ما استفاد في آخر أمره،
الأنام: الإثم والذنب، يقول: إنه لم يستفد من لهوه وسلوكه مسالك الغواة إلا ما عد عليه ذنباً
وإنما.

وَلَمْ أَرْ كَالْمَفْرُوفِ أَمَا مَذَاقُهُ فَخَلَوْا وَأَنَا وَجْهَهُ فَجَمِيلُ
٩ - قال كعب بن سعد القُتُوبِيُّ^(١):

وَلَسْتُ بِمُبْدٍ لِلرَّجَالِ سِرِّيَّتِي وَلَا أَنَا عَنْ أَسْرَارِهِمْ بِسُؤُولِ
١٠ - قال المعري في الرثاء:

إِنَّ الَّذِي الْوَحْشَةُ فِي دَارِهِ تُؤْنِسُهُ الرَّحْمَةُ فِي لَحْدِهِ^(٢)

(٢)

بَيِّنَ الْجَمَلَ الْخَبِيرَةَ فِيمَا يَأْتِي وَعَيْنَ أَضْرِبَهَا؛ وَاذْكُرَ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنْ وَاسَائِلِ
التَّوَكُّيدِ:

١ - قال يزيد بن معاوية^(٣) بعد وفاة أبيه:

إِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَانَ حَبْلًا مِنْ جِبَالِ اللَّهِ مَدُّهُ مَا شَاءَ أَنْ يُمَدَّهُ، ثُمَّ قَطَعَهُ حِينَ
أَرَادَ أَنْ يَفْطَعَهُ، وَكَانَ دُونَ مَنْ قَبْلَهُ، وَخَيْرًا مِنْ يَأْتِي بَعْدَهُ، وَلَا أَزْكِيهِ عِنْدَ
رَبِّي، وَقَدْ صَارَ إِلَيْهِ، فَإِنْ يَغْفُ عَنْهُ فَبِرَحْمَتِهِ، وَإِنْ يَعْاقِبُهُ فَبِذَنْبِهِ، وَقَدْ وَلِيْتُ
بَعْدَهُ الْأَمْرَ وَلَسْتُ أَغْتَبِرُ مِنْ جَهْلٍ، وَلَا أَسَى^(٤) عَلَى طَلَبِ عِلْمٍ، وَعَلَى
رِسْلِكُمْ^(٥) إِذَا كَرِهَ اللَّهُ شَيْئًا غَيْرَهُ، وَإِذَا أَحَبَّ شَيْئًا نَسَرَهُ.

٢ - قال الشاعر:

لَئِنْ كُنْتُ مُحْتَاجًا إِلَى الْجَلْمِ إِنِّي إِلَى الْجَهْلِ فِي بَعْضِ الْأَخْيَارِ أَخْوَجُ^(٦)
وَمَا كُنْتُ أَرْضَى الْجَهْلَ خِذًّا وَصَاحِبًا وَلَكِنِّي أَرْضَى بِهِ حِينَ أُخْرِجُ^(٧)
وَلِي فَرَسٌ لِلْجَلْمِ بِالْجَلْمِ مُلْجَمٌ وَلِي فَرَسٌ لِلْجَهْلِ بِالْجَهْلِ مُنْزَجٌ

(١) هو أحد شعراء الجاهلية المجيدين؛ توفي قبل الهجرة بسنين قليلة.

(٢) يقول أبو العلاء: نحن نحس وحشة في دار الفقيده البعيدة عنها، ولكنه هو يحس أنسا في قبره لما يجده هناك من رضوان الله ورحمته.

(٣) هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، ولد سنة ٢٦هـ وأبوه أمير الشام لعثمان بن عفان وترى في حجر الإمارة، بوع بالخلافة بعد وفاة أبيه، وتوفي بحوران من أرض الشام سنة ٦٤هـ.

(٤) أسى مضارع أسى بمعنى حزن.

(٥) على رسلكم: أي تمهلوا.

(٦) الجهل: ضد العلم.

(٧) يقال: أخرج فلان فلاناً إذا أوقعه في الإثم أو الضيق.

فَمَنْ شَاءَ تَقْوِيْمِي فَلِإِنِّي مُقَوِّمٌ وَمَنْ شَاءَ تَعْوِيْجِي فَلِإِنِّي مُعَوِّجٌ

(٣)

١ - تخيل أنك في جدال مع طالب من قسم الآداب، وأنت من طلاب العلوم، ثم بين له فضل العلوم على الآداب مستعملاً جميع أصرب الخبر.

٢ - إذا كنت من طلاب الآداب فبين مزاياها وفضلها على العلوم مستعملاً جميع أصرب الخبر.

(٤)

كُونْ عَشْرَ جَمَلٍ خَبْرِيَّةٍ، وَضَمِّنْ كُلًّا مِنْهَا أَدَاةً أَوْ أَكْثَرَ مِنْ أَدَوَاتِ التَّوَكُّيدِ وَاسْتَوْفِ الْأَدَوَاتِ الَّتِي عَرَفْتَهَا.

(٥)

انثر البيتين الآتين نثراً فصيحاً وبين فيهما الجمل الخبرية وأضرُبْهَا:

تَوَدُّ عَبْدُوِي ثُمَّ تَزْعُمُ أَنَّنِي ضِدِّيكَ! إِنَّ الرُّأْيِي مِنْكَ لِعَازِبٌ^(١)
وَلَيْسَ أَخِي مَنْ وَدَّنِي رَأَى عَيْنِي وَلَكِنْ أَخِي مَنْ وَدَّنِي وَهُوَ غَائِبٌ

(٣) خُرُوجُ الْخَبَرِ عَنْ مُقْتَضَى الظَّاهِرِ

الأمثلة:

١ - قال تعالى:

﴿وَلَا تُخْطِئُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُخْرَجُونَ﴾.

٢ - وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرِئْتُ نَفْسًا إِنْ أَنْفَسَ لَأَنَارَةٌ يَالسُّوْءُ﴾

٣ - وقال تعالى:

﴿ثُمَّ لَئِنْ كُنْتُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَنَسْتُنَّ﴾.

٤ - وقال خنبل بن نضلة القيسي:

جاء شقيق عارضاً رُمحه إِنْ بَنِي غَمُكَ فِيهِمْ رِمَاحٌ^(١)

٥ - وقال تعالى يخاطب مُبَكِّرِي وَخَذَائِيهِ:

﴿وَلَا تَهْزِلْ لَهُ وَجِدًا﴾.

٦ - الجهل ضار: (تقوله لمن يُنكر ضرر الجهل).

البحث:

عرفنا في الباب السابق أن المخاطَب إن كان خالي الذهن أُلقي إليه الخبر غير مؤكد، وإن كان متردداً في مضمون الخبر طالباً معرفته حَسُنَ توكيده له، وإن كان منكراً وجب التوكيد، وإلقاء الكلام على هذا النمط هو ما يقتضيه الظاهر. وقد توجد اعتبارات تدعو إلى مخالفة هذا الظاهر نشرحها فيما يأتي:

انظر إلى المثال الأول تجد المخاطب خالي الذهن من الحكم الخاص بالظالمين، وكان مقتضى الظاهر على هذا أن يُلقى إليه الخبر غير مؤكد، ولكن الآية الشريفة جاءت بالتوكيد، فما سبب خروجها عن مقتضى الظاهر؟ السبب أن الله سبحانه لما نهى نوحاً عن مخاطبته في شأن مخالفته دفعه ذلك إلى التطلع إلى ما سيصيبه، فنزل لذلك منزلة السائل المتردد؛ أَخْبِرْهُمْ عَلَيْهِم بِالْإِغْرَاقِ أَمْ لَا؟ فأجيب بقوله: ﴿إِنَّهُمْ مُقْرَوْنَ﴾.

وكذلك الحال في المثال الثاني، فإن المخاطب خالي الذهن من الحكم الذي تضمنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَنفَرَةً﴾^(٢)، غير أن هذا الحكم لما كان مسبوقاً بجملته أخرى وهي قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْبُؤُكَ تَقِيٌّ﴾، وهي تشير إلى أن النفس محكوم عليها بشيء غير محبوب، أصبح المخاطب مستشرقاً متطلعاً إلى نوع هذا الحكم، فنزل من أجل ذلك منزلة الطالب المتردد، وأُلقي إليه الخبر مؤكداً.

(١) شقيق: هو أحد بني عمرو بن عبد قيس بن معن، وعارضاً رُمحه: أي جاعلاً رُمحه، وهو راكب، على فخذه بحيث يكون عرض الرمح في جهة العدو، وذلك إدلالاً بشجاعته واستخفافاً بمن يقابلهم حتى كأنه يعتقد أنهم لا سلاح عندهم.

انظر إلى المثال الثالث تجد المخاطبين غير منكرين الحكم الذي تضمنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكَ بِعَدِّ ذَلِكَ لَوَسَّوْنَ﴾، فما السبب إذاً في إلقاء الخبر إليهم مؤكداً؟ السبب ظهور أمارات الإنكار عليهم، فإن غفلتهم عن الموت وعدم استعدادهم له بالعمل الصالح يُعدّان من علامات الإنكار، ومن أجل ذلك نُزّلوا منزلة المنكرين وألقي إليهم الخبر مؤكداً بمؤكدين.

وكذلك الحال في قول حَجَل بن نُضْلَة، فإن شقيقاً لا ينكر رماح بني عمه، ولكن مجيئه عارضاً رمحه من غير تهيب للقتال ولا استعداد له، دليل على عدم اكتراثه، وعلى أنه يعتقد أن بني عمه عَزُلَ لا سلاح معهم، فلذلك أنزل منزلة المنكرين فأكد له الخبر وخوطب خطاب المنكر، فقليل له: «إن بني عمك فيهم رماح».

انظر إلى المثال الخامس تر أن الله سبحانه يخاطب المنكرين الذين يجحدون وحدانيته، ولكنه ألقى إليهم الخبر خالياً من التوكيد كما يُلْقَى لغير المنكرين فقال: ﴿وَلَا تَكْفُرْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ فما وجه ذلك؟ الوجه أن بين أيدي هؤلاء من البراهمين الساطعة والحجج القاطعة ما لو تأملوه لوجدوا فيه نهاية الإقناع، ولذلك لم يُقِم الله لهذا الإنكار وزناً ولم يقتد به في توجيه الخطاب إليهم.

وكذلك الحال في المثال الأخير، فإن لدى المخاطب من الدلائل على ضرر الجهل ما لو تأمله لارتدع عن إنكاره، ولذلك ألقى إليه الخبر خالياً من التوكيد.

القواعد

(٣٤) إذا أُلْقِيَ الْخَبَرُ خَالِياً مِنَ التَّوَكِيدِ لِخَالِي الذَّهْنِ، وَمُؤَكِّداً اسْتِخْساناً لِلْسَّائِلِ الْمُتَرَدِّدِ، وَمُؤَكِّداً وَجُوباً لِلْمُنْكَرِ، كَانَ ذَلِكَ الْخَبَرُ جَارِياً عَلَى مُقْتَضَى الظَّاهِرِ.

(٣٥) وقد يَجْرِي الْخَبَرُ عَلَى خِلَافِ مَا يَقْتَضِيهِ الظَّاهِرُ لاعتبارات يُلْعَظُهَا الْمُتَكَلِّمُ وَمِنْ ذَلِكَ مَا يَأْتِي:

١ - أَنْ يُنْزَلَ خَالِي الذَّهْنِ مَنْزِلَةً السَّائِلِ الْمُتَرَدِّدِ إِذَا تَقَدَّمَ فِي الْكَلَامِ مَا يُشِيرُ إِلَى حُكْمِ الْخَبَرِ.

ب - أَنْ يُجْعَلَ غَيْرُ الْمُنْكَرِ كَالْمُنْكَرِ لظهور أمارات الإنكار عَلَيْهِ.

ج - أَنْ يُجْعَلَ الْمُتَكَبِّرُ كَغَيْرِ الْمُنْكَرِ إِنْ كَانَ لَدَيْهِ دَلَالٌ وَشَوَاهِدٌ لَوْ تَأَمَّلَهَا
لَارْتَدَّ عَنْ إِنْكَارِهِ.

نُمُودَجْ

يُنْ وَجْهَ خُرُوجِ الْخَبَرِ عَنْ مَقْتَضَى الظَّاهِرِ فِيمَا يَأْتِي:

- ١ - قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّكَ زَلَّزِلَ السَّاعَةُ وَنُفْ عَصِيْبِرُ ۝﴾.
- ٢ - إِنْ بَرَّ الْوَالِدَيْنِ لَوَاجِبُ (تَقُولُهُ لَمَنْ لَا يَطِيعُ وَالِدَيْهِ).
- ٣ - إِنْ اللَّهُ لَمُطَّلِعٌ عَلَى أَعْمَالِ الْعِبَادِ (تَقُولُهُ لَمَنْ يَظْلِمُ النَّاسَ بِغَيْرِ حَقٍّ).
- ٤ - اللَّهُ مُوجُودٌ (تَقُولُهُ ذَلِكَ لَمَنْ يَنْكُرُ وَجُودَ الْإِلَهِ).

الإجابة

- ١ - الظاهر في المثال الأول يقتضي أن يلقي الخبر خالياً من التوكيد؛ لأن المخاطب خالي الذهن من الحكم، ولكن لما تقدّم في الكلام ما يشعر بنوع الحكم أصبح المخاطب متطلعاً إليه؛ فنزل منزلة السائل المتردد واستحسن إلقاء الكلام إليه مؤكداً جرياً على خلاف مقتضى الظاهر.
- ٢ - مقتضى الظاهر أن يلقي الخبر غير مؤكد، لأن المخاطب هنا لا ينكر أن بر الوالدين واجب ولا يتردد في ذلك، ولكن عصيانه أمانة من أمارات الإنكار؛ فلذلك نُزِّلَ منزلة المنكر.
- ٣ - الظاهر هنا يقتضي إلقاء الخبر غير مؤكد أيضاً، لأن المخاطب لا يُنْكِرُ الحكم ولا يتردد فيه ولكنه نُزِّلَ منزلة المنكر، وألقي إليه الخبر مؤكداً لظهور أمارات الإنكار عليه، وهي ظلمه العباد بغير حق.
- ٤ - الظاهر هنا يقتضي التوكيد؛ لأن المخاطب يُجْحِدُ وجود الله، ولكن لما كان بين يديه من الدلائل والشواهد ما لو تأمله لارتدع عن الإنكار، جعل كغير المنكر، وألقي إليه خالياً من التوكيد جرياً على خلاف مقتضى الظاهر.

تمرينات

(١)

يُبين وجه خروج الخبر عن مقتضى الظاهر في كل مثال من الأمثلة الآتية:

- ١ - قال تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾.
 - ٢ - وقال: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝﴾.
 - ٣ - إِنَّ الفراغ لَمُفْسَدَةٌ (نقوله لَمَنْ يعرف ذلك ولكنه يكره العمل).
 - ٤ - العلم نافع (نقول ذلك لَمَنْ ينكر فائدة العلوم).
 - ٥ - قال أبو الطيب:
- تَرَفَّقُوا بِهَا الْمُؤَلَّى عَلَيْهِمْ فَإِنَّ الرِّفْقَ بِالْجَانِي عِتَابٌ^(١)

(٢)

- ١ - هات مثالين يكون الخبر في كل منهما مؤكداً استحساناً، وجارياً على خلاف مقتضى الظاهر وشرح السبب في كل من المثالين.
- ٢ - هات مثالين يكون الخبر في كل منهما مؤكداً وجوباً وخارجاً عن مقتضى الظاهر، وشرح وجه التوكيد في كل من المثالين.
- ٣ - هات مثالين يكون الخبر في كل منهما خالياً من التوكيد وخارجاً عن مقتضى الظاهر، وشرح وجه الخروج في كل من المثالين.

(٣)

اشرح قول عترة ويّين وجه توكيد الخبر فيه:

لِلَّهِ ذَرُّ بَنِي عَبْسٍ لَقَدْ نَسَلُوا مِنْ الْأَكَارِمِ مَا قَدْ تُنْسِلُ الْعَرَبُ^(٢)

(١) الرفق: ضد العنف، والجاني: المذنب، يقول: ترفق بهم وإن جنوا فإن الجاني إذا عومل بالرفق لأن ورجع عن جنائته فكان الرفق به بمنزلة العتاب.

(٢) نسلوا: ولدوا، ومعنى قوله: نسلوا من الأكابر ما قد تنسل العرب، أنهم ولدوا من الأماجد ما يلدّه العرب المظماء.

الإِنشاء تقسيمه إلى طلبي وغير طلبي

الأمثلة :

- ١ - أَجِبْ لِغَيْرِكَ مَا تَجِبُ لِنَفْسِكَ .
- ٢ - من كلام الحسن رضي الله عنه^(١) :
لَا تَطْلُبْ مِنَ الْجَزَاءِ إِلَّا بِقَدْرِ مَا صَنَعْتَ .
- ٣ - وقال أبو الطيب :
أَلَا مَا لَسَيْفِ الدَّوْلَةِ الْيَوْمَ عَائِباً فِدَاءُ الْوَرَى أَمْضَى السُّيُوفِ مَضَارِباً^(٢)
- ٤ - وقال حسان بن ثابت :
يَا لَيْتَ شِعْرِي وَلَيْتَ الطَّيْرُ تُخْبِرُنِي مَا كَانَ بَيْنَ عَلِيٍّ وَأَبْنِي غَفَائِلاً!
- ٥ - وقال أبو الطيب :
يَا مَنْ يَعْزُ عَلَيْنَا أَنْ تُفَارِقَهُمْ وَجِدَائِنَا كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَكُمْ عَدَمٌ^(٣)



(١) هو سبط رسول الله ﷺ، كان سيداً حليماً يكره الفتن والسيف، حتى أنه نزل لمعاوية عن الخلافة حباً في جمع الكلمة وترك القتال بين المسلمين، توفي سنة ٥٤٩هـ.

(٢) أمضى اسم تفضيل بمعنى أقطع وهو منصوب على المدح، ومضارب السيوف حذودها، وجملة فداء الوري وما يتصل بها دعاء.

(٣) يقول: إذا فارقناكم، ووجدنا كل شيء فوجدانه والعدم سواء، لأنه لا يقني غناءكم أحد ولا يخلفكم عندنا بدل.

٦ - وقال الصُّمَّةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ^(١):

بِنَفْسِي تِلْكَ الْأَرْضُ مَا أَطْلُبُ الرُّبَا
وَمَا أَحْسَنَ الْمُصْطَفَاةِ وَالْمَثْرِبَا^(٢)
٧ - وقال الجاحظ من كتاب:

أَنَا بَعْدَ فَيْغَمِ الْبَدِيلِ مِنَ الزُّلَّةِ الْإِعْتِذَارُ^(٣)، وَلَيْسَ الْعَوْضُ مِنَ التَّوْبَةِ الْإِصْرَارُ^(٤).

٨ - وقال عبد الله بن طاهر:

لَقَمَرُكَ مَا بِالْعَقْلِ يُكْتَسَبُ الْغِنَى
وَلَا بِاِكْتِسَابِ الْمَالِ يُكْتَسَبُ الْعَقْلُ
٩ - وقال ذو الرُّمَّة^(٥):

لَقُلْ أَنْجِدَاكَ الذَّنْبُ يُثْقِبُ رَاحَةً - مِنْ الْوُجْدِ أَوْ يَنْفِي شَجِي الْبِلَابِلِ^(٦)
١٠ - وقال آخر:

عَسَى سَائِلٌ ذُو حَاجَةٍ إِنْ مَنَعْتَهُ
مِنْ الْيَوْمِ سُوْلًا أَنْ يَكُونَ لَهُ عُدٌّ^(٧)
البحث:

الأمثلة المتقدمة جميعها إنشائية، لأنها لا تحتمل صدقاً ولا كذباً، وإذا تدبرتها جميعها وجدتها قسمين، فأمثلة الطائفة الأولى يطلب بها حصول شيء لم يكن حاصلًا وقت الطلب، ولذلك يسمى الإنشاء فيها طلبيًا. أما أمثلة الطائفة الثانية فلا يطلب بها شيء. ولذلك يسمى الإنشاء فيها غير طلبيًا.

-
- (١) شاعر غزل مقل يدوي. وهو من شعراء الدولة الأموية، وكان شريفًا ناسكًا عابدًا.
(٢) الربا: الأماكن العالية، والمصطافات: منزل القوم في العيف، والمثرب: منزلهم في الربيع، يقول: أفندي بنفسي تلك الأرض لطيب رباها وحسنها صيفًا وريبعًا.
(٣) البديل: البدل، والزلة: السقطة في الكلام وغيره، يقول: إن مقابلة الزلل بالاعتذار محمودة.
(٤) الإصرار: عقد النية على البقاء على الذنب، يعني أنه يجب على المذنب أن يتوب من ذنبه ولا يصبر على ارتكابه.
(٥) من شعراء الدولة الأموية، وكان بليغ الكلام لسنًا، أخذ من ظريف الشعر وحسنه ما لم يسبقه إليه أحد، وهو أحسن أهل الإسلام تشبيهاً، ولكنه لم يحسن المدح ولا الهجاء، توفي سنة ١١٧هـ.
(٦) الشجي: الحزين، والبلايل: جمع بلبال وهو الهم ووسواس الصدر. والمراد بشجي البلايل المحزون الذي امتلأ صدره همًا وحزنًا.
(٧) لا يلين أن تمنع سائلًا أنك وله حاجة، فإنك إن منعت في يومك الذي هو لك فقد يكون له الغد فيجازيك على الحرمان بالحرمان.

تدبر الإنشاء الطلبي في أمثلة الطائفة الأولى تجده تارة يكون بالأمر كما في المثال الاول، وتارة بالنهي كما في المثال الثاني، وتارة بالاستفهام كما في المثال الثالث، وتارة بالتمني كما في المثال الرابع، وتارة بالتداء كما في المثال الخامس، وهذه هي أنواع الإنشاء الطلبي التي سنبحث عنها في هذا الكتاب^(١).

انظر إلى أمثلة الطائفة الثانية تجد وسائل الإنشاء فيها كثيرة، فقد يكون بصيغ التعجب كما في المثال السادس، أو بصيغ المدح والذم كما في المثال السابع أو بالقسم كما في المثال الثامن، أو بلعل وعسى وغيرهما من أدوات الرجاء كما في المثالين الأخيرين، وقد يكون بصيغ العقود كبت واشترت.

وأنواع الإنشاء غير الطلبي ليست من مباحث علم المعاني، ولذلك نقصر فيها على ما ذكرنا ولا نطيل فيها البحث.

القاعدة

(٣٦) الإنشاء نوعان طلبيّ وغير طلبيّ:

١ - فالطلبّي ما يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب، ويكون بالأمر، والنهي، والاستفهام، والتمني، والتداء^(٢).

ب - وغير الطلبيّ ما لا يستدعي مطلوباً، وله صيغ كثيرة منها: التعجب، والمدح، والذم، والقسم، وأفعال الرجاء، وكذلك صيغ العقود.

نموذج

ليان نوع الإنشاء في كل مثال من الأمثلة الآتية:

١ - قال أبو تمام:

لا تُسَقِنِي ماء الملام فإِنِّي صَبٌّ قد اسْتَعَذَّبْتُ ماء بُكَانِي

(١) ويكون الإنشاء الطلبي أيضاً بالعرض والتحفيض والجميل الدعائية، ولكننا اقتصرنا على الأنواع الخمسة لاختصاصها بكثير من اللطائف البلاغية.

(٢) قد تكون الجملة خبرية في اللفظ وهي إنشائية في المعنى، وعلى ذلك تعد في باب الإنشاء، كقول المتنبي يخاطب عضد الدولة: «فدى لك مَنْ يفصر عن فداكا» وكقوله يدعو لسيف الدولة بالشفاء من علة أصابه: «شفاك الذي يشفي بجودك خلقه».

٢ - ومما يؤثر:

أَحْبَبَ حَبِيْبِكَ هُوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُوْنَ بَغِيْضَكَ يَوْمًا مَا، وَأَبْغَضَ بَغِيْضَكَ هُوْنًا مَا
عَسَى أَنْ يَكُوْنَ حَبِيْبَكَ يَوْمًا مَا.

٣ - قال ابن الزيات يمدح الفضل بن سهل^(١):

يَا نَاصِرَ الدِّينِ إِذْ رُئِثَتْ حَبَائِلُهُ لَأَنْتَ أَكْرَمُ مَنْ أَوَى وَمَنْ نَصَرَا

٤ - لَأُمِيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ^(٢) فِي طَلَبِ حَاجَةٍ:

أَذْكُرُ حَاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَانِي حَبَاؤُكَ إِنْ شِيمَشَكَ الْحَيَاءُ

٥ - وَقَالَ زُهَيْرُ بْنُ أَبِي سُلَيْمٍ^(٣):

نَعَمْ أَمْرًا هَرِمَ لَمْ تَغْرِ نَائِيَةً إِلَّا وَكَانَ لِمُرْتَاعٍ بِهَا وَزَرًا^(٤)

٦ - قَالَ أَمْرُو الْقَيْسِ:

أَجَارَتْنَا إِنَّا غَرِيبَانِ هَاهُنَا وَكُلُّ غَرِيبٍ لِلْغَرِيبِ نَسِيبُ

٧ - وَقَالَ آخَرُ:

يَا لَيْتَ مَنْ يَمْنَعُ الْمَعْرُوفَ يَمْنَعُهُ حَتَّى يَذُوقَ رَجَالُ غَيْبٍ مَا صَنَعُوا^(٥)

٨ - وَقَالَ أَبُو نُؤَاسٍ يَسْتَغْفِلُ الْأَمِينَ:

(١) كان الفضل بن سهل وزيراً للمامون وقد اشتهر ببلاغته وحسن كتابته وجمال خطه وكان يلقب
بذي الرياستين، وقتل بسرخص سنة ٢٠٢هـ.

(٢) شاعر من شعراء الجاهلية، قرأ كتب اليهود والنصارى وكان يعني نفسه أن يكون النبي المبعوث
من العرب، ولما ظهر النبي ﷺ امتنع عن الإسلام حسداً له، وفي شعره كثير من الألفاظ
السريانية، ومات أول ظهور الإسلام.

(٣) أحد الثلاثة المقدمين على سائر شعراء الجاهلية، وهم زهير وأمرؤ القيس والنابغة، كان لا
يعاقل في كلامه، وكان يتجنب وحشي الشعر ولا يمدح أحداً إلا بما فيه، وكان يضرب به
المثل في تنقيح الشعر حتى سميت قصائده بالحوليات؛ لأنه كان يعمل القصيدة ثم يأخذ في
تنقيحها وعرضها على الشعراء في سنة كاملة.

(٤) نعر: تنزل؛ والمرتع: الخائف. الوزر: الملجأ. يمدح هرم بن سنان بأنه ملجأ كل خائف
وغيبات كل ملهوف.

(٥) الغب: العاقبة.

وحياة راسك لا أغو د ليشليها وحياة راسك

٩ - قال دُغَلُ الخُزاعي:

ما أكثر الناس لا، بل ما أقلهم
إني لأفتح عيني حين أفتحها
الله يعلم أني لم أقل فئداً^(١)
على كثير ولكن لا أرى أحداً

الجواب

رقم المثال	صفة الإنشاء	نوعه	طريقته
١	لا تَقْنِي ماء الملام	طلبي	النهي
٢	أحب حبيك هوناً ما	طلبي	الأمر
	عسى أن يكون بغيضك يوماً ما	غير طلبي	الرجاء
	وأبغض بغيضك هوناً ما	طلبي	الأمر
	عسى أن يكون إلخ	غير طلبي	الرجاء
٣	يا ناصر الدين إلخ	طلبي	النداء
٤	أأذكر حاجتي	طلبي	الاستفهام
٥	نعم امرأ هرم	غير طلبي	المدح
٦	أجارتنا	طلبي	النداء
٧	يا ليت من يمنع إلخ	طلبي	التمني
٨	وحياة راسك	غير طلبي	القسم
٩	ما أكثر الناس	غير طلبي	التعجب
	ما أقلهم	غير طلبي	التعجب

(١) الفند بفتحين: الكذب.

تمريثات

(١)

يُبَيِّن صيغ الإنشاء وأنواعه وطرقه فيما يأتي:

- ١ - قال أبو الطيب يمدح نفسه:
ما أبعد العيب والنقصان عن شرفي! أنا الشريفاً وذان الشيب والهزم^(١)
- ٢ - وقال:
لعل عثبك مخمود عواقبه ورؤيما صحت الأجسام بالجلل
- ٣ - وقال:
فيا ليت ما بيني وبين أجبتني من البعد ما بيني وبين المصائب
- ٤ - وقال في مدح سيف الدولة:
ولعمري لقد شئت المئايا بالأعادي فكيف يطلبن شغلا؟
- ٥ - وقال فيه أيضاً:
يا من يقتل من أراد بسيفه أصبح من قتلاك بالإحسان^(٢)
- ٦ - وقال فيه أيضاً:
تالله ما علم امرؤ لولاكم كيف السخاء وكيف ضرب الهام^(٣)
- ٧ - وقال أيضاً:
ومكايد السفهاء واقعة بهم وعداوة الشعراء بشس المفتى
- ٨ - وقال أيضاً:
لهم الليالي التي أختت على جذتي برقة الحال واغيزني ولا تلم^(٤)

(١) يقول: إن العيب والنقصان بعيدان عني مثل بعد الشيب والهزم عن الشريا، فما دامت الشريا لا تشيب ولا تهزم فأنا لا يلحقني عيب ولا نقصان.

(٢) أي أنت تقتل من شئت بسيفك، ولكنك صيرتني قتيلاً بإحسانك. أي بالغت في إحسانك إلي حتى جيزت عن شكرك فصرت كالقتيل.

(٣) الهام: الرؤوس.

(٤) أختني عليه: أهلكه، والمجعة: المال والغنى، ورقة الحال كناية عن الفقر.

٩ - وقال أيضاً:

بئس الليالي شهدتُ مِن طَرَبٍ شَوْقاً إِلَى مَنْ يَبِيتُ يَرْقُودَهَا^(١)

(٢)

- ١ - كَوْنُ ثَمَانِي جَمَلٍ إِنْشَائِيَّةٍ مِنْهَا أَرْبَعٌ لِلإِنْشَاءِ الطَّلَبِيِّ وَأَرْبَعٌ لِغَيْرِ الطَّلَبِيِّ.
- ٢ - إِيْتِ بِصِيغَتَيْنِ لِلْقَسَمِ، وَأُخْرَيْنِ لِلْمَدْحِ وَالذَّمِّ، وَمِثْلُهُمَا لِلتَّعْجِبِ.
- ٣ - اسْتَعْمَلَ الْكَلِمَاتِ الْآتِيَةَ فِي جَمَلٍ مَفِيدَةٍ، ثُمَّ بَيَّنَّ نَوْعَ كُلِّ إِنْشَاءٍ:
لَا النَّاهِيَةَ. هَمْزَةُ الاسْتِفْهَامِ. لَيْتَ. لَعَلَّ. عَسَى. حَيْذَا. لَا حَيْذَا. مَا التَّعْجِيبِيَّةُ.
وَإِلَى الْقَسَمِ. هَلْ.

(٣)

بَيَّنَّ الإِنْشَاءَ وَأَنْوَاعَهُ وَالْخَيْرَ وَأَضْرَبَهُ فِيمَا يَأْتِي:

- ١ - لَعَمْرُكَ مَا ضَاقَتْ بِلَادٌ بِأَهْلِهَا وَلَكِنْ أَخْلَاقُ الرِّجَالِ تَضِيقُ^(٢)
- ٢ - إِذَا لَمْ تَكُنْ نَفْسُ التَّيْسِيبِ كَأَصْلِهِ فَمَاذَا الَّذِي تَغْنِي كِرَامُ الْمَنَاصِبِ^(٣)؟
- ٣ - لَيْتَ الْجِبَالُ تَدَاعَتْ عِنْدَ مَصْرَعِهِ دُكًّا فَلَمْ يَبْقَ مِنْ أَرْكَانِهَا حَجَرٌ
- ٤ - لَشَنْ حَسُنْتَ فَيْكَ الْمَرَاثِي وَذَكَّرُهَا لَقَدْ حَسُنْتَ مِنْ قَبْلِ فَيْكَ الْمَدَائِحُ
- ٥ - بَلِّغْهُ أَوْنَةً تَمُرُ كَأَنَّهَا قُبِّلَ يَزُودُهَا حَبِيبٌ رَاحِلٌ^(٤)
- ٦ - أَجْلَافِي لَوْ غَيْرُ الْجَمَامِ أَصَابَكُمْ عَقَبْتُ وَلَكِنْ مَا عَلَى الدَّهْرِ مَعْتَبٌ^(٥)

(١) شهدت: سهوت، والطرب: حفة تعترى الإنسان من شدة حزن أو سرور.

(٢) يقول: إن أرض الله واسعة لم تضيق بأحد، وإنما تغني أخلاق الرجال وصدورهم.

(٣) يقول: إذا لم تكن نفس الرجل الشريف مشابة لأصله في الشرف والكرم، لم ينفعه انتسابه إلى أصل كريم ومحتد شريف.

(٤) يقول: إن ساعات اللهم مع لذتها قصيرة سريعة المرور، كأنها القبل التي يزودها الحبيب الراحل، فإن لذتها في غاية القصر ثم تمر ولا يبقى منها إلا الذكرى.

(٥) ينادي أصدقاءه الذين ماتوا ويقول: لو كان ما أصابكم غير الموت لعبت عليه ولكن لا عتاب على الزمان، لأنه إذا أخذ شيئاً لا يردّه.

- ٧ - إن المساءة للمسرة موعظة
فإذا سمعت بهالك فتبقتن
٨ - وكل شجاعة في المرء ثغني
٩ - ذرني فإن البخل لا يخلد الفتى
١٠ - وكل امرئ يوماً سيركب كارهاً
١١ - وما الجمع بين الماء والنار في يدي
١٢ - يا ابنتي إن أردت آية حسن
فائبذي عادة التبريج نبذاً
يصنع الصانعون ورداً ولكن
- أخنان رهنٌ للمشية أو غبد^(١)
أن السبيل سبيله وتزود^(٢)
ولا مثل الشجاعة في حكيم^(٣)
ولا يهلك الممروء من هو فاعله
على النعش أعناق البدا والأقارب
بأصعب من أن أجمع الجد والفهما^(٤)
وجملاً يزين جسماً وعقلاً
فجمال النفوس أسمى وأعلى
وردة الروض لا تضارع شكلاً

(٤)

حول الأخبار الآتية إلى جمل إنشائية واستوف أنواع الإنشاء الطلبي التي تعرفها:

الروض مزهر - الطير مفرد - يتنافس الصنّاع

يفيض النيل - نشيط العامل - أجاد الكاتب

(٥)

يبين نوع الإنشاء في البيتين التاليين، ثم انترهما نثراً فصيحاً:

- يأبئها المُتَحَلِّي غَيْرَ شَيْمَتِهِ وَمِنْ شَمَائِلِهِ التَّبْدِيلُ وَالْمَلَقُ^(٥)
إِزْجَعْ إِلَى خُلُقِكَ الْمَعْرُوفِ دَيْدُنَهُ إِنَّ الشُّخْلُقَ يَأْتِي دُونَهُ الْخُلُقُ^(٦)

(١) يقول: إن المسرة تدوم فغابتها المساءة.

(٢) يقول: إذا بلغك موت أحد فاعتبر به وتيقن أن سبيلك سييله وتزود للأخرة بالعمل الصالح.

(٣) يقول: إن الشجاعة كيفما كانت تدفع الهوان عن صاحبها، ولكن الشجاعة في الحكيم لا تقاس بها الشجاعة في غيره، لأنها حينئذ تكون مقرونة بالحزم فيكون صاحبها أبعد من الخيبة.

(٤) الجد: الحظ، يقول إن العاقل محروم في هذه الحياة غالباً، لأن حسن الحظ والذكاء لا يجتمعان لحى كما لا يجتمع الماء والنار.

(٥) الشيمة: الخلق، والشمائيل الأخلاق وهو جمع مفردة شمال، والملق: الود واللفظ الظاهران ومنه الرجل الملق وهو الذي يعطي بلسانه ما ليس في قلبه.

(٦) الديدن: الدأب والعادة، والتخلق: أن يتكلف الإنسان غير خلقه، يقول: لا تتكلف ما ليس من خلقك، لأنك إن فعلت غلبك طبيعتك، وانكشف للناس تصنعك.

الإِنشاءُ الطلبي

(١) الأمر

الأمثلة:

- ١ - من رسالة لعلي رضي الله عنه بعث بها إلى أبي عباس وكان عاملاً بمكة: أما بعد فأقيم للناس الحج وذكّرهم بأيام الله^(١)، واجلس لهم العَصْرَيْن^(٢)، فأقْبِ الْمُسْتَفْتِي، وَعَلِّمِ الْجَاهِلَ، وَذَكِّرِ الْعَالِمَ.
- ٢ - وقال تعالى: ﴿وَلْيُرَوْا نُذُورُهُمْ وَلِيُطَوَّرُوا بِالْأَيْدِي الْعَزِيزِي﴾.
- ٣ - وقال: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَمُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا أَعْتَدَيْتُمْ﴾.
- ٤ - وقال: ﴿وَيَا قُلُوبَئِي إِحْسَانًا﴾.



- ٥ - وقال أبو الطيب في مدح سيف الدولة: كَذَا قُلَيْسٍ مَنْ طَلَبَ الْأَعَادِي وَيُثَلُّ سُرَاكَ فَلْيَكُنِ الطَّلَابُ^(٣)
- ٦ - وقال يخاطبه: أزلْ خَسَدَ الْخُسَادِ عَنِّي بِكِبَتِهِمْ فَأَتَتْ الْيَدِي صَبْرَتَهُمْ لِي خُسَدًا^(٤)

(١) يريد أيام الله التي عاقب فيها الماضين على سوء أعمالهم.

(٢) يريد بالمعصرين الغداة والعشي من باب التخليب.

(٣) السري: السير ليلًا.

(٤) كبته: أذله، يقول أنت صبرتهم حاسدين لي بما أفضت علي من نعمتك، فاصرف شر حدهم عني بإذلالهم.

٧ - وقال امرؤ القيس :

قَفَا نَبِكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٌ وَمَنْزِلٌ بِسَقَطِ اللَّوْى بَيْنَ الدُّخُولِ فَخَوْمِل^(١)

٨ - وقال أيضاً :

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا انْجَلِ بِصُبْحٍ وَمَا الْإِصْبَاحُ بِثُكٍّ بِأَمْثَل^(٢)

٩ - وقال البحترى :

فَمَنْ شَاءَ فَلْيَبْخُلْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَجِدْ كَفَانِي تَذَاكُمُ عَنْ جَمِيعِ الْمَطَالِبِ

١٠ - وقال أبو الطيب :

عِشْ غَزِيرَةً أَوْ مِثْ وَأَلْتِ تَحْرِيمَ بَيْنَ طَعْنِ الْقَتَا وَخَفَقِ الْبُنُودِ^(٣)

١١ - وقال آخر :

أُرْوِنِي بِخَبَلٍ طَالَ عُصْرًا بِخُلِيٍّ وَفَاتُوا تَحْرِيمًا مَاتَ مِنْ كَثَرَةِ الْبَذَلِ

١٢ - وقال غيره :

إِذَا لَمْ تَخُشْ عَاقِبَةَ اللَّيَالِي وَلَمْ تَسْتَحْيِ فَاضْتَعِ مَا تَشَاءُ

١٣ - وقال تعالى :

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمُ الْوَيْطُ الْأَيْمَنُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ .

البحث :

إذا تأملت أمثلة الطائفة الأولى رأيت كلاً منها يشتمل على صيغة يُطلب بها على وجه التكليف والإلزام حصول شيء لم يكن حاصلًا وقت الطلب، ثم إذا أنعمت

(١) قفا: أمر للثنين بالوقوف، الذكرى: التذكر، وسقط اللوى والدخول وحومل: مواضع، يقول لرفيقه: قفا وأعيناني بالبكاء لتذكر حبيب فارقه ومنزل خرجت منه، وهذا المنزل بين هذه المواضع.

(٢) الانجلاء: الانكشاف، والأمثل: الأفضل، يقول: لينك أيها الليل تنكشف وتنجلي ظلامك عن عيني لأرى بياض الصبح، ثم عاد فقال: وما الإصباح بأفضل منك عندي، فإني أقاسي من همومي نهاراً ما أقاسيه ليلاً.

(٣) خفق البنود: اضطرابها، والبنود: جمع بند وهو العلم الكبير.

النظر رأيت طالب الفعل فيها أعظم وأعلى ممن طُلب الفعل منه. وهذا هو الأمر الحقيقي وإذا تأملت صيغته رأيتها لا تخرج عن أربع: هي فعل الأمر كما في المثال الأول، والمضارع المقرون بلام الأمر كما في المثال الثاني، واسم فعل الأمر كما في المثال الثالث، والمصدر النائب عن فعل الأمر كما في المثال الرابع.

انظر إذاً إلى الطائفة الثانية نجد أن الأمر في جميعها لم يستعمل في معناه الحقيقي وهو طلب الفعل من الأعلى للأدنى على وجه الإيجاب والإلزام، وإنما يدل على معانٍ أخرى يُدركها السامع من السياق وقرائن الأحوال.

فأبو الطيب في المثال الخامس لا يريد تكليفاً ولا يقصد إلى إلزام، وإنما ينصح لمن ينافسون سيف الدولة ويرشداهم إلى الطريق المثلى في طلب المجد وكسب الرفعة، فالأمر هنا للنصح والإرشاد لا للإيجاب والإلزام.

وصيغة الأمر في المثال السادس لا يُراد بها معناها الأصلي، لأن المتنبي يخاطب ملكه، والملوك لا يأمره أحد من شعبه، وإنما يراد بها الدعاء، وكذلك كل صيغة للأمر يخاطب بها الأدنى من هو أعلى منه منزلة وشأنًا.

وإذا تدبرت المثال السابع وجدت امرأ القيس يتخيّل صاحبين يستوقفهما ويستبكيهما جرياً على عادة الشعراء، إذ يتخيّل أحدهم أن له رفيقين يصطحبانه في غدوّه ورواحه، فيوجه إليهما الخطاب، ويُفضي إليهما بسرّه ومكنون صدره، وصيغة الأمر إذا صدرت من رفيق لرفيقه أو من نذٍ لينذره لم يُرد بها الإيجاب والإلزام، وإنما يراد بها محض الالتماس.

وامرؤ القيس أيضاً في المثال الثامن لم يأمر الليل ولم يكلفه شيئاً؛ لأن الليل لا يسمع ولا يطيع، وإنما أرسل صيغة الأمر وأراد بها التمني.

وإذا تدبرت الأمثلة الباقية وتعرّفت سياقها وأحطت بما يكنفها من قرائن الأحوال، أدركت أن صيغ الأمر فيها لم تأت للدلالة على المعنى الأصلي، وإنما جاءت لتفيد التخيير، والتسوية، والتعجيز، والتهديد، والإباحة على الترتيب.

القواعد

(٣٧) الْأَمْرُ طَلَبُ الْفِعْلِ عَلَى وَجْهِ الْإِسْتِفْلَاءِ.

(٣٨) لِلْأَمْرِ أَرْبَعُ صِيَغٍ: فِعْلُ الْأَمْرِ، وَالْمُضَارِعُ الْمَقْرُونُ بِلامِ الْأَمْرِ وَأَسْمُ فِعْلِ الْأَمْرِ، وَالْمَصْدَرُ الثَّانِي عَنْ فِعْلِ الْأَمْرِ.

(٣٩) قَدْ تَخْرُجُ صِيَغُ الْأَمْرِ عَنْ مَعْنَاهَا الْأَصْلِيَّةِ إِلَى مَعَانٍ أُخْرَى تُسْتَفَادُ مِنْ سِيَاقِ الْكَلَامِ، كَالْإِرْشَادِ، وَالِدُعَاءِ، وَالْإِثْمَاسِ، وَالتَّعْنِي، وَالتَّخْيِيرِ، وَالتَّشْوِيَةِ، وَالتَّعْجِيزِ، وَالتَّهْدِيدِ، وَالْإِبَاحَةِ.

نُموذج

ليان صيغ الأمر وتعين المراد من كل صيغة فيما يأتي:

١ - قال تعالى خطاباً ليحيى عليه السلام: ﴿خُذِ الصَّكَّتَ يَهْيَؤُكَ﴾.

٢ - وقال الأرجاني:

شاور يسواك إذا نابشك نائبةً يؤماً وإن كُنت من أهل المشورات

٣ - وقال أبو العتاهية:

واخفيض جناحك إن مُنِحت إِمارةً وازعَبَ بِنَفْسِكَ عن رَذَى اللذات^(١)

٤ - وقال أبو العلاء:

فيا موت رز إن الحياةَ دَبيمةٌ ويا نفسُ جدِّي إن دَهْرَكَ هازل^(٢)

٥ - وقال آخر:

أرِني جِواداً مات هُرْلاً لَعَلَّني أرَني ما ثَرِين أو بجيلاً مُخلداً^(٣)

٦ - قال خالد بن صفوان^(٤) ينصح ابنه:

دع من أعمال السر ما لا يضلح لك في العلانية.

(١) المراد بخفض الجناح التواضع، والردى: الهلاك.

(٢) يفضل الموت على الحياة ويأمر نفسه أن تأخذ في طريق الجد لأن الدهر غير جاد.

(٣) الهزل بالضم وبالفتح: الضيق والفقر.

(٤) كان من فصحاء العرب المشهورين، وكان يجالس عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك، وله معهما أخبار، ولد ونشأ بالبصرة، وكان أيسر أهلها مالاً، توفي سنة ١١٥ هـ.

٧ - وقال بشار بن بُرْد:

نَعِشْ واحداً أَوْ صِلْ أَخَاكَ فَإِنَّهُ مُقَارِفُ ذَنْبِ مَرَّةٍ وَمُجَانِبَةُ^(١)

٨ - وقال نعلی: ﴿قُلْ تَسْتَوُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾.

٩ - وقال أبو الطيب يخاطب سيف الدولة:

أَخَا الْجُودِ أَعْطِ النَّاسَ مَا أَلَيْتَ مَا لَيْكَ وَلَا تُعْطِيتُ النَّاسَ مَا أَنَا قَائِلُ^(٢)

١٠ - وقال قُطْرِي بن المُجَازة^(٣) يخاطب نفسه:

فَصَبِراً فِي مَجَالِ الْمَوْتِ صَبِراً فَمَا نَبِيلُ الْخُلُودِ بِمُسْتَطَاعِ

الإجابة

الرقم	صفة الأمر	المعنى المراد	الرقم	صفة الأمر	المعنى المراد
١	خذ الكتاب	المعنى الحقيقي للأمر	٥	أرني	التمجيز
٢	شاور سواك	الإرشاد	٦	دع من أعمال السر	الإرشاد
٣	واخفض جناحك	الإرشاد	٧	فعش واحداً أو صل أخاك	التخير
	وارغب بنفسك	الإرشاد	٨	قل	المعنى الحقيقي للأمر
	زر	التمني	٩	تمتعوا أعط الناس	التهديد
٤	جدي	التمني	١٠	صبراً	المعنى الحقيقي للأمر

(١) مقاريف الذنب: مرتكبه، يقول: إذا أردت ألا يزل معك صديق فعش منفرداً وذلك مستحيل،

أما إذا أردت أن تعيش مع الناس فسامح إخوانك وصلهم على ما بهم من عيوب.

(٢) يقول: أعط الناس أموالك ولا تعطهم شعري، أي لا تحوجني إلى مدح غيرك.

(٣) هو أحد رؤوس الخوارج، فارس مذكور، وشاعر إسلامي مشهور، سلموا عليه بالخلافة ثلاث عشرة سنة.

تعميمات

(١)

لَمْ كَانَتْ صَبِيحُ الْأَمْرِ فِي الْأَمْثَلَةِ الْآتِيَةِ تَفِيدُ الْإِرْشَادَ، وَالْالْتِمَاسَ، وَالتَّعْجِيزَ، وَالتَّمْنِيَّ، وَالدَّعَاءَ عَلَى التَّرْتِيبِ؟

- ١ - وَكُنْ عَلَى خَذَرٍ لِلنَّاسِ تَسْتُرُهُ وَلَا يَغْرُكَ مِنْهُمْ تَغَرُّ مُبْتَنَسِمٍ
- ٢ - يَا خَلِيلِي خَلْبَانِي وَمَا بِي أَوْ أَعِيدَا إِلَيَّ عَهْدَ الشُّبَابِ
- ٣ - يَا دَارَ عِبَلَةٍ بِالْجَوَاءِ تَكْلُمِي وَعِمِي صَبَاحاً دَارَ عِبَلَةٍ وَاشْلُمِي^(١)

(٢)

لَمْ كَانَتْ صَبِيحُ الْأَمْرِ فِي الْأَمْثَلَةِ الْآتِيَةِ تَفِيدُ الدَّعَاءَ، وَالتَّعْجِيزَ، وَالتَّسْوِيَةَ، عَلَى التَّرْتِيبِ؟

- ١ - اسْلَمْ يَزِيدُ فَمَا فِي الدِّينِ مِنْ أَوْدٍ إِذَا سَلِمْتُ وَمَا فِي الْمُلْكِ مِنْ خَلَلٍ^(٢)
- ٢ - أَرْنِي الَّذِي عَاشَرْتَهُ فَوَجَدْتُهُ مُتَضَاضِياً لَكَ عَنْ أَقْلٍ عَشَارٍ
- ٣ - إضْبِرُوا أَوْ لَا تَضْبِرُوا.

(٣)

يُبَيِّنُ صَبِيحُ الْأَمْرِ وَمَا يَرَادُ بِهَا فِيمَا يَأْتِي:

- ١ - نَصَحَ أَحَدُ الْخُلَفَاءِ عَامِلاً لَهُ فَقَالَ:
تَمَسَّكَ بِحَبْلِ الْقُرْآنِ وَاسْتَنْصَحْهُ، وَأَجِلْ حِلَالَهُ وَخَزَمْ حَرَامَهُ.
- ٢ - وَقَالَ حَكِيمٌ لَابَنِهِ:
يَا بُنَيَّ اسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ، وَكُنْ مِنْ خِيَارِهِمْ عَلَى خَذَرٍ.
- ٣ - يَا بُنَيَّ زَاجِمِ الْعُلَمَاءَ بِرُكْبَتَيْكَ، وَأَنْصِتْ إِلَيْهِمْ بِأُذُنَيْكَ، فَإِنَّ الْقَلْبَ بِخِيَا بَنُورِ الْعِلْمِ كَمَا تَخْيَا الْأَرْضُ الْمَيِّتَةَ بِمَطَرِ السَّمَاءِ.

(١) البيت لعمتر بن شداد، وعيلة: اسم امرأة، والجواء: واد في ديار بني عيس، وعمي صباحاً: أنعمي، يقول للدار: أخبريني عن أهلك أنعم الله عليك وسلمك من البلى.

(٢) الأود: العرج، والخلل: الفساد في الأمر.

٤ - وقال أبو الطيب يخاطب سيف الدولة:

أجزني إذا أنشدت شعراً فإنما بشعري أتاك المادحون مُردداً^(١)
ودع كل صوتٍ غَير صوتي فإنني أنا الطائرُ المحكي والآخر الصدى^(٢)

٥ - وقال البحري:

فاسلم سلامةً عزبك الموقور من صرّف الخواث والزمان الأنكا

٦ - وقال أبو نواس:

فامض لا تملن عليّ بدءاً منك المَعْرُوف من كذره^(٣)

٧ - وقال الضمة بن عبد الله:

قفا ودعا نجد ومن خلّ بالجنى وقلّ لنجد عذنا أن يودعا^(٤)
٨ - وقال تعالى: ﴿يَنْتَقِرَ إِلَيْهِ وَالْإِنْسِ إِنْ انتقمْتُمْ أَنْ تَقْتُلُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّكَنَاتِ وَالْأَرْضِ
فَاتَّقُوا لَا تَفْذَرُوا إِلَّا بِأَلْحَنِ ﴿٣٧﴾﴾.

٩ - وقال أبو الطيب:

أقبلُ اشتياًقاً أيها القلبُ زُيماً رأيك تُصنفي الودَّ من ليس جازياً^(٥)

١٠ - وقال مهيار الديلمي:

وعش إمّا قريبس أخ وفِي أمين الغيب أو غيبس الواحد

(١) أجزني: كافيتني، يقول: إذا أنشدك الشاعر شعراً فاجعل جائزته لي لأن الذي أنشدته هو شعري أتاك به المادحون يرددونه عليك، والمعنى أنهم يسلخون معاني أشعاري ويقتبسون الفاظي ويمدحونك.

(٢) المعنى: لا يقال غير شعري فإن شعري هو الأصل وغيره حكاية له كالصدي الذي يحكي صوت الصائح.

(٣) لا تمنن: لا تمنن، والبد: النعمة، يقول: لا تمنن علي بما أسديت إلي من النعم فإن المنّة تهدم الصنعة.

(٤) الحمى: موضع فيه ماء وكلاً يمنع الناس منه، والنجد: كل ما ارتفع من نهامة إلى أرض العراق، يقول: يا خليلي قفا حتى تودعا نجداً ومن سكن حماء والتوديع قليل عندي على نجد فإنه جدير بأكثر من ذلك.

(٥) أقلّ فعل أمر من الإقلال، وتصني: تخلص، يقول لقلبه: لا تشنق إلى من فارقتك فإنك تخلص النود لمن لا يجزيك عليه بود مثله.

١١ - وقال المعري:

أَبْنَاتُ الْهَدِيلِ أَشْعِدْنَ أَوْ عَذَّ نَ قَلِيلَ الْغَزَاءِ بِالْإِسْمَاعِ^(١)
إِيَّاهُ لَلَّهْ دُرُكُنْ فَأَنْتُ نَ الْلَوَاتِي تُحْسِنُ جَفْظَ الْوَدَادِ^(٢)

(٤)

١ - هات أمثلة لصيغ الأمر الأربع، بحيث يكون المعنى الحقيقي للأمر هو المراد في كل صيغة.

٢ - هات مثالين لصيغة الأمر المفيد للتخير.

٣ - هات مثالين لصيغة الأمر المفيد للتهديد.

٤ - هات مثالين لصيغة الأمر المفيد للتعجيز.

(٥)

إلْعَبْ وَأَقْجُرْ قراءة الدُّرُس.

قد يكون الأمر في الجملتين السابقتين للتوبيخ، أو للإرشاد، أو للتهديد. فبين حال المخاطب في كل حال من الأحوال الثلاث.

(٦)

إشْبَحْ فِي الْبَحْرِ.

قد يكون الأمر في الجملة السابقة للدعاء، أو للالتماس، أو للتعجيز، أو للإرشاد، فبين حال المخاطب في كل من الأحوال الأربع.

(٧)

حوّل الجمل الخبرية الآتية إلى جمل إنشائية أمرية واستوف جميع صيغ الأمر:

أَنْتَ تَبْكُرُ فِي عَمَلِكَ. يخرج عليّ إلى الرِّياض. تَصْبِرُ نَفْسِي عَلَى الشَّدَائِدِ.
يَأْخُذُ الْبَطْلُ سَيْفَهُ. يَثْبِتُ هِشَامُ فِي مَكْنِهِ. يَتْرُكُ مُحَمَّدُ الْمُرَاخَ.

(١) الهديل: الذكر من الحمام أو صوته أو هو اسم الفرخ من عهد نوح كما تزعم العرب.

(٢) إيه اسم فعل أمر، ومعناه طلب الزيادة من حديث أو عمل.

(٨)

أشرح ما يأتي وبين ما راعك من بلاغته وحسن تأديته المعنى:
 كان أبو مسلم^(١) يقول لفرزاده أشعروا قلوبكم الجراءة فإنها من أسباب الظفر،
 وأكثروا ذكر الضعائين فإنها تبعث على الإقدام، والزمو الطائفة فإنها حصن المحارب.

(٢) النهي

الأمثلة:

- ١ - قال تعالى في النهي عن أخذ مال اليتيم بغير حق:
 ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.
- ٢ - وقال في النهي عن قطع الإنسان رحمه:
 ﴿وَلَا يَأْتِ الْفَضْلُ يَنْكَرُ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتَى أُولَى الْقُرْبَى﴾.
- ٣ - وقال في النهي عن اتخاذ بطانة السوء:
 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْمُرُكُمْ بِإِلَهِ إِلَّا﴾^(٢).

* * *

- ٤ - وقال مسلم بن الوليد في الرشيد:
 لَا يَغْدَمُكَ جَمْعُ الْإِسْلَامِ مِنْ مَلِكٍ أَقْسَمْتُ قُلْتُهُ مِنْ بَعْدِ تَأْوِيدِ^(٣)
- ٥ - وقال أبو الطيب في سيف الدولة:

(١) هو عبد الرحمن بن مسلم القائم بالدعوة العباسية، وأحد كبار القادة، كان فصيحاً في العربية والفارسية، عالماً بالأمور مقدماً داهية حازماً يروي الشعر ويقول، وبلغ في عمره القصير منزلة عظماء العالم، وقد قتله المنصور لما رأى منه طمعاً في الملك سنة ١٣٧هـ.

(٢) يأتى: يحلف، والسعة: الغنى.

(٣) لا يالونكم خيلاً: أي لا يقصرون في إفساد شؤونكم.

(٤) قلة كل شيء: أعلاه، والتأويد: التمويج.

فَلَا تُبْلَغَاهُ مَا أَقْسَوْا فِإِنَّهُ شُجَاعٌ مَتَى يُذَكَّرُ لَهُ الطُّغْنُ يَشْتَقِي
٦ - وقال أبو نواس في مدح الأمين:

يَا نَائِقُ لَا تَسْأَلِي أَوْ تَبْلُغِي مَلِكاً تَقْبِيلُ رَاحَتِهِ وَالرُّكْنَ سِيَاناً^(١)
مَتَى تَحْطِي إِلَيْهِ الرُّحْلُ سَالِمَةً تَسْتَجِيعِي الْخَلْقَ فِي تَمْثَالِ إِنْسَانٍ
٧ - وقال أبو العلاء:

وَلَا تَجْلِسِي إِلَى أَقْلِ الدُّنْيَا فَإِنَّ خِلَانِي السُّفْهَاءُ تُغْدِي
٨ - وقال أبو الأسود الدؤلي^(٢):

لَا تَنُتِ عَنْ خُلِّيٍّ وَتَأْتِي مِثْلَهُ غَارَ عَلَبِكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ
٩ - وقال آخر:

لَا تَغْرَضْنِي لِجَعْفَرٍ مُشَبَّهًا بِنَدَى يَذِيهِ قَلَسَتْ مِنْ أَثْدَادِهِ
١٠ - لا تَمْتَلِ أَمْرِي (تقول ذلك لمن هو دونك).
١١ - قال أبو الطيب يهجو كافوراً:

لَا تَشْتَرِ الْعَبْدَ إِلَّا وَالْعَصَا مَعَهُ إِنَّ الْعَبْدَ لَأَنْجَاسٌ مَنَاكِيدُ^(٣)
البحث:

إذا تأملت أمثلة الطائفة الأولى رأيت كلاً منها يشتمل على صيغة يُطلب بها الكف عن الفعل: وإذا أنعمت النظر رأيت طالب الكف فيها أعظم وأعلى ممن طلب منه. فإن الطالب في أمثلة هذه الطائفة هو الله سبحانه وتعالى والمطلوب منهم هُم عباده؛ وهذا هو النهي الحقيقي، وإذا تأملت صيغته في كل مثال يرد عليك وجدها واحدة لا تنفِر، وهي المضارع المقرون بلا الناهية.

(١) الراحة: الكف، والركن: يريد به ركن الحطم بالكعبة.

(٢) هو ظالم بن عمرو بن ظالم من قبيلة الدئل، كان شاعراً مجيداً وفقياً محدثاً وفارساً شجاعاً صاحب علياً وشهد معه صفين، وهو أول من وضع النحو بإشارة علي رضي الله عنه، وتوفي سنة ٦٥هـ.

(٣) المناكيد: جمع منكود وهو قليل الخير: أي أن العبد لا يصلح إلا بالضرب والإهانة.

انظر إذاً إلى الطائفة الثانية تجد أن النهي في جميعها لم يستعمل في معناه الحقيقي. وهو طلب الكف من أعلى لأدنى، وإنما يدل على معانٍ أخرى يدركها السامع من السياق وقرائن الأحوال.

فمسلم بن الوليد في المثال الرابع لا يقصد من النهي إلا الدعاء للخليفة الرشيد بالبقاء لتأييد الإسلام وإعلاء كلمته.

وأبو الطيب في المثال الخامس إنما يلتبس من صاحبيه أن يكثما عن سيف الدولة ما سمعاه في وصف شجاعته وفتكه بالأعداء وحسن بلائه في الحروب؛ لأنه شجاع والشجعان يشناقون إلى الحروب متى ذكرت لهم، وهذا على ما جرت به عادة العرب في شعرهم إذ يتخيل الشاعر أن له رفيقين يصطحبانه ويستمعان لإنشاده، فيخاطبهما مخاطبة الأنداد، وصيغة النهي متى وُجِّهَتْ من نِدٍّ إلى نِدٍّ أفادت الالتماس.

وأبو نؤاس في المثال السادس إنما يتمنى أن تتحمل ناقته مشاق السفر وألا ينزل بها السأم حتى تبلغ ديار الأمين، فترى هناك كيف جمع الله العالم في صورة إنسان.

وأبو العلاء في بيته إنما ينصح مخاطبه ويرشده إلى الابتعاد عن السفهاء وأهل الدنيا.

وأبو الأسود إنما يقصد توبيخ من ينهى الناس عن سوء ولا ينتهي عنه، ويقصد الآخرون في الأمثلة الثلاثة الباقية إلى التيسير، والتهديد، والتحقير على الترتيب.

القواعد

(٤٠) النَّهْيُ طَلَبُ الْكَفِّ عَنِ الْفِعْلِ عَلَى وَجْهِ الْإِسْتِغْلَاءِ.

(٤١) لِلنَّهْيِ صِيغَةٌ وَاحِدَةٌ هِيَ الْمُضَارِعُ مَعَ لَا النَّاهِيَّةِ.

(٤٢) قَدْ نَخْرُجُ صِيغَةَ النَّهْيِ عَنْ مَعْنَاهَا الْحَقِيقِي إِلَى مَعَانٍ أُخْرَى تُسْتَفَادُ مِنَ السِّيَاقِ وَقَرَائِنِ الْأَحْوَالِ، كَالدُّعَاءِ، وَالْإِشْرَادِ، وَالتَّوْبِيخِ، وَالتَّيْسِيرِ، وَالتَّهْدِيدِ، وَالتَّحْقِيرِ.

نَمُودَجْ

يُبَيِّنُ صِغَةَ النَّهْيِ وَالْمَرَادُ مِنْهَا فِي كُلِّ مَثَالٍ مِنَ الْأَمْثَلَةِ الْآتِيَةِ:

- ١ - قال تعالى: ﴿وَلَا تُقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾.
- ٢ - وقال أبو العلاء:
- لَا تُخْلِفُنَّ عَلَى صِدْقِي وَلَا كَذِبَ فَمَا يُبْذَلُكَ إِلَّا الْمَائِمُ الْحَلِيفُ
- ٣ - وقال تعالى: ﴿لَا يَخْرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ﴾.
- ٤ - وقال: ﴿لَا تَتَذَرُوا قَدْ كَلَرْتُمْ بَعْدَ إِسْنِكُمْ﴾.
- ٥ - وقال البحري يخاطب المعتبذ على الله^(١):
- لَا تُخْلُ مِنْ عَيْشٍ يَكُرُّ سُرُورُهُ أَبَدًا وَتُزَوِّزُ عَلَيْكَ مُعَادُ^(٢)
- ٦ - وقال الغزالي:
- وَلَا تُثْقِلَا جِيدِي بِمِنْةٍ جَاهِلٍ أَرْوَحُ بِهَا مِثْلَ الْحَمَامِ مُطَوِّفَا
- ٧ - وقال آخر:
- لَا تَطْلُبِ الْمَجْدَ إِنْ الْمَجْدَ سُلِمَهُ صَغْبٌ وَعِشْ مُسْتَرِيحًا نَاعِمُ الْبَالِ
- ٨ - وقالت الخنساء ترثي أخاها صخرًا^(٣):
- أَعْيَيْتِي جُودًا وَلَا تَجْمُدَا أَلَا تُبْكِيَانِ لِصَخْرٍ النَّدَى^(٤)
- ٩ - قال خالد بن صفوان:
- لَا تَطْلُبُوا الْحَاجَاتِ فِي غَيْرِ جِينِهَا، وَلَا تَطْلُبُوهَا مِنْ غَيْرِ أَهْلِهَا.

(١) هو الخليفة العباسي الخامس عشر، بويح بالخلافة سنة ٢٥٦هـ واشتهر بالحلم الواسع، وتوفي سنة ٢٧٩هـ.

(٢) النوروز: أول يوم في السنة الشمسية وهو من أعياد الفرس.

(٣) هو الشهم الكريم أخو الخنساء لأبيها، وقد قتل قبل الإسلام بقليل فرثه أخته بقصائد غراء نالت من أجلها الصيت الذائع بين شعراء الجاهلية والمخضرمين.

(٤) لا تجمدا: أي لا تبخلا بالدموع.

الإجابة

الرقم	صفة النهي	المعنى المراد	الرقم	صفة النهي	المعنى المراد
١	ولا تُفسدوا	المعنى الحقيقي للنهي	٦	لا تنفلا	الاتماس
٢	لا تحلفن	الإرشاد	٧	لا تطلب	التحقير
٣	لا يسخر	التوبيخ	٨	لا تجمدا	التمني
٤	لا تعتذروا	التئيس	٩	لا تطلبوا	الإرشاد
٥	لا تخل	الدعاء		ولا تطلبوا	الإرشاد

تمرينات

(١)

- لِمَ كَانَ النَّهْيُ فِيمَا يَأْتِي لِلإِرشَادِ، وَالتَّمْنِي، وَالتَّهْدِيدِ، وَالتَّحْقِيرِ، عَلَى التَّرْتِيبِ؟
- ١ - لَا يَسْخَدُ عَنْكَ مِنْ عَدُوٍّ دَفْعُهُ وَازْحَمَ شَبَابَكَ مِنْ عَدُوٍّ تُزْخِمُ
 - ٢ - لَا تُفْطِرُ أَيُّهَا السَّمَاءُ.
 - ٣ - لَا تُقْلِعْ عَنْ عِبَادِكَ (تَقُولُهُ لَمَنْ هُوَ دُونَكَ).
 - ٤ - لَا تُجْهَدْ نَفْسَكَ فِيمَا تَعِبَ فِيهِ الْكَرَامُ.

(٢)

يَبَيِّنُ صِبْغَ النَّهْيِ وَالْمُرَادَ مِنْ كُلِّ صِغَةٍ فِيمَا يَأْتِي:

- ١ - قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ فِي مَدْحِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ:
- لَا تُطْلَبُنْ كَرِيماً بَعْدَ زُفْتِهِ إِنَّ الْكِرَامَ بِأَسْخَاهُمْ يَدَا خُيْمُوا
- لَا تُحْسِبِ الْمَجْدَ ثَمَرًا أَتَتْ أَجَلُهُ لَنْ تُبْلَغَ الْمَجْدُ حَتَّى تُلْعَقَ الضُّبْرَا
- ٣ - وَقَالَ الطُّغْرَايِي^(١):
- لَا تَطْمَحَنَّ إِلَى الْمُرَاتِبِ قَبْلَ أَنْ تَتَكَامَلَ الْأَدَوَاتُ وَالْأَسْبَابُ

(١) هو مؤيد الدين الأصبهاني المعروف بالطغرائي، فاق أهل زمانه في صنعة النظم والنثر، وقد رمي بالإلحاد فقتل سنة ٥١٤هـ.

٤ - وقال الشريف الرضي:

لَا تَأْمَنَنَّ عَدُوًّا لَأَنَّ جَانِبَهُ خُسُوءُهُ الصَّلَ عَقَبَى ذَلِكَ الْيَمِينِ^(١)

٥ - وقال أبو الطيب:

فَلَا تَنَلْكَ اللَّيَالِي إِنْ أَيْدِيهَا إِذَا ضَرَبْنَ كَسْرُونَ التَّبَعُ بِالْغُرْبِ^(٢)

٦ - لَا تُلْهِئَنَّكَ عَنْ مَعَادِكَ لَذَّةُ تَفَنَّى وَتَوَرَّتْ دَائِمَ الْحَسَرَاتِ

٧ - لَا تَحْسَبُوا مَنْ قَتَلْتُمْ كَانَ ذَا رَمَى فَلَيْسَ تَأْكُلُ إِلَّا الْمَيْتَةَ الضُّبْعُ

٨ - قال أبو العلاء:

لَا تَطْوِيَا السَّرَّ عَنِّي يَوْمَ نَائِبِهِ فَإِنَّ ذَلِكَ ذَنْبٌ غَيْرُ مُغْتَفَرٍ

وَالْجُلُ كَأَلْمَاءٍ يُبْدِي لِي ضَمَائِرَهُ مَعَ الصَّفَاءِ وَيُخْفِيهَا مَعَ الْكَدْرِ

٩ - وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾.

١٠ - وقال أبو الطيب:

وَلَا تَشْكُ إِلَى خَلْقٍ قَتُسُوبَتُهُ شَكْوَى الْجَرِيحِ إِلَى الْغُزْيَانِ وَالرُّخَمِ^(٣)

١١ - لَا تَطْلُبِ الْمَجْدَ وَاقْتَنِعْ فَمَطْلَبُ الْمَجْدِ صَغْبٌ

(٣)

١ - هات مثالين تفيدُ صيغةُ النهي في كل منهما المعنى الأصلي للنهي.

٢ - هات ثلاثة أمثلة تكون صيغة النهي في المثال الأول منها مفيدة الدعاء، وفي الثاني الاتماس، وفي الثالث التمني.

(١) الصل بالكسر: الحية التي لا تنفع منها الرقية.

(٢) تنلك: تصبك. والنبح: شجر صلب. والغرب: نبت ضعيف، يقول: لا أصابتك الليالي بسوء فإنها تغلب القوي بالضعيف.

(٣) تشك مضارع من التشكي، وشكوى مفعول مطلق، الرخم: طائر، يقول: لا تشك إلى أحد ما ينزل بك من ضر لئلا تشتمه بشكواك، فيكون حالك كحال الجريح يشكو جراحه إلى الطيور التي ترقب موته لتأكله.

٣ - هات ثلاثة أمثلة تكون صيغة النهي في أولها للإرشاد، وفي الثاني للتوبيخ، وفي الثالث للتهديد.

(٤)

لا تُفارق فراش نومك.

قد يكون النهي في الجملة السابقة للإرشاد، أو التهديد، أو التوبيخ، فبين حال المخاطب في كل حال من الأحوال الثلاث.

(٥)

حوّل الجمل الخبرية الآتية إلى جمل إنشائية من باب النهي، وعيّن المراد من صيغة النهي في كل جملة تأتي بها:

- ١ - أنت تعتمد على غيرك. ٥ - أنتم تعتذرون اليوم.
- ٢ - أنت تطيع أمري. ٦ - أنت تؤاخذني بكل هفوة.
- ٣ - أنت تكثر من عتاب الصديق. ٧ - يحضر عليّ مجلسنا.
- ٤ - أنت تنهى عن الشر وتفعله. ٨ - يهمل القرويون تعليم أبنائهم.

(٦)

اشرح البيتين الآتين وبين المراد من صيغتي النهي فيهما:

فَلَا تُلْزِمَنَّ النَّاسَ غَيْرَ طَبَاعِهِمْ فَتَتَّعِبْ مِنْ طَوْلِ الْعِثَابِ وَيَتَعَبُوا
وَلَا تَغْتَرِّزْ مِنْهُمْ بِخُصْنٍ بِشَائِعَةٍ فَأَكْثُرْ إِيْمَاضَ الْبَوَارِقِ خُلْبٍ^(١)

(١) إيماض البرق: لمعانه، والبوارق جمع بارقة: وهي البرق، والخلب: الذي ليس بعده مطر.

(٣) الاستفهام وأدواته

١ - الهمزة وهل

الأمثلة :

- | | |
|---|-----|
| ١ - أَأَنْتَ الْمُسَافِرُ أَمْ أَخُوكَ؟ | } ١ |
| ٢ - أَمْشَرْتُ أَنْتَ أَمْ بَايَعْتُ؟ | |
| ٣ - أَشَعِيرًا زَرَعْتَ أَمْ قَمْحًا؟ | |
| ٤ - أَرَأَيْبًا جِئْتَ أَمْ مَاثِيًا؟ | |
| ٥ - أَيَوْمَ الْجُمُعَةِ يَنْشَرِيخُ الْعُمَالُ أَمْ يَوْمَ الْآخِرِ؟ | |
- ب
- ٦ - أَيَضْدًا الذَّقْبُ؟
- ٧ - أَيَبِيرُ الْعُمَامُ؟
- ٨ - أَتَتَحَرَّكُ الْأَرْضُ؟

- | | |
|----------------------------------|-----|
| ٩ - هَلْ يَتَقَلُّ الْحَيَوَانُ؟ | } ج |
| ١٠ - هَلْ يُجَسِّنُ النَّبَاتُ؟ | |
| ١١ - هَلْ يَنْمُو الْجَمَادُ؟ | |

البحث :

الجميل السابقة جميعها تفيد الاستفهام، وهو كما تعلم طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل، وأداته في أمثلة الطائفتين أ، ب «الهمزة» وفي أمثلة الطائفة ج «هل» ونريد هنا أن نعرف الفرق بين الأداتين في المعنى والاستعمال.

تدبر أمثال الطائفة «أ» حيث أداة الاستفهام هي الهمزة، تجد أن المتكلم في كل منها يعرف النسبة التي تضمها الكلام، ولكنه يتردد بين شيئين ويطلب تعيين أحدهما؛ لأنه في المثال الأول مثلاً يعرف أن السفر واقع فعلاً وأنه منسوب إلى واحد من اثنين، المخاطب أو أخيه؛ فهو لذلك لا يطلب معرفة النسبة، وإنما يطلب معرفة مفرد، وينتظر من المسؤول أن يعين له ذلك المفرد ويدله عليه، ولذلك يكون جوابه بالتعيين فيقال له: «أخي» مثلاً. وفي المثال الثاني يعلم السائل أن واحداً من شيئين: الشراء أو البيع قد نسب إلى المخاطب فعلاً، ولكنه متردد بينهما فلا يدري أهو الشراء

أم البيع، فهو إذاً لا يطلب معرفة النسبة لأنها معروفة له، ولكنه يسأل عن مفرد ويطلب تعيينه، ولذا يجاب بالتعيين فيقال له في الجواب: «بائع» مثلاً، وهكذا يقال في بقية أمثلة الطائفة «أ».

وإذا تدبرت المفرد المسؤول عنه في أمثلة هذه الطائفة، وكذلك في كل مثال آخر يعرض لك، وجدته دائماً يأتي بعد الهمزة مباشرة سواء أكان مسنداً إليه كما في المثال الأول، أم مسنداً كما في الثاني، أم مفعولاً به كما في الثالث، أم حالاً كما في الرابع، أم ظرفاً كما في الخامس، أم غير ذلك، ووجدت له معادلاً يذكر بعد «أم» كما ترى في الأمثلة. وقد يحذف هذا المعادل فتقول: أأنت المسافر؟ أمشتر أنت؟ وهلم جزءاً.



انظر إلى أمثلة الطائفة «ب» حيث أداة الاستفهام هي الهمزة أيضاً تجد الحال على خلاف ما كانت في أمثلة الطائفة «أ»، فإن المتكلم هنا متردد بين ثبوت النسبة ونفيها، فهو يجهلها ولذلك يسأل عنها ويطلب معرفتها، ففي المثال السادس مثلاً يتردد المتكلم بين ثبوت الصِّدْقِ للذهب ونفيه عنه ولذلك يطلب معرفة هذه النسبة، ويكون جوابه بنعم إن أريد الإثبات، وبلا إن أريد النفي، وإذا تأملت الأمثلة هنا لم تجد للمسؤول عنه وهو النسبة معادلاً.

ومما تقدم ترى أن للهمزة استعمالين فتارة يطلب بها معرفة مفرد، وتارة يطلب بها معرفة نسبة، وتسمى معرفة المفرد تصوراً ومعرفة النسبة تصديقاً.



انظر إلى أمثلة الطائفة «ج» حيث أداة الاستفهام «هل» تجد أن المتكلم في كل منها لا يتردد في معرفة مفرد من المفردات، ولكنه متردد في معرفة النسبة فلا يدري أمثبة هي أم منفية فهو يسأل عنها، ولذلك يجاب بنعم إن أريد الإثبات، وبلا إن أريد النفي، ولو أنك تتبع جميع الأمثلة التي يستفهم فيها بهل لوجدت المطلوب هو معرفة النسبة ليس غير؛ «فهل» إذاً لا تكون إلا لطلب التصديق ويحتج معها ذكر المعادل.

القواعد

(٤٣) الإِسْتِفْهَامُ طَلَبُ الْعِلْمِ بِشَيْءٍ لَمْ يَكُنْ مَعْلُومًا مِنْ قَبْلُ، وَلَهُ أَدَوَاتٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا: الْهَمْزَةُ، وَهَلْ.

(٤٤) يُطْلَبُ بِالْهَمْزَةِ أَحَدُ أَمْرَيْنِ:

أ - التَّصَوُّرُ وَهُوَ إِدْرَاكُ الْمُفْرَدِ، وَفِي هَذِهِ الْحَالِ تَأْتِي الْهَمْزَةُ مَثْلَوَةً بِالْمَسْئُولِ عَنْهُ وَيُذَكَّرُ لَهُ فِي الْغَالِبِ مُعَادِلٌ بَعْدَ أَم.

ب - التَّصْدِيقُ وَهُوَ إِدْرَاكُ النِّسْبَةِ، وَفِي هَذِهِ الْحَالِ يَمْتَنِعُ ذِكْرُ الْمُعَادِلِ^(١).

(٤٥) يُطْلَبُ بِهِلِ التَّصْدِيقِ لَيْسَ غَيْرٌ، وَيَمْتَنِعُ مَعَهَا ذِكْرُ الْمُعَادِلِ^(٢).

(ب) بَقِيَّةُ أَدَوَاتِ الْإِسْتِفْهَامِ

الأمثلة:

١ - مَنْ اخْتَطَّ الْقَاهِرَةَ؟ ٣ - مَا الْكَرَى؟

٢ - مَنْ خَفَرَ تَرْعَةَ السُّوَيْسِ؟ ٤ - مَا الْإِسْرَافُ؟

٥ - مَتَى تَوَلَّى الْخِلَافَةَ عُمَرُ؟ ٧ - ﴿يَنْتَلِ أَيَّانَ يَوْمَ إِلْيَتِهِ﴾؟

٦ - مَتَى يَفُودُ الْمُسَافِرُونَ؟ ٨ - ﴿يَسْتَلُوكَ عَنِ الْهَلَاكِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾؟

البحث:

الجمال المتقدمة جميعها استفهامية، وإذا تأملت معاني أدوات الاستفهام هنا رأيت أن «من» يطلب بها تعيين العقلاء، وأن «ما» تكون لغير العقلاء، ويطلب بها تارة شرح الاسم كما إذا قلت: ما الكرّى؟ فتجيب بأنه النوم، وتارة يطلب بها حقيقة المسمى، كما إذا قلت: ما الإسراف؟ فتجيب بأنه تجاوز الحد في النفقة وغيرها،

(١) إن جاءت «أم» بعد همزة التصور تكون «متصلة» وإن جاءت بعد همزة التصديق أو هل فدرت «متقطعة» وتكون بمعنى «بل».

(٢) هل، قسمان: بسيطة إن استفهم بها عن وجود الشيء أو عدمه، نحو: هل الإنسان الكامل موجود؟ ومركبة إن استفهم بها عن وجود شيء لشيء، نحو: هل النبات حساس؟

ووجدت أن «متى» يطلب بها تعيين الزمان ماضياً أو مستقبلاً، و«أين» للزمان المستقبل خاصة وتكون في موضع التخييم والتهويل.

وهناك أدوات أخرى للاستفهام هي: كيف، وأين، وأتى، وكم، وأي، «فكيف» يطلب بها تعيين الحال نحو: كيف جتتم؟ و«أين» يطلب بها تعيين المكان نحو: أين دجلة والفرات؟ و«أتى» تكون بمعنى كيف، نحو: أتى تسود العشيرة وأبنائها متخاذلون؟ وبمعنى من أين نحو: أتى لهم هذا المال وقد كانوا فقراء؟ وبمعنى متى نحو: أتى يحضر الغائبون؟ و«كم» يطلب بها تعيين العدد نحو: كم جندباً في الكتبية؟ وأما «أي» فيطلب بها تعيين أحد المتشاركين في أمر يعمهما؟ نحو: أي الأخوين أكبر سناً؟ وتقع على الزمان، والمكان، والحال، والعامل، وغير العامل على حسب ما تضاف إليه. وجميع هذه الأدوات تأتي للتصور ليس غير، ولذلك يكون الجواب معها بتعيين المسؤول عنه.

القواعد

(٤٦) لِلإِسْتِفْهَامِ أَدَوَاتٌ أُخْرَى غَيْرُ الهمزة وَهَلْ، وَهِيَ:

مَنْ وَيُطَلَّبُ بِهَا تَعْيِينُ الْمُغْلَاةِ.

مَا وَيُطَلَّبُ بِهَا شَرْحُ الاسْمِ أَوْ حَقِيقَةُ الْمَسْمُومِ.

مَتَى وَيُطَلَّبُ بِهَا تَعْيِينُ الزَّمَانِ مَاضِياً كَانَ أَوْ مُسْتَقْبَلاً.

أَيَّانَ وَيُطَلَّبُ بِهَا تَعْيِينُ الزَّمَانِ الْمُسْتَقْبَلِ خَاصَّةً وَتَكُونُ فِي مَوْضِعِ التَّهْوِيلِ.

كَيْفَ وَيُطَلَّبُ بِهَا تَعْيِينُ الْحَالِ.

أَيْنَ وَيُطَلَّبُ بِهَا تَعْيِينُ الْمَكَانِ.

أَتَى وَتَأْتِي لِإِمْعَانِ عِدَّةٍ، فَتَكُونُ بِمَعْنَى كَيْفَ، وَبِمَعْنَى مِنْ أَيْنَ، وَبِمَعْنَى مَتَى.

كَمْ وَيُطَلَّبُ بِهَا تَعْيِينُ الْعَدَدِ.

أَيُّ وَيُطَلَّبُ بِهَا تَعْيِينُ أَحَدِ الْمُتَشَارِكِينَ فِي أَمْرٍ يَعُمُّهُمَا، وَيُسْأَلُ بِهَا عَنْ الزَّمَانِ وَالْحَالِ وَالْعَدَدِ وَالْعَاقِلِ وَغَيْرِ الْعَاقِلِ عَلَى حَسَبِ مَا تُضَافُ إِلَيْهِ.

(٤٧) جَمِيعُ الْأَدَوَاتِ الْمُتَقَدِّمَةِ يُطَلَّبُ بِهَا التَّصَوُّرُ، وَلِذَلِكَ يَكُونُ الْجَوَابُ مَعَهَا بِتَعْيِينِ الْمَسْئُولِ عَنْهُ.

(ج) الْمَعَانِي الَّتِي تُسْتَفَادُ مِنَ الْإِسْتِفْهَامِ بِالْقَرَأَتَيْنِ

الأمثلة:

١ - قال البخترى:

هَلْ الذُّمُّرُ إِلَّا غُمْرَةٌ وَانْجِلَاؤُهَا وَشِيكًا وَإِلَّا ضَبَقَةٌ وَانْفِرَاجُهَا؟^(١)

٢ - وقال أبو الطيب في المديح:

أَتَلْتُمِسُ الْأَعْدَاءَ بَعْدَ الَّذِي رَأَتْ قِيَامَ ذَلِيلٍ أَوْ وَضُوحَ بَيَانٍ؟^(٢)

٣ - وقال البحتري:

أَلَسْتُ أَعْمَهُمْ جُودًا وَأَزْكَاهُمْ عُدَاؤًا وَأَمْضَاهُمْ حُسَامًا؟^(٣)

٤ - وقال آخر:

إِلَامَ الْخُلَفُ بَيْنَكُمْ إِلَّا مَا؟ وَهَذِي الضُّجَّةُ الْكُبْرَى عَلَامًا؟

٥ - وقال أبو الطيب في الرثاء:

مَنْ لِلْمَحَافِلِ وَالْجَحَافِلِ وَالسُّرَى فَقَدْتَ بِفَقْدِكَ نِيرًا لَا يَطْلُعُ^(٤)

وَمَنْ اتَّخَذْتَ عَلَى الضُّيُوفِ خَلِيفَةً ضَاعُوا وَمِثْلُكَ لَا يَكَادُ يُضْبِغُ

٦ - وقال يهجو كافوراً:

مِنْ آيَةِ الطَّرْقِ يَأْتِي مِثْلَكَ الْكَزَمُ؟ أَيْنَ الْمَحَاجِمُ يَا كَافُورُ وَالْجَلَمُ؟^(٥)

٧ - وقال أيضاً:

خَتَامُ نَحْنُ نَسَارِي النُّجْمِ فِي الظُّلَمِ وَمَا سُرَاهُ عَلَى خُفٍّ وَلَا قَدَمٍ؟^(٦)

(١) الغمرة: الشدة، وانجلاؤها: زوالها، وشيكاً: سريعاً.

(٢) يقول: هل يطلب أعدائك دليلاً على أن الله يريد أن يجعل أمرك هو الغالب بعدما رأوا الأدلة على ذلك.

(٣) أزكاهم عوداً: أنقاهم جسماً.

(٤) المحافل: المجامع، والجحافل: الجيوش، والسرى: مشي الليل، ويريد به الزحف على الأعداء.

(٥) المحاجم: جمع محجمة وهي القارورة يحجم بها الجلد، ويقال لها كأس الحجامة، الجلم: أحد شقي المقراض والمراد به المشراط. قيل إن كافوراً كان عبداً لحجّام بمصر ثم اشتراه الإخشيد.

(٦) نساري: من السري وهو مشي الليل، يقول: حتى متى نسري مع النجم في الليل، وهو لا يسري على خف كالإبل ولا على قدم كالناس، فلا يتعب مثلنا ومثل مطايانا.

٨ - وقال أيضاً وقد أصابته الحمى:

أَبِئْتُ الدُّهْرَ عِنْدِي كُلُّ بَيْتٍ فَكَيْفَ وَصَلَتْ أَتَيْتُ مِنَ الرُّخَامِ؟^(١)

٩ - وقال تعالى: ﴿سَوَّلَهُ عَلَيْنَا أَوْصَلَتْ أَرْزَ نَكُنْ مِنَ الْوَعِيدِ﴾.

١٠ - وقال تعالى: ﴿فَقُلْ لَنَا مِنْ شَفَعَةٍ فَتَقَمُوا لَنَا؟﴾

١١ - وقال تعالى: ﴿مَلَأْتُكَ عَلَى يَمَنِّهِ شَيْخُكَ مِنْ عِلَالِ أَيْمٍ؟﴾

البحث:

عرفت فيما مضى ألفاظ الاستفهام ومعانيها الحقيقية. وهنا نريد أن نبين لك أن هذه الألفاظ قد تخرج إلى معانٍ أخرى تستفاد من السياق.

تدبر الأمثلة المتقدمة تجد البحرّي في المثال الأول لا يسأل عن شيء، وإنما يريد أن يقول ما الدهر إلا شدة سرعان ما تنجلي، وما هو إلا ضيق يعقبه فرج، فلفظة هل في كلامه إنما جاءت للنفي لا لطلب العلم بشيء كان مجهولاً.

وأبو الطيب في المثال الثاني إنما ينكر على الأعداء ارتيابهم في علا كافور والتماسهم البراهين على ما كتبه الله له من النصر واختصه به من الجّد السعيد، بعد أن رأوا كيف يتردى في المهالك كل من أراد به شرّاً، وكيف يُصيب الزمان كل من نوى له سوءاً، فالاستفهام في البيت لا يفيد معنى سوى الإنكار.

والبحرّي في المثال الثالث إنما يريد أن يحمل الممدوح على الإقرار بما ادعاه له من الفوق على بقية الخلفاء في الجود وبسطة الجسم والشجاعة، وليس من قصده أن يسأل، فالاستفهام في كلامه للتقرير.

والشاعر في المثال الرابع يلوم مخاطبيه على تماديهم في الشقاق واستمرارهم في التخاذل والتنافر. ويرقرعهم على غلوهم في الصخب والضجيج، فهو قد خرج بأداة الاستفهام عن معناها الأصلي إلى التوبيخ والتقرع.

وأبو الطيب في المثال الخامس يقصد إلى التعظيم والإجلال بإظهار ما كان للمرثي أيام حياته من صفات السيادة والشجاعة والكرم، مع ما في ذلك من إظهار التحسّر

(١) يريد ببنت الدهر: الحمى التي أصيب بها، وبنات الدهر: شدائده ومصابيه. يقول للحمى: عندي كل نوع من أنواع الشدائد، فكيف لم يمنعك ازدحامها من الوصول إليّ.

والتضعيع . أما في المثال السادس حيث يهجو كافوراً فإنه ينتقصه ويعمد إلى تحقيره والخط من كرامته .

وإذا تدبرت بقية الأمثلة وجدت أدوات الاستفهام قد خرجت عن معانيها الأصلية إلى الاستبطاء، والتعجب، والتسوية، والتمني، والتشويق، على الترتيب .

القاعدة

(٣٨) قَدْ تُخْرَجُ أَلْفَاظُ الاسْتِفْهَامِ عَنْ مَعَانِيهَا الْأَصْلِيَّةِ لِمَعَانٍ أُخْرَى تُسْتَفَادُ مِنْ سِيَاقِ الْكَلَامِ كَالْتَّمَنِي، وَالْإِنْكَارِ، وَالتَّحْقِيرِ، وَالتَّوْبِيخِ، وَالتَّعْظِيمِ، وَالتَّخْفِيرِ، وَالْإِسْطِطَاءِ، وَالتَّعْجُبِ، وَالتَّسْوِيَةِ، وَالتَّمَنِي، وَالتَّشْوِيقِ .

نَمُودَج (١)

- ١ - شَبَّ فِي الْمَدِينَةِ حَرِيقٌ لَمْ تَرَهُ، فَسَلْ صَدِيقَكَ عَنْ رُؤْيَتِهِ إِلَيْهِ .
- ٢ - سَمِعْتُ أَنَّ أَحَدَ أَخْرِيكَ عَلِيٍّ وَنَجِيبٌ أَنْقَذَ غَرِيقًا . فَسَلْ عَلِيًّا يَمِينُ لَكَ الْمُنْقَذَ .
- ٣ - إِذَا كُنْتَ تَعْرِفُ أَنَّ الْبَنْفَسَجَ يَكْثُرُ فِي أَحَدِ الْفَصْلَيْنِ الْخَرِيفِ أَوْ الشَّتَاءِ لَا عَلَى التَّعْيِينِ، فَضَعْ سَوَآلاً تَطْلُبُ فِيهِ تَعْيِينَ أَحَدِ الْفَصْلَيْنِ .

الإجابة (١)

الرقم	السؤال المطلوب	شرح الإجابة
(١)	هل رأيت الحريق الذي شب في المدينة؟	السؤال هنا عن النسبة وهل والهزمة صالحتان للاستفهام عنها فتذكر إحداهما ويؤتى بعدها بالجملة .
(٢)	أأنت الذي أنقذت الغريق أم نجيب؟	السؤال هنا عن المسند إليه فيستفهم بالهزمة ويؤتى بعدها بالمسؤول عنه ثم يؤتى بمعاقل بعد أم .
(٣)	أفي الخريف يكثر البنفسج أم في الشتاء؟	السؤال عن الطرف ويتبع في تكوينه ما اتبع في المثال السابق .

نموذج (٢)

بيان الأغراض التي يدل عليها الاستفهام في الأمثلة الآتية:

١ - قال أبو تمام في المديح:

هَلْ اجْتَمَعَتْ أَحْيَاءُ عَدْنَانَ كُلِّهَا بِمُلْتَحِمٍ إِلَّا وَأَنْتَ أَمِيرُهَا^(١)

٢ - وقال البخاري:

أَأَكْفُرُكَ التُّغْمَاءَ عُنْدِي وَقَدْ نَمَتْ عَلَيَّ نُمُو الْقَجَرِ وَالْقَجَرُ سَاطِعُ؟
وَأَنْتَ الَّذِي أَعَزَّزْتَنِي بِعَدِّ ذُلَّتِي فَلَا الْقَوْلُ مَخْفُوضٌ وَلَا الطَّرْفُ خَاشِعُ؟^(٢)

٣ - وقال ابن الرومي في المدح:

أَلَسْتُ الْمَرْءَ يَجْبِي كُلَّ حَمِيدٍ إِذَا مَا لَمْ يَكُنْ لِلْحَمْدِ جَابِ؟^(٣)

٤ - وقال أبو تمام:

مَا لِلْخُطُوبِ طَفَتْ عَلَيَّ كَأَنَّهَا جَهَلْتُ بِأَنْ نَدَاكَ بِالْمِرْضَادِ؟

٥ - وقال آخر:

فَدَعَ الْوَعِيدَ قَمَا وَعِيدُكَ ضَائِرِي أَطْنِينُ أَجْنَحَةِ الذُّبَابِ يَضِيرُ؟^(٤)

٦ - أضاعوني وَأَيُّ فَتَى أَضَاعُوا؟ لِيَوْمَ كَرِيهَةٍ وَسَدَادٍ تُفَرُ؟^(٥)

(١) أحياء عدنان: بطونهم؛ الملتحم: مكان اشتداد القتال.

(٢) القول المخفوض: ما كان ليناً ليست فيه شدة، والطرف الخاشع: العين فيها انكسار وذلة.

(٣) يجبي: يجمع.

(٤) الطنين: صوت أجنحة الذباب، ويضير: يضر.

(٥) الكريهة: الشدة في الحرب، والشفر: موضع المخافة من العدو عند حدود البلدان، ويريد بسداده سده بالخيال والرجال.

الإجابة

الشرح	الغرض	صفة الاستفهام	الرقم
لأن المعنى أن بطون عدنان لم تجتمع في مكان قتال إلا وأنت أمير عليها.	النفي	هل اجتمعت أحياء عدنان	(١)
فإن البحري يريد أن يقول لممدوحه إنه لا يليق بي أن أكفر نعماءك وقد غمرتني بها غمراً، وبدلتي بالذل عزاً، وبالخضوع والخشوع عظمة وعلواً.	الإنكار	أأكفرك النعماء عندي	(٢)
لأن القائل يريد أن يحمل الممدوح على الإقرار بما ادعاه من اجتماع المحامد له.	التقرير	ألست المرء يجبي كل حمد	(٣)
فإن أبا تمام يعجب من تراكم الشدائد عليه في حين أن ممدوحه لها بالمرصاد يدفعها عنه بنداء وعطاياها، ولذلك قال كأنها جهلت بأن نذاك بالمرصاد.	التمجيب	ما للخطوب طغّت عليّ	(٤)
لأن الشاعر يشبه وعيد عدوه بصوت أجنحة الذباب.	التحقير	أطنين أجنحة الذباب يضير	(٥)
لأن المتكلم يريد أن يرفع من شأن نفسه وبين أنه عماد العشيرة في أوقات الحروب والشدائد.	التعظيم	أضاعوني وأي فتى أضاعوا	(٦)

تعرينات

(١)

- ١ - وعدك صديق أن يزورك في الغد، فشككت في أنه يزورك قبل الظهور أو بعده، فضع سؤالاً تطلب به تعيين الوقت.
- ٢ - علمت أن واحداً من غمّيك حاميد ومحمود قد اشترى بيتاً، فضع سؤالاً تطلب به تعيين المشتري.
- ٣ - إذا كنت شاكاً في أن القصب يُزرع في الربيع أو في الصيف، فكيف تصوغ السؤال الذي تطلب به من المخاطب تعيين الزمان؟
- ٤ - سل صديقك عن ميله إلى الأسفار.

(٢)

سل عن: الحال، والمفعول به، والظرف، والمبتدأ، والخبر، والجار والمجرور، في الجمل الآتية:

نظم القصيدة متأثراً - اشترى قلماً - كتب الرسالة ليلاً - عليّ الفائز - مصر خضبةً - الكتاب في البيت.

(٣)

سل عما يأتي:

- أ - أول الخلفاء الراشدين . ه - عدد المدارس العالية في مصر .
- ب - أطول شارع في المدينة . و - موطن القبيلة .
- ج - حال مصر أيام المماليك . ز - حقيقة الصدق .
- د - الزمن الذي ينضج فيه العنب . ح - معنى الضيغم .

(٤)

١ - لم كان الاستفهام في الأمثلة الآتية مفيداً النفي، والإنكار، والتعظيم، على الترتيب؟

أ - هل الذفر إلا ساعة ثم تنقضي بما كان فيها من بلاء ومن خُفَضُ؟^(١)
ب - قال تعالى: ﴿أَغْيَرَ اللَّهُ تَعْوَدَ﴾.

ج - مَنْ منكم الملك المَطَاعُ كَأَنَّهُ تحت السوابغ تُبْعُ في جَمِيرٍ؟^(٢)
٢ - لم كان الاستفهام في الأمثلة الآتية مفيداً التقرير، والتعجب، والتمني، على الترتيب؟

(١) البلاء: الهم والغم، والخفض: النعيم والدعة.

(٢) البيت لابن هاني الأندلسي، والسوابغ: الدروع، تبع: ملك اليمن، وحمير موضع أو قبيلة غربي صنعاء، يخاطب الجيش ويقول: أيها الجنود مَنْ منكم الملك الذي له من القوة والسلطان ما لتبع.

١ - قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلْنَا وَلِيَدًا؟﴾

ب - قالت إحدى نساء العرب تشكو ابنها:

أَتَسَا يُمَزَّقُ أَثْوَابِي يُؤَذِّبُنِي أَبْعَدُ شَيْبِي يَبْغِي عِثْدِي الْأَذْبَا؟

ج - وقال أبو العتاهية في مدح الأمين:

تَذْكُرُ أَمِينَ اللَّهِ حَقِّي وَحُرْمَتِي وَمَا كُنْتُ تُؤَلِّينِي لَعَلَّكَ تَذْكُرُ

فَمَنْ لِي بِالْعَيْنِ الَّتِي كُنْتُ مَرَّةً إِلَيَّ بِهَا فِي سَالِفِ الدَّهْرِ تَنْظُرُ؟

(٥)

ماذا يُرَادُ بالاستفهام في الأمثلة الآتية:

١ - قال المتنبي:

وَمَنْ لَمْ يَغْنِثِ الدُّنْيَا قَدِيمًا وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الْوَصَالِ^(١)

٢ - وقال:

وَلَسْتُ أَبَالِي بَعْدَ إِذْ ذَاكِي الْغُلَا أَكُنْ ثَرَاتًا مَا تَنَازَلْتُ أَمْ كُنْ بَا؟^(٢)

٣ - وقال:

وَهَلْ تَغْنِي الرُّسَائِلُ فِي عَذْوٍ إِذَا مَا لَمْ يَكُنْ ظُبًا رَقَاقًا؟^(٣)

٤ - وقال حينما صرع بدر بن عمار أسداً:

أُتَعَفَّرُ اللَّيْثَ الْهَزْبِرَ بِسَوَطِهِ لِمَنْ أَذْخَرْتَ الصَّارِمَ الْمَصْقُولَا؟^(٤)

(١) الناس من قديم الزمان مولعون بحب الدنيا والبقاء فيها، ولكن لم يتمتع أحد بهذا البقاء لأنها لا تدوم لأحد.

(٢) التراث: الإرث، يقول: إذا استوليت على معالي الأمور فما أبالي أن أكون بلغتها عن إرث أو كسب، وقد كان الوجه أن يقول: أترأتاً كان لأن الهمزة لا يليها إلا المسؤول عنه كما تقدم لك ولكنه لما ذكر المعادل تعين المسؤول عنه.

(٣) الظبا: جمع ظبة وهي حد السيف. أي أن العدو لا يشتفي منه إلا بالقتل.

(٤) عفره: مرغه في التراب، والليث: الأسد، والهزير: الشديد، والصارم: السيف الفاطم؛ يقول: إذا كنت تصرع الأسد بالسوط وهو أشد الحيوان بأساً، فلن أعددت سيفك؟

٥ - وقال أبو تمام:

أُولَيسَ مُخْرِجُ الْقَوْلِ مَنْ لَوْ هَجَوْتُهُ إِذَا لَهَجَانِي عَنْهُ مَعْرُوفُهُ عِثْدِي؟

٦ - وَكَيْفَ أَخَافُ الْفَقْرَ أَوْ أُخْرِمُ الْمَنَى وَرَأَيْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ جَمِيلَ؟

٧ - مَا أَتَيْتَ يَا ذُنْبًا أَرْوِيَا نَأْسَمَ أَمْ لَيْلٌ عُرْسٍ أَمْ بَسَاطٌ سُلَافٌ؟^(١)

٨ - وقال أبو الطيب:

وَمَا لَكَ تُعْنَى بِالْأَيْبَةِ وَالْقَتَا؟ وَجَدْتُكَ طَعَانٌ بِغَيْرِ سِتَانٍ^(٢)

٩ - هَلْ بِالطَّلُولِ لِسَائِلٍ رُدُّ؟ أَمْ هَلْ لَهَا بِتَكَلُّمٍ عَهْدٌ؟

١٠ - حَتَّى مَتَى أَنْتَ فِي لَهْوٍ وَفِي لَعِبٍ؟ وَالْمَوْتُ نَحْوُكَ يَهْوَى فَاتِحًا فَاهُ

١١ - وقال أبو الطيب:

يَفْنَى الْكَلَامُ وَلَا يُجِيطُ بِفَضْلِكُمْ أَيْجِيطُ مَا يَقْنَى بِمَا لَا يَنْقُذُ؟

١٢ - وقال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ؟﴾

١٣ - وقال أبو الطيب:

أَيْدِرِي الرُّيُوحُ أَيَّ دَمٍ أَرَأَقَا؟ وَأَيُّ قُلُوبٍ هَذَا الرُّكْبُ شَاقَا؟^(٣)

١٤ - وقال المتنبي في سيف الدولة يهْوَذُهُ مِنْ دُمْلٍ كَانَ فِيهِ:

وَكَيْفَ تُعِلُّكَ الدُّنْيَا بِشَيْءٍ؟ وَأَنْتَ لِمِلَّةِ الدُّنْيَا طَبِيبُ

وَكَيْفَ تُثْرِيكَ الشُّكُورُ بَدَاؤُ؟ وَأَنْتَ الْمُسْتَفْعَاتُ لِمَا يَثُوبُ

١٥ - وقال أبو العلاء المعري:

أَتَقْظُنُّ أَنَّكَ لِلْمَعَالِي كَاسِبٌ؟ وَخَبِيئُ أَمْرِكَ ثِيْرَةٌ وَشَتَارٌ^(٤)

(١) العرس: طعام الوليمة، والسلاف: الخمر.

(٢) تعني بصيغة المجهول أي تعنتي، والجد: الحظ، يقول: ما لك تعنتي بادخار الأسلحة وحظك يطمئن أعداءك فيقتلهم بغير سنان.

(٣) الريح: الدار، وأراق: سفك، والركب: جماعة الركبان. يذكر مروره بريع الأحبة ويقول: أيدرني هذا الريح ما فعل من إراقة دمي، وما هيج في قلبي من الشوق بذكر الأحبة.

(٤) الشره بالكسر: الشر والحدة والحرص، والشار بالفتح: أنجع العيب.

(٦)

- ١ - استعمل كل أداة من أدوات الاستفهام في جملتين مفيدتين وأجب عن كل سؤال تأتي به، واجعل غرضك من الاستفهام معناه الحقيقي.
- ٢ - استعمل همزة الاستفهام في ست جمل بحيث تكون في الثلاث الأولى منها لطلب التصوّر، وفي الثلاث الأخيرة لطلب التصديق، واجعل غرضك من الاستفهام معناه الحقيقي.
- ٣ - كوّن ثلاث جمل استفهامية تامة، أداة الاستفهام في كل منها «هل»، واجعل غرضك من الاستفهام معناه الحقيقي.
- ٤ - هات ثلاث جمل أداة الاستفهام في كل منها «أنى» واستوف المعاني التي عرفتها لهذه الأداة، واجعل غرضك من الاستفهام معناه الحقيقي.

(٧)

- ١ - كوّن ثلاث جمل استفهامية بحيث يدل الاستفهام في الأولى على التسوية، وفي الثانية على النفي، وفي الثالثة على الإنكار.
- ٢ - هات ثلاث جمل استفهامية: يدل الاستفهام في الأولى منها على التعظيم، وفي الثانية على التحقير، وفي الثالثة على التوبيخ.
- ٣ - مثل للاستفهام الخارج عن معناه الأصلي للتعجب، ثم للتمني، ثم للاستبطاء.

(٨)

اشرح البيتين الآتين وبين أغراض الاستفهام فيهما، وهما يُنسبان لأعرابي يمدح الفضل بن يحيى البرمكي:

ولائمة لامثك يا فضلُ في التُدى فقلت لها هل أثر اللوم في البحر؟
أنتهين فضلاً عن عطاياهُ للورى؟ ومن ذا الذي ينهى الغمام عن القطر؟

(٤) التمني

- ١ - قال ابن الرومي في شهر رمضان:
فليت الليل فيه كان شهراً ومز نهازه مَرُّ السحاب
- ٢ - وقال تعالى: ﴿قَدْ لَنَا مِنْ شَفْعَةٍ فَتَنَعُوا لَنَا﴾.
- ٣ - وقال جرير:
وَلَى الشَّبَابِ حَمِيدَةٌ أَيَّامُهُ لو كان ذلك يُشْتَرَى أو يَرْجَى
- ٤ - وقال آخر:
أَسِرْبَ الْقَطَا هَلْ مَنْ يُعِيرُ جَنَاحَهُ لَعَلِّي إِلَى مَنْ قَدْ هَوَيْتُ أَطِيرُ؟^(١)
- ٥ - وقال تعالى: ﴿يَبْتَئِتْ لَنَا يَثَلْ مَا أَوْفَى قَرْوَدٌ﴾.

البحث:

الأمثلة المتقدمة جميعها من باب الإنشاء الطلبي. وإذا تأملت المطلوب في كل مثال وجدته أمراً محبوباً لا يرجى حصوله، إما لكونه مستحبلاً كما في الأمثلة الأربعة الأولى، وإما لكونه ممكناً غير مطموح في نبهه كما في المثال الأخير، ويسمى هذا الضرب من الإنشاء بالتمني.

والأدوات التي أفادت التمني في الأمثلة المتقدمة هي: ليت، وهل، ولو، ولعل: غير أن الأداة الأولى أفادته بأصل الوضع، أما الثلاث الأخرى فإنها استعملت فيه للطائف بلاغية.

هذا وإذا كان المطلوب المحبوب ممكناً مطموحاً في حصوله كان طلبه ترجياً، ويعبر فيه بلعل وعسى، وقد تستعمل فيه ليت لسبب يقصده البليغ كما في قول أبي الطيب:

فَيَا لَيْتَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ أَحِبَّتِي مِنْ الْبُعْدِ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ الْمَصَائِبِ

(١) السرب: الجماعة، والقطا: نوع من الطير يشبه الحمام، وهويت: أحببت.

القواعد

(٤٩) التَّمَنِي طَلَبُ أَمْرٍ مَحْبُوبٍ لَا يُزَجَى حُصُولُهُ، إِمَّا لِكُونِهِ مُسْتَجِيلًا، وَإِمَّا لِكُونِهِ مُنَكَبًا غَيْرَ مَطْمُوعٍ فِي تَنِيلِهِ.

(٥٠) وَاللَّفْظُ الْمَوْضُوعُ لِلتَّمَنِي لَيْتَ، وَقَدْ يَتَمَنَّى بِهِلْ، وَلَوْ، وَلَعَلَّ، لِفَرَضٍ بِلَاغِي^(١).

(٥١) إِذَا كَانَ الْأَمْرُ الْمَحْبُوبُ بِمَا يُزَجَى حُصُولُهُ كَانَ طَلَبُهُ تَرْجِيًا، وَيُعَبَّرُ فِيهِ بِلَعَلَّ أَوْ عَسَى، وَقَدْ تُسْتَعْمَلُ فِيهِ لَيْتَ لِفَرَضٍ بِلَاغِي^(٢).

نَمُودَجْ

ليان ما في الأمثلة الآتية من تمنٍّ أو ترجٍّ، وتعيين الأداة في كل مثال:

١ - قال صريحُ الغواني:

واهاً لأيام الصُّبا وزمانيه لو كان أشعف بالأمقام قليلاً^(٣)

٢ - وقال أبو الطيب:

فَلَيْتَ هَوَى الْأَجْبَةِ كَانَ عَذْلًا فحُمِّلَ كُلُّ قَلْبٍ مَا أَطَافَا

٣ - وقال تعالى: ﴿فَهَلْ لِي خُرُوجٍ بَيْنَ سَيِّلٍ﴾؟

الإجابة

البيان	الأداة	المعنى المراد	الرقم
لأن المطلوب هنا ممكن غير مطموع في حصوله.	لو	التمني	١
لأن المطلوب هنا ممكن مطموع في حصوله.	ليت	الترجي	٢
لأن المطلوب هنا ممكن غير مطموع في حصوله	هل	التمني	٣

(١) الغرض في هل ولعل، هو إبراز التمني في صورة الممكن القريب الحصول؛ لكمال العناية به والتشوق إليه، والغرض في لو الإشعار بعزّة التمني وندرته؛ لأن المتكلم يبرزه في صورة الممنوع؛ إذ إن لو تدل بأصل وضعها على امتناع الجواب لامتناع الشرط.

(٢) الغرض هو إبراز المرجو في صورة المستحيل مبالغة في بعد نيله.

(٣) واها: كلمة تعجب تقولها إذا تعجبت من طيب الشيء، فمعنى واهاً لأيام الصبا ما أطيبها!

تعرينات

(١)

بَيِّنْ مَا فِي الْأَمْثَلَةِ الْآتِيَةِ مِنْ نَمْنٍ أَوْ تَرْجٍ، وَبَيِّنِ السَّرَّ فِي اسْتِعْمَالِ مَا جَاءَ مِنَ الْأَدَوَاتِ عَلَى غَيْرِ وَضْعِهِ الْأَصْلِيِّ:

١ - قَالَ مَرْوَانُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ فِي رثَاءِ مَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ:

فَلَيْتَ الشَّامِتِينَ بِهِ قُدُوهُ وَلَيْتَ الْمُفْرَمُ مَذْلَهُ فَطَالَا^(١)

٢ - وَقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ فِي رثَاءِ أُخْتِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ:

فَلَيْتَ طَالِعَةَ الشَّمْسِينَ غَائِبَةً وَلَيْتَ غَائِبَةَ الشَّمْسِينَ لَمْ تَغِبْ^(٢)

٣ - وَقَالَ آخَرُ:

عَلَّ اللَّيَالِي الَّتِي أَضْنَتْ بِفَرْقَتِنَا جَسْمِي سَتَجْمَعُنِي يَوْمًا وَتَجْمَعُهُ^(٣)

٤ - قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَهَيِّئْ لِي مَرَجًا لَعَلِّي أَتْلُجُ الْأَسْبَابَ أَشْنَبَ السَّمَوَاتِ﴾.

٥ - وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ أِنَّ لَنَا كُرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْفَائِزِينَ﴾^(٤).

٦ - وَقَالَ الشَّاعِرُ:

أَيَا مَنَزَلِي سَلِّمْ سَلَامَ عَلَيَّكُمَا هَلِ الْأَزْمَنُ اللَّاتِي مَضَيْنَ رَوَاجِعُ

٧ - وَقَالَ:

لَيْتَ الْمَلُوكَ عَلَى الْأَقْدَارِ مُعْطِيَةً فَلَمْ يَكُنْ لِدُنْيِي عِنْدَهَا طَمَعُ^(٥)

٨ - وَقَالَ فِي الْمَدِيحِ:

لَبِثَ الْمَدَائِحِ تَسْتَوْفِي مَنَاقِبَهُ فَمَا كَلِيبَ وَأَهْلُ الْأَعْصُرِ الْأُولَى؟

(١) الشامتين به: الفرحين بموته، وفدوه: جعلوا فداء له.

(٢) جعل المرئية وشمس النهار شمسين، يقول: ليت الطالعة من هاتين الشمسين وهي شمس النهار غائبة، وليت الغائبة منهما وهي المرئية لم تغب. يريد أنها كانت أعم نفعاً من الشمس فليتها بقيت وفقدنا الشمس.

(٣) أضنت جسماً: أمرضته.

(٤) كرة: أي رجوعاً إلى الدنيا.

(٥) أي لبتهم يعطون الشعراء على قدر فضلهم ونبل أنفسهم فلا يطمع في عطائهم خسيس.

(٢)

- ١ - هات مثالين لكل أداة تفيد التمني.
- ٢ - هات مثالين للترجي، واستعمل في الأول لعل وفي الثاني عسى.
- ٣ - هات مثالين للترجي، واستعمل في كل منهما «ليت» وبيّن السبب البلاغي في اختيار هذه الأداة.

(٣)

- انثر البيتين الآتين نثراً وهما للمتنبي في مدح كافور:
- لحى الله ذي الدنيا مُناخاً لراكِبٍ فكل بعيد الهم فيها مُعذَّبٌ^(١)
 ألا ليت شعري هل أقولُ قَصيدةً فلا أشتكى فيها ولا أتعُتَبُ^(٢)

(٥) النداء

الأمثلة:

- ١ - كتب أبو الطيب إلى الوالي وهو في الاعتقال:

أَمَّا لِكَ رُقِي وَمِنْ شَأْنِهِ هَبَاتُ اللَّجَيْنِ وَعِشْقُ الْغَبِيدِ^(٣)
 دَعْوَتُكَ عِنْدَ انْقِطَاعِ الرَّجَا وَالْمَوْتُ مِنِّي كَحَبْلِ الْوَرِيدِ^(٤)

- ٢ - وقال أبو نؤاس:

يَا رَبِّ إِنْ عَظُمَتْ ذُنُوبِي كَثْرَةً فَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنْ عَفْوَكَ أَعْظَمُ

- ٣ - وقال الفرزدق يفخر بآبائه ويهجو جريراً:

(١) لحى الله ذي الدنيا: أي قبحها ولعنها، والمناخ: المنزل وهو تمييز، يذم الدنيا ويقول: إنها دار شقاء وإن كل عظيم الهمة فيها معذب.

(٢) ليت شعري: أي ليتني أعلم.

(٣) الرق: العبودية، والهبات: اللجج، والفضة، والعتق: التحرير.

(٤) حبل الوريد: عرق في العنق يضرب مثلاً في شدة القرب.

أُولَئِكَ آبَائِي فَجِئَنِي بِمِثْلِهِمْ إِذَا جَمَعْتُنَا يَا جَرِيرُ الْمَجَامِعِ
٤ - وقال آخر:

أَيَا جَابِغِ الدُّنْيَا لِيُغَيِّرَ بِلَاغِي لِمَنْ تَجْمَعُ الدُّنْيَا وَأَنْتَ تُمُوتُ؟
البحث:

إذا أردنا إقبال أحد علينا دعوانه بذكر اسمه أو صفة من صفاته بعد حرف نائب
مناب أدعو، ويسمى هذا بالنداء.

وأدوات النداء هي: الهمزة، وأَيُّ، وَيَا، وآ، وآي، وَأَيَا، وَهَيَا، وَوَا.
والأصل في نداء القريب أن ينادى بالهمزة أو أَي، وفي نداء البعيد أن ينادى
بغيرهما من بقية الأدوات، غير أن هناك أسباباً بلاغية تدعو إلى مخالفة هذا الأصل،
وسنشرح لك هذه الأسباب فيما يأتي:

تأمل المثال الأول تجد المنادى فيه بعيداً، ولكن أبا الطيب ناداه بالهمزة
الموضوعة للقريب، فما السبب البلاغي هنا؟ السبب أن أبا الطيب أراد أن يبين أن
المنادى على الرغم من بعده في المكان، قريب من قلبه مستحضر في ذهنه لا يغيب
عن باله، فكأنه حاضر معه في مكان واحد. وهذه لطيفة بلاغية تسوغ استعمال الهمزة
وأَيُّ في نداء البعيد.

انظر إلى الأمثلة الثلاثة الباقية تجد المنادى في كل منها قريباً، ولكن المتكلم
استعمل فيها أحرف النداء الموضوعة للبعيد فما سبب هذا؟

السبب أن المنادى في المثال الثاني جليل القدر خطير الشأن فكان بُعد درجته
في العظم بُعد في المسافة، ولذلك اختار المتكلم في نداءه الحرف الموضوع لنداء
البعيد ليشير إلى هذا الشأن الرفيع. وأما في المثال الثالث فلأن المخاطب في اعتقاد
المتكلم وضع الشأن صغير القدر فكان بُعد درجته في الانحطاط بُعد في المسافة.
وأما في المثال الأخير فلأن المخاطب لغفلته وذهوله كأنه غير حاضر مع المتكلم في
مكان واحد.

وقد تخرج ألفاظ النداء عن معناها الأصلي وهو طلب الإقبال إلى معان أخرى
تستفاد من القرائن، ومن هذه المعاني ما يأتي:

١ - الزجر كقوله:

يَا قَلْبُ وَنَحْكَ مَا سَمِعْتَ لِتَأْصِحَ لَمَّا ارْتَمَيْتَ وَلَا اتَّقَيْتَ مَلَامًا

٢ - التحسر والتوجع نحو قوله:

أبا قَبْرٍ مَعْنٍ كَيْفَ وَارِثَتْ جُودَهُ وَقَدْ كَانَ مِنْهُ الْبِرُّ وَالْبَخْرُ مُثْرَعَا
٣ - الإغراء كفولك لَمَنْ أَقْبَلَ بِتَظَلُّمٍ: يا مظلوم تكلم.

القواعد

(٥٢) النداء طَلَبُ الْإِقْبَالِ بِحَرْفِ نَائِبٍ مَتَابِ أَدْعُو.

(٥٣) أَدْوَاتُ النَّدَائِ ثَمَانٍ: الهمزة، وأي، ونا، وآ، وآي، وأيا، وهيا، ووا.

(٥٤) الهمزة وأي لينداه القريب، وغيرهما لينداه البعيد.

(٥٥) قَدْ يُنْزَلُ الْبَعِيدُ مَثْرَلَةً الْقَرِيبُ فَيُنَادَى بِالْهَمْزَةِ وَأَي، إِشَارَةً إِلَى قُرْبِهِ مِنَ الْقَلْبِ وَخُضُورِهِ فِي الذَّهْنِ. وَقَدْ يُنْزَلُ الْقَرِيبُ مَثْرَلَةً الْبَعِيدِ فَيُنَادَى بِغَيْرِ الْهَمْزَةِ وَأَي، إِشَارَةً إِلَى غُلُوِّ مَرَاتِبَتِهِ، أَوْ انْجِطَاطِ مَثْرَلَتِهِ، أَوْ غَفْلَتِهِ وَشُرُودِ ذَهَبِهِ.

(٥٦) يَخْرُجُ النَّدَاءُ عَنْ مَعْنَاهُ الْأَصْلِيِّ إِلَى مَعَانٍ أُخْرَى تُسْتَفَادُ مِنَ الْقَرَانِ، كَالرُّجْرِ وَالتَّحْسُرِ وَالْإِغْرَاءِ.

نَمُودَجْ

لبيان أدوات النداء في الأمثلة الآتية، وما جرى منها على أصل وضعه في نداء القريب أو البعيد، وما خرج عن ذلك مع بيان السبب:

- ١ - أَبَيْتِي إِنْ أَبَاكَ كَارِبٌ يَوْمِيهِ فَإِذَا دُعِيتَ إِلَى الْمَكَارِمِ فَاغْجَلْ^(١)
- ٢ - يَا مَنْ يُرْجَى لِلشَّدَائِدِ كُلِّهَا يَا مَنْ إِلَيْهِ الْمُشْتَكَى وَالْمُفْرَغُ
- ٣ - قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ:

أَبَا مَنْ عَاشَ فِي الدُّنْيَا طَوِيلًا وَأَقْنَى الثَّمَرِ فِي فَيْلٍ وَقَالٍ
وَأَتَمَّبَ نَفْسَهُ فِيمَا سَيْفَنِي وَجَمَعَ بَيْنَ حَرَامٍ أَوْ حَلَالٍ
هَبِ الدُّنْيَا تُقَادُ إِلَيْكَ عَفْوًا أَلَيْسَ مَصْبِيرُ ذَلِكَ لِلزَّوَالِ؟

(١) كَارِبٌ يَوْمِيهِ: أي مقارب يومه الذي يموت فيه.

٤ - وقال سوار بن المُضَرَّب^(١):

يَأْيُهَا الْقَلْبُ هَلْ تَنْهَاكَ مَوْعِظَةٌ أَوْ يُخَدِّتُنْ لَكَ طُولُ الدَّهْرِ بَسْبِئَانَا

٥ - وكتب والد لولده ينصحه:

أَحْسِبْ إِنْني وَاِعْظُ وَمُؤَدِّبُ فَافْهَمْ فَإِنَّ الْعَاقِلَ الْمُتَأَدِّبُ

الإجابة

١ - الأداة «الهمزة» وقد استعملت في نداء القريب جرياً على الأصل.

٢ - الأداة «يا» وقد استعملت في نداء القريب على خلاف الأصل، إشارة إلى علو مرتبة المناذى وارتفاع شأنه.

٣ - الأداة «أيا» وقد استعملت في نداء القريب على خلاف الأصل، إشارة إلى غفلة المخاطب.

٤ - الأداة «يا» وقد استعملت في نداء القريب على خلاف الأصل، إشارة إلى أن المناذى غافل لاه فكأنه غير قريب.

٥ - الأداة «الهمزة» وقد تُودي بها البعيد على خلاف الأصل، إشارة إلى أن المناذى حاضر في الذهن لا يغيب عن البال فكأنه حاضر الجثمان.

تعرينات

(١)

يُبَيِّن أدوات النداء في الأمثلة الآتية، وما جرى منها على أصل وضعه في نداء القريب أو البعيد، وما خرج منها عن ذلك مع بيان الأسباب البلاغية في الخروج:

١ - قال أبو الطيب:

يَا صَائِدَ الْجَحْفَلِ الْمَرْهُوبِ جَانِبُهُ إِنَّ الْيُوثَ تَصِيدُ النَّاسَ أَخْدَانًا^(٢)

٢ - أَيْ رَبِّ قَدْ أَحْسَنْتَ عَوْدًا وَبِدْءًا إِلَيَّ فَلَمْ يَتَهَضَّ بِإِخْسَانِكَ الشُّكْرُ

(١) شاعر إسلامي كان مع قطري بن الفجاءة، وهو من بني سعد تميم.

(٢) الجحفل: الجيش الكبير، واليُوث: الأسود، وأخدانا: جمع واحد وأصله وحدانا، يقول: أنت أشد بطشاً من الأسد، لأن الأسود يصيد الناس واحداً واحداً وأنت تصيد الجيش برمتة.

٣ - أَشْكَانَ نَعْمَانَ الْأَرَاكِ تَيْقُتُوا بِأَنْكُمْ فِي زَيْعِ قُلُوبِي سُكَانُ^(١)

٤- قال تعالى يخزي قول فرعون لموسى عليه السلام: ﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَتُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾.

٥ - قال أبو العتاهية :

أَيُّهَا مَنْ يُؤْمَلُ طُولَ الْحَيَاةِ وَطُولَ الْحَيَاةِ عَلَيْهِ خُطُرُ
إِذَا مَا كَبُرَتْ وَبَانَ الشُّبَابُ فَلَا خَيْرَ فِي الْعَيْشِ بَعْدَ الْكِبَرِ

٦ - وقال أبو الطيب في مدح كافور من قصيدة أنشده إياها:

يَا رَجَاءَ الْمُعَيَّنُونَ فِي كُلِّ أَرْضٍ لَمْ يَكُنْ غَيْرَ أَنَّ أَرَاكَ رَجَائِي

٧ - أَيُّ بَنِي، أَعَدَّ عَلَيَّ مَا سَمِعْتُ مِنْهُ.

٨ - أمحمد، لا ترفع صوتك حتى لا يسمع حديثنا أحد.

٩ - أيا هذا، تنبه فالحكارة مُحَدِّدَةٌ بِكَ.

١٠ - يا هذا لا تتكلم حتى يؤذن لك.

(۲)

نادٍ مَنْ يَأْتِي، مستعملاً أدوات النداء استعمالاً جارياً على خلاف الأصل من حيث قرب المنادى ويُعَدُّ، ويَبَيِّنُ العِللَ البلاغيةَ في هذا الاستعمال:

١ - غائباً تحنّ إلى لقائه .

٢ - سفيهاً تنهاه عن التعرض للكرام.

٣ - منصرفاً عن عمله تدعوه إلى الجذ.

٤ - عظيماً تخاطبه وترجوه أن يساعذك.

(३)

ماذا يراد بالنداء في الأمثلة الآتية :

١ - أَغْدَاةُ مَا لِلْعَيْشِ بِغَدِكَ لَذَّةٌ وَلَا لِخَلِيلٍ بِهَجَّةٍ بِخَلِيلٍ^(٢)

(١) نعمان الأراك: موضع في بلاد العرب، والريم: المنزل.

(٢) الهزمة للنداء، وعداء منادى، والبهجة: السرور، يقول: يا عداء، ذهبت بعدك لذة العيش ولم يبقَ لخليل يخليله سرور.

- ٢ - يا شجاع أَقْدِم (تقوله لمن يتردد في منزلة العدو).
- ٣ - دَعْوَتُكَ يَا بُنَيَّ فَلَمْ تُجِبْنِي فَرُدَّتْ دَعْوَتِي يَا أَسَافاً
- ٤ - بِاللهِ قُلْ لِي يَا قُلُوبَ نُوْ وَلِي أَقْسُوْ وَلِي أَسْأَلُوْ
- أَتُرِيدُ فِي الشُّبُعَيْنِ مَا قَدْ كُنْتُ فِي الْعَشْرَيْنِ فَاعِلٌ
- ٥ - يَا دَارَ عَابِكَةِ حُبَيْبٍ مِنْ دَارِ سَيَرْتُ فِيكَ وَفِيْمَنْ فِيكَ أَشْعَارِي

(٤)

- ١ - هات مثالين للهمزة المستعملة في نداء البعيد، وبين السبب في خروجها عن أصل وضعها في كل من هذين المثالين.
- ٢ - هات مثالين للمنادى القريب المنزل منزلة البعيد لعلو مكانته.
- ٣ - هات مثالين للمنادى القريب المنزل منزلة البعيد لانحطاط منزلته.
- ٤ - هات مثالين للمنادى القريب المنزل منزلة البعيد لغفلة وشروء ذهنه.
- ٥ - مثل للنداء المستعمل في التحسر والزجر والإغراء.

(٥)

- انثر البيتين الآتين نثراً فصيحاً وهما لأبي الطيب، وبين الغرض من النداء:
- يَا أَعْدِلُ النَّاسَ إِلَّا فِي مُعَامَلَتِي فِيكَ الْخِصَامُ وَأَنْتَ الْخُصْمُ وَالْحَكْمُ
- أَعْبُدْهَا نَظَرَاتٍ مِنْكَ صَادِقَةً أَنْ تَحْسِبَ الشُّخْمَ فِيمَنْ شَحْمُهُ وَزَمُّ

القَصْرُ

تعريفه - طُرُقُه - طَرَفاه

الأمثلة :

- ١ - لَا يَفُوزُ إِلَّا الْمُجِدُّ.
- ٢ - إِنَّمَا الْحَيَاءُ ثَقَبٌ.
- ٣ - الْأَرْضُ مُتَحَرِّكَةٌ لَا ثَابِتَةٌ.
- ٤ - مَا الْأَرْضُ ثَابِتَةٌ بَلْ مُتَحَرِّكَةٌ.
- ٥ - مَا الْأَرْضُ ثَابِتَةٌ لَكِنْ مُتَحَرِّكَةٌ.
- ٦ - عَلَى الرِّجَالِ الْعَامِلِينَ نُثْنِي.

البحث :

إذا تأملت الأمثلة السابقة رأيت أن كل مثال منها يتضمن تخصيص أمر بآخر، فالمثال الأول يفيد تخصيص الفوز بالمُجدِّ، بمعنى أن الفوز خاصٌّ بالمُجدِّ لا ينعمده إلى سواه. والمثال الثاني يفيد تخصيص الحياة بالتعب، بمعنى أن الحياة وقُفَّتْ عَلَى التعب لا تفارقه إلى الراحة. وهكذا يقال في بقية الأمثلة.

وإذا أردت أن تعرف منشأ هذا التخصيص في الكلام، فكفاك أن تبحث في الأمثلة قليلاً. خذ المثال الأول مثلاً واحذف منه أداتي النفي والاستثناء، تجد أن التخصيص قد زال منه وكأنه لم يكن. إذاً النفي والاستثناء هما وسيلة التخصيص فيه، ويمثل هذه الطريقة تستطيع أن تدرك أن وسائل التخصيص في الأمثلة الباقية هي: إنما: والعطف بلا، أو بل، أو لكن، وتقديم ما حقه التأخير. ويُسمَّى علماء المعاني التخصيص المستفاد من هذه الوسائل بالقصر، ويسمون الوسائل تُقْسِمُهَا طرق القصر.

إرجع إلى الأمثلة مرة أخرى وابحث فيها واحداً واحداً: تجد المتكلم في المثال الأول يَقْصُرُ الفوز على المُجدِّ، فالفوز مقصور، والمُجدِّ مقصور عليه، وهما طرفا القصر. ولما كان الفوز صفة من الصفات والمُجدِّ هو الموصوف بهذه الصفة، كان

القصر في هذا المثال قصر صفة على موصوف، بمعنى أن الصفة لا تتعدى الموصوف إلى موصوف آخر. وتراه في المثال الثاني يَفْضُر الحياة على التعب، فالحياة مقصورة، والتعب مقصور عليه، ولما كانت الحياة موصوفة والتعب صفة لها، كان القصر في المثال قصر موصوف على صفة، بمعنى أن الموصوف لا يفارق صفة التعب إلى صفة الراحة، ولو أنك تدبّرت جميع أمثلة القصر ما ذكر منها هنا وما لم يُذكر، لوجدت كل مثال يشتمل على مقصور ومقصود عليه، ووجدت القصر لا يخلو عن حال من الحالين السابقين. فهو إما قصر صفة على موصوف، وإما قصر موصوف على صفة. وإذا أردت أن تعرف ضوابط تسهل عليك معرفة كل من المقصور والمقصود عليه في كل ما يرد عليك، فانظر إلى القواعد الآتية تجد ذلك مفصلاً.

القواعد

(٥٧) الْقَصْرُ تَخْصِيصُ أَمْرٍ بآخر بِطَرِيقٍ مُخْصُوصٍ.

(٥٨) طُرُقُ الْقَصْرِ الْمَشْهُورَةُ أَرْبَعٌ^(١):

١ - التَّفْيُ وَالْإِسْتِثْنَاءُ، وَهَذَا يَكُونُ الْمَقْصُورُ عَلَيْهِ مَا بَعْدَ أَذَاةِ الْإِسْتِثْنَاءِ.

ب - إِنَّمَا، وَيَكُونُ الْمَقْصُورُ عَلَيْهِ مُؤَخَّرًا وَجُوبًا.

ج - الْعَطْفُ بَلَا، أَوْ بَلْ، أَوْ لَكِنْ، فَإِنْ كَانَ الْعَطْفُ بَلًا كَانَ الْمَقْصُورُ عَلَيْهِ مُقَابِلًا لِمَا بَعْدَهَا، وَإِنْ كَانَ الْعَطْفُ بَلْ أَوْ لَكِنْ كَانَ الْمَقْصُورُ عَلَيْهِ مَا بَعْدَهُمَا.

د - تَقْدِيمُ مَا حَقُّهُ التَّأْخِيرُ. وَهَذَا يَكُونُ الْمَقْصُورُ عَلَيْهِ هُوَ الْمَقْدَمُ.

(٥٩) لِكُلِّ قَصْرٍ طَرَفَانِ: مَقْصُورٌ، وَمَقْصُودٌ عَلَيْهِ.

(٦٠) يَتَقَسَّمُ الْقَصْرُ بِإِغْتِيَابِ طَرَفَيْهِ قِسْمَيْنِ:

١ - قَصْرٌ صِفَةٍ عَلَى مَوْصُوفٍ.

ب - قَصْرٌ مَوْصُوفٍ عَلَى صِفَةٍ.

(١) هناك طرق للقصر غير هذه الأربع، منها ضمير الفصل نحو: علي هو الشجاع، ومنها التصريح بلفظ وحده أو ليس غير نحو: أكرمت محمداً وحده، ولكنها لا تعد من طرقه الاصطلاحية.

تقسيم القصر إلى حقيقي وإضافي

الأمثلة:

١ - لا يروى مضّر من الأنهار إلا النّيل.

٢ - إنّما الرّازق الله.

٣ - لا جواد إلا عليّ.

٤ - إنّما حسن شجاع.

البحث:

قدّمنا لك أن القصر ينقسم بحسب طرّفيه إلى قصر صفة على موصوف، وقصر موصوف على صفة، وهنا نريد أن نبين لك أنه ينقسم تقسيماً آخر باعتبار الحقيقة والواقع.

تأمل المثالين الأولين تجد القصر فيهما من باب قصر الصفة على الموصوف، وإذا تدبّرت الصفة في كل من المثالين وجدت أنها لا تفارق موصوفها إلى موصوف آخر مطلقاً، فإرواء الأرض المصرية في المثال الأول صفة لا تتجاوز النيل إلى غيره من سائر أنهار الدنيا، والرزق في المثال الثاني صفة لا تتعدى المولى عز وجل إلى سواه، ويُسمى القصر في هذين المثالين قصراً حقيقياً، وكذلك كل قصر يختص فيه المقصود بالمقصود عليه اختصاصاً منظوراً فيه إلى الحقيقة والواقع بألا يتعداه إلى غيره أصلاً.

انظر إلى المثالين الأخيرين تجد القصر في أولهما من باب قصر الصفة على الموصوف وفي ثانيهما من باب قصر الموصوف على الصفة، وإذا تدبّرت المقصود في كل منهما وجدته مختصاً بالمقصود عليه بالإضافة (أي بالنسبة) إلى شيء معين، لا إلى جميع ما عده، فإن المتكلم في المثال الأول يقصد أن يقصر صفة الجود على عليّ بالنسبة إلى شخص آخر معين كخالد مثلاً، وليس من قصده أن هذه الصفة لا توجد في غير عليّ من جميع أفراد الإنسان، فإن الواقع خلاف ذلك. وكذلك الحال في المثال الثاني، ولذلك يُسمى القصر في المثالين قصراً إضافياً، وكذلك كل قصر يكون التخصيص فيه بالإضافة إلى شيء آخر.

القاعدة

(٦٢) يَنْقَسِمُ الْقَصْرُ بِاِغْتِيَارِ الْحَقِيقَةِ وَالْوَاقِعِ بِسَمَتَيْنِ:

- ١ - حَقِيقَتِي^(١) وَهُوَ أَنْ يَخْتَصَّ الْمَقْصُورُ بِالْمَقْصُورِ عَلَيْهِ بِحَسَبِ الْحَقِيقَةِ وَالْوَاقِعِ بَلَاءً يَتَعَدَّاهُ إِلَى غَيْرِهِ أَصْلًا.
- ب - إِضَافَتِي^(٢) وَهُوَ مَا كَانَ الْاِخْتِصَاصُ فِيهِ بِحَسَبِ الْإِضَافَةِ إِلَى شَيْءٍ مُعَيَّنٍ^(٣).

نموذج (١)

يُبَيِّنُ فِيهَا بِأَنِّي نَوْعَ الْقَصْرِ وَعَيْنَ كُلِّهِ مِنَ الْمَقْصُورِ وَالْمَقْصُورِ عَلَيْهِ:

- ١ - قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْمُلْتَمُونَ﴾.
 - ٢ - قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ نَأْتِ أَوْ قُبِّلَ انْفَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ؟﴾
 - ٣ - قَالَ لَبِيد:
- وما الممرء إلا كالإلهال وضميره يُوافي تمام الشهر ثم يجيب
- ٤ - وقال ابن الرومي في الملاح:
- أشواؤه في رقاب الناس من يئس لا في الخزائن من عيني ومن نشب^(٤)

(١) القصر الحقيقي يكثر في قصة الصفة على الموصوف كما رأيت في الأمثلة، ولا يكاد يوجد في قصر الموصوف على الصفة.

(٢) القصر الإضافي يأتي كثيراً في كل من قصر الصفة على الموصوف وقصر الموصوف على الصفة كما رأيت في الأمثلة، وهو ميدان فيح لتنافس الكتاب والشعراء.

(٣) ينقسم القصر الإضافي باعتبار حال المخاطب ثلاثة أقسام، وذلك أنك إذا قلت الشجاع علي لا حسن مثلاً، فإن كان المخاطب يعتقد اشتراك علي وحسن في الشجاعة كان القصر «قصر أفراد»، وإن كان يعتقد عكس ما تقول كان القصر «قصر قلب»، وإن كان متردداً لا يدري أيهما الشجاع كان القصر «قصر تمين».

(٤) العين: الذهب والفضة، والنشب: المال، يقول: إنه ينفق أمواله في المنن التي يقلد بها أعتاق الرجال ولا يخزنها في خزانته.

٥ - وقال :

وما عجبنا وإنْ أَصْبَحْتَ تُعْجِبُنَا أَنْ نَجْتَنِي ذَهَباً مِنْ مَوْضِعِ الذَّهَبِ
لكن عجبنا لِعُرْفِي لَا نَكَافُهُ وَنُسْتَزِيدُكَ مِنْهُ أَكْثَرَ الْعَجَبِ

٦ - وقال العَطَمَشُ الضُّبِّيُّ^(١) :

إلى الله أَشْكُو لَا إِلَى النَّاسِ أَتْسِي أرى الأرضَ تُبْقِي والأجلاءَ تَذْهَبُ

الإجابة

الرقم	نوع القصر باعتبار طرفيه	نوعه باعتبار الواقع	طريق القصر	المقصود	المقصود عليه
١	صفة على موصوف	حقيقي	إنما	يخشى الله	العلماء
٢	موصوف على صفة	إضافي	النفي والاستثناء	محمد	رسول
٣	موصوف على صفة	إضافي	النفي والاستثناء	المرء	كونه كالهلال
٤	موصوف على صفة	إضافي	المعطف بلا	أمواله	كونها في رقاب الناس
٥	صفة على موصوف	إضافي	المعطف ولكن	عجبنا	لعرف لا نكافئه
٦	صفة على موصوف	إضافي	تقديم الجار والمجرور	أشكو	لفظ الجلالة

نَمُودَج (٢)

عَيْنُ الْمَقْصُورِ عَلَيْهِ فِي الْجَمْلَتَيْنِ الْآتِيَتَيْنِ، وَبَيِّنِ الْفَرْقَ بَيْنَهُمَا فِي الْمَعْنَى :

أ - إِنَّمَا يُدَافِعُ عَنْ أَحْسَابِكُمْ عَلَيَّ .

ب - إِنَّمَا عَلَيَّ يُدَافِعُ عَنْ أَحْسَابِكُمْ .

(١) شاعر جاهلي من شعراء الحماسة، والعطمش: الجائر الظالم.

الإجابة

١ - المقصور عليه في الجملة الأولى علي^(١) فالمتكلم يقول لمخاطبيه: علي وحده يستقل بالدفاع عن أحسابكم ولا يشترك معه في ذلك أحد. ومن الجائز أن تكون لعلي أعمال أخرى يخدمهم بها غير هذه المدافعة، كعمالة مرضاهم ومواساة فقرائهم.

ب - أما في الجملة الثانية فالمقصود عليه المدافعة، فعلي لا يقوم بسواها من الأعمال، على أنه من الجائز أن يشترك معه في الدفاع سواء. فأنت ترى أن الجملة الأولى أبلغ في مدح علي من وجهين: أما أولاً فلأنها تفيد أنه مستقل بالدفاع لا شريك له فيه، وأما ثانياً فلأنها لا تنفي أن له أعمالاً أخرى غير المدافعة.

تمرينات

(١)

بين نوع القصر، وطريقه، وعين كلاً من المقصور والمقصود عليه فيما يأتي:

١ - قال تعالى: ﴿إِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ (١).

٢ - وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (٢).

٣ - وقال ابن الرومي يمدح:

مَعْرُوفُهُ فِي جَمِيعِ النَّاسِ مُقْتَسَمٌ فَحَمْدُهُ فِي جَمِيعِ النَّاسِ لَا الْغُصْبُ^(٣)

٤ - وقال:

يَنْغَابِي لَهُمْ وَلَيْسَ لِمَوْقٍ بَلْ لِلْبِّ يَفُوقُ لُبَّ اللَّبِيبِ^(٤)

٥ - وقال:

يَهْتَزُّ عِظْفَاهُ عِنْدَ الْحَمْدِ يَسْمَعُهُ مِنْ هِزَّةِ الْمَجْدِ لَا مِنْ هِزَّةِ الطَّرَبِ^(٥)

(١) وذلك لأنك قد علمت أن المقصور عليه مع إنما يكون مؤخرًا وجوباً.

(٢) يقول: إن معروفه عام لجميع الناس لا خاص بطوائف بعينها.

(٣) يتخاى: يظهر الغباوة، والموق: الحق في غباوة، واللبي: العقل.

(٤) عطفاه: جانباه؛ يعني يميل يمينه ويساره.

٦ - وقال :

وما قلتُ إلا الحقَّ فبك ولمْ تزلْ على متهجٍ مِنْ سُنَّةِ الْمَجْدِ لاجِب^(١)

٧ - وقال ابن المعتز :

ألا إنما الدُّنْيَا بلاغٌ لغايةٍ فإِذَا إِلَى غَيٍّ وَإِذَا إِلَى رُشْدٍ

٨ - وقال :

وما العيشُ إلا مَدَّةٌ سَوْفَ تَنْقُضِي وما المالُ إلا هَالِكٌ وإِنْ هَالِكِ

٩ - وقال أبو الطيب :

برجاءِ جُودِكَ يُسْطَرِّدُ الْقَفَرُ وبأنْ تُعَادِي يَنْقُذُ الْعُمْرُ

١٠ - وقال :

لَيْسَ التَّعَجُّبُ مِنْ مَوَهِبِ مَالِهِ بَلْ مِنْ سَلَامَتِهَا إِلَى أَوْقَاتِهَا^(٢)

١١ - وقال تعالى : ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أَنِيبُ﴾ .

١٢ - إلى الله أشكو أن في النفس حاجةٌ تمرُّ بها الأيامُ وفي كما هبّا

١٣ - وقال أبو الطيب :

وإنما نحنُ في جيلٍ سوايِبةٍ شُرُّ عَلَى الْحَزْمِ مِنْ سُقْمٍ عَلَى بَذَنِ^(٣)

١٤ - راحلٌ أنت والليالي نزولٌ ومضرٌ بك البقاء الطويل

١٥ - وقال ابن الرومي :

وما يُرِيغُونَ بِالتُّعْمَى مُكَافَأَةً لَكِنْ يُقْضُونَ مَا لِلْمَجْدِ مِنْ أَرْبِ^(٤)

١٦ - وقال أبو العتاهية يمدح يزيد بن يزيد الشيباني^(٥) :

(١) المتهج : الطريق الواضح ، واللاحب : الطريق الواضح أيضاً .

(٢) يقول لا نتمجب من كثرة هباته ، وإنما نتمجب كيف بقيت أمواله وسلمت من التفريق إلى أوقات بذلها إذ ليس من عاداته أن يمسك شيئاً .

(٣) الجيل : الصنف من الناس ، وسوايية بمعنى متساوين وهو خاص بالذم أي متساوين في اللوم والخسة ، وشر : اسم تفضيل بمعنى أشر .

(٤) يقول : لا يطلبون جزاء على نعمهم ولكنهم يقضون واجب المجد .

(٥) قائد شجاع . كان والياً بأرمينية ، وندبه هارون الرشيد لقتال الوليد بن طريف عظيم الخوارج في عهده فقتله يزيد وعاد إلى أرمينية ، وتوفي سنة ١٨٥هـ ، ورثاه شعراء كثيرون .

كَأَنَّكَ عِنْدَ الْكَرِّ وَالْحَرْبِ إِنَّمَا تَفَرُّ مِنَ الصَّفِّ الَّذِي بَيْنَ وَرَائِكَ
فَمَا آفَةُ الْأَبْطَالِ غَيْرَكَ فِي الْوَعَى وَمَا آفَةُ الْأَمْوَالِ غَيْرَ جِبَائِكَ
١٧ - وقال أبو تمام:

عَلَى مِثْلِهَا مِنْ أَرْبَعٍ وَمَلَايِبٍ تُذَالُ مَصُونَاتُ الدُمُوعِ السَّوَائِبِ^(١)

(٢)

عَيْنُ الْمُقْصُورِ عَلَيْهِ فِي الْجَمْلِ الْآتِيَةِ، وَبَيْنَ الْفَرْقِ بَيْنَهَا فِي الْمَعْنَى:

- أ - إِنَّمَا يَجِبُ عَلَيَّ السَّابِحَةُ فِي الصَّبَاحِ.
- ب - إِنَّمَا يَحِبُّ السَّابِحَةُ فِي الصَّبَاحِ عَلَيَّ.
- ج - إِنَّمَا يَحِبُّ عَلَيَّ فِي الصَّبَاحِ السَّابِحَةُ.

(٣)

أَيُّ الْجَمْلَتَيْنِ أَبْلَغُ فِي مَدْحِ سَعِيدٍ؟ وَضَعِ السَّبَبَ.

- أ - إِنَّمَا يَجِيدُ الْخِطَابَةَ سَعِيدٌ.
- ب - إِنَّمَا سَعِيدٌ يَجِيدُ الْخِطَابَةَ.

(٤)

اجْعَلِ الْجَمْلَ الْآتِيَةَ مُفِيدَةً لِلْقَصْرِ، ثُمَّ بَيِّنْ نَوْعَ الْقَصْرِ وَطَرِيقَهُ:

- ١ - الْفَرَاغُ مُفْسِدَةٌ. ٦ - طُولُ التَّجَارِبِ زِيَادَةٌ فِي الْعَقْلِ.
- ٢ - بَرَكَهُ الْمَالِ فِي آدَاءِ الزَّكَاةِ. ٧ - يَذُومُ السَّرُورَ بِرُؤْيَا الْإِخْوَانِ.
- ٣ - السَّلَامَةُ فِي التَّأْنِي. ٨ - غَدْرُكَ مَنْ دَلَّكَ عَلَى الْإِسَاءَةِ.
- ٤ - صِدَاقَةُ الْجَاهِلِ تَعَبٌ. ٩ - يَسُودُ الْمَرْءُ قَوْمَهُ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ.
- ٥ - سَكْتُ عَنِ الشَّفِيهِ. ١٠ - وَضَعُ الْإِحْسَانِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ ظُلْمٌ.

(١) الأربع جمع ربيع وهو المنزل، والملاعب: أمكنة لعب الناس أو هبوب الرياح، وتذال: تهان.

(٥)

ما يَسُرُّ الوَالِدَيْنِ إِلَّا نَجَابَةُ الْأَبْنَاءِ.

متى يكون القصر في هذه الجملة قصر قلب؟ ومتى يكون قصر أفراد؟ ومتى يكون قصر تعيين؟

(٦)

١ - اجعل الجمل الآتية دالة على قصر صفة على موصوف من غير أن تزيد على كلماتها شيئاً: تَخْتَرُمُ الْعَالِمُ الْعَامِلَ.

٢ - اجعل الجملة الآتية دالة على القصر واستخدم في ذلك طرق القصر التي تعرفها: مَلِلْنَا صُخْبَةَ الْجُهَالِ.

٣ - عِنْدَ الْبَلَاءِ يُغْرِفُ الصَّدِيقُ.

اجعل الجملة السابقة دالة على القصر مرة من طريق التثني والاستثناء، ومرة من طريق العطف.

(٧)

رَدُّ بِأَسْلُوبٍ مِنْ أَسَالِيبِ الْقَصْرِ عَلَى مَنْ اعْتَقَدَ أَنَّ الْأَرْضَ ثَابِتَةً، ثُمَّ بَيَّنَّ نَوْعَ الْقَصْرِ وَطَرِيقَهُ فِي الْجُمْلَةِ الَّتِي تَأْتِي بِهَا.

(٨)

وَضَحَّ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ الْقِصَّةُ الْآتِيَّةُ مِنْ أَنْوَاعِ الْقَصْرِ، وَطَرِيقِهِ، وَبَيَّنَّ الْمَقْصُورَ وَالْمَقْصُورَ عَلَيْهِ فِي كُلِّ جُمْلَةٍ فِيهَا قَصْرٌ:

رَزَمَ الْعَرَبُ أَنَّ أَرْزَنِيَا التَّقَطَّتْ ثَمَرَةً فَاخْتَلَسَهَا الثُّعْلُبُ فَأَكَلَهَا، فَانْطَلَقَا يَخْتَصِمَانِ إِلَى الضُّبِّ، فَقَالَتِ الْأَرْزَبُ: يَا أَبَا الْجَسَلِ^(١)؛ فَقَالَ: سَمِيعاً دَعَوْتُ؛ قَالَتْ: أَتَيْنَاكَ نَخْتَصِمُ؛ قَالَ: عَادَلاً حَكَمْتُمَا؛ قَالَتْ: فَاخْرُجْ إِلَيْنَا؛ قَالَ: فِي بَيْتِهِ يُؤْتَى الْحُكْمُ^(٢)؛

(١) أبو الحسل: كنية الضب.

(٢) الحكم: الذي يحكم بين الناس.

قالت إني وجدت ثمرة؛ قال: حلوة فكلوها؛ قالت: فاخترلسها ثعالة^(١)؛ قال: لنفسه
 بنى الخير؛ قالت: فلطمته لطمه، قال: بحقك أخذت؛ قالت: فلطمني أخرى؛ قال:
 حر انتصر؛ قالت: فاقض بيننا؛ قال: قد فعلت.
 فذهبت أقواله كلها أمثالا.

(٩)

- ١ - هات جملتين لقصر الصفة على الموصوف بحيث يكون في الأولى حقيقيا وفي الثانية إضافيا.
- ٢ - هات جملتين لقصر الموصوف على الصفة بحيث يكون القصر فيهما إضافيا.
- ٣ - مثل لكل طريق من طرق القصر بمثالين يكون المقصور عليه في أولهما صفة، وفي ثانيهما موصوفاً.
- ٤ - هات مثالين لقصر الموصوف على الصفة بحيث يكون طريق القصر في أولهما العطف بيل، وفي ثانيهما العطف بلكن.

(١٠)

إشرح البيتين الآتين وبين نوع القصر وطريقه فيهما، وهما لأبي الطيب في مدح
 أبي شجاع فاتك^(٢):
 لا يذكرك المجذ إلا سيد فطرن لما يشق على السادات فعال^(٣)
 لا وارث جهلت يمناه ما وهبت ولا كسوب بغير السيف سأل

(١) ثعالة: لقب الثعلب.

(٢) هو فاتك الكبير المعروف بالمجنون، كان رومياً أخذه الإخشيد كرهاً من سيده بلا ثمن، وأعطاه وأبقاه عنده حرّاً في عداد مماليكه، وكان كريم النفس بعيد الهمّة شجاعاً كثير الإقدام، ولذلك قيل له المجنون، ولما مات الإخشيد انتقل إلى القيوم فاعتل بها جسمه وأحوجته الحلة إلى الانتقال إلى مصر، فالتقى فيها بأبي الطيب المتنبي ووصله بالهدايا النفيسة وسمع مدائحه، وتوفي سنة ٥٣٥٠هـ.

(٣) يشق: يصعب، والسادات: جمع سادة، جمع سيد.

الْفَضْلُ وَالْوَضْلُ

(١) مَوَاضِعُ الْفَضْلِ

الأمثلة:

١ - قال أبو العليب:

وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا مِنْ رُؤَاةٍ قُضَايِدِي إِذَا قُلْتُ شَيْعَرًا أَصْبَحَ الدَّهْرُ مُنْبِذًا^(١)

٢ - وقال أبو العلاء:

السَّاسُ لِلنَّاسِ مِنْ بَذْرِ وَحَاضِرَةٍ بَغْضٍ لِبَعْضٍ وَإِنْ لَمْ يَشْعُرُوا خَدَمَ^(٢)

٣ - وقال تعالى: ﴿يَذَرُ الْأَمْرَ مُعْجِلٌ آتٍ لَكُمْ يَلْقَاكُمْ تَهْتِفُونَ﴾.

٤ - وقال أبو العتاهية:

يَا صَاحِبَ الدُّنْيَا الْمُجِبُّ لَهَا أَتَيْتَ الَّذِي لَا يَنْقُضِي تَعْبُهُ

٥ - وقال آخر:

وَأَيْمًا الْمَرْءُ بِأَصْمَرَيْنِهِ كُلُّ امْرِئٍ زَهْنٌ بِمَا لَذْبُهُ^(٣)

٦ - وقال أبو تمام:

لَيْسَ الْجَنَابُ بِمَقْصِدٍ عِنْدَ لِي أَمَلًا إِنَّ السَّمَاءَ تُرْجَى حِينَ تَحْتَجِبُ^(٤)

(١) يقول: إن الدهر من جملة شعري، وذلك لأن السنة الناس جميعاً تتناقله في كل وقت، فكان الدهر إنسان يشد قصائدي ويروها.

(٢) البدو: البادية، والحاضرة: ضد البادية وهي المدن والقرى والريف، يقال فلان من أهل الحاضرة وفلان من أهل البادية، ومعنى البيت أن الناس لا بد لهم من التعاون فلا يتهاى لإنسان أن يستقل في هذه الحياة بشؤون نفسه.

(٣) الأصفران: القلب واللسان، ورهن بما لديه: يجازى بما عمل.

(٤) المراد بالحنجاب احتجاب الممدوح عن قصاده، ومقص: مبدع، وتحتجب: تخفي تحت الغيوم.

البحث :

يقصد علماء المعاني بكلمة «الوصل» عطف جملة على أخرى «بالواو»^(١) كقول الأبيزدي يخاطب الدهر :

العَبْدُ رِيَّانٌ مِنْ نِعْمَى تَجُودُ بِهَا وَالْحَرُّ مُلْتَهَبُ الْأَحْشَاءِ مِنْ ظَمَلٍ^(٢)

ويقصدون بالفصل ترك هذا العطف، كقول المعري :

لَا تُطْلَبُنْ بِأَلَةٍ لَكَ حَاجَةٌ قَلَمُ الْبَلِغِ بِغَيْرِ حَظٍّ يَفْزَلُ

هذا ولكل من الفصل والوصل مواطن تدعو إليها الحاجة ويقتضيها المقام، وسنبداً لك بمواطن الفصل :

تأمل أمثلة الطائفة الأولى تجد بين الجملة الأولى والثانية في كل مثال تالفاً تائفاً، فالجملة الثانية في المثال الأول، وهي «إِذَا قُلْتُ شَيْعراً أَصْبَحَ الدَّهْرُ مُنْشِداً» لم تجيء إلا تأكيداً للأولى، وهي جملة «وما الدهر إلا من رِوَاةٍ قِصَائِلِي»، فإن معنى الجملتين واحد. والجملة الثانية في المثال الثاني «بَعْضٌ لِبَعْضٍ وَإِنْ لَمْ يَشْعُرُوا خِدمٌ»، ما جاء إلا لإيضاح الأولى «النَّاسُ لِلنَّاسِ مِنْ بَدْوٍ وَحَاضِرَةٍ»، فهي بيان لها، والجملة الثانية في المثال الثالث جزء من معنى الأولى؛ لأن تفصيل الآيات بعض من تدبير الأمور، فهي بدلٌ منها. ولا شك أنك لَحَظْتَ أَنَّ الجملة الثانية مفصلة عن الأولى في كل مثال من الأمثلة الثلاثة، ولا سر لهذا الفصل سوى ما بينهما من تمام التآلف وكمال الاتحاد^(٣). ولذا يقال إن بين الجملتين كمال الاتصال.

تأمل مثالي الطائفة الثانية تجد الأمر على العكس، فإن بين الجملة الأولى والثانية في كل مثال منتهى التباين وغاية الابتعاد، فإنهما في المثال الرابع مختلفان خبراً وإنشاءً. وهذا جلي واضح. أما في المثال الخامس فلأنه لا مناسبة بينهما مطلقاً إذ لا رابطة في المعنى

(١) إنما قصر علماء المعاني عنايتهم في هذا الباب على البحث في عطف الجمل «بالواو» دون بقية حروف العطف؛ لأنها هي الأداة التي تخفي الحاجة إليها، ويحتاج العطف بها إلى لطف في الفهم ودقة في الإدراك، إذ إنها لا تدل إلا على مطلق الجمع والاشتراك، أما غيرها من حروف العطف فتفيد معاني زائدة، كالترتيب مع التعقيب في الفاء، والترتيب مع التراخي في ثم، وهلم جزاً، ومن أجل ذلك سهل إدراك مواطنها.

(٢) الريان: ضد الظمان، والنمى: النعمة.

(٣) لأن الجملة الثانية هنا إما أن تكون بمعنى الأولى أو بمنزلة الجزء منها كما رأيت، وهذا يقتضي ترك العطف لأن الشيء لا يعطف على نفسه، والجزء لا يعطف على كله.

بين قوله: «وإنما المرء بأصغريه» وقوله: «كل امرئ رهن بما لديه»، وهنا تجد الجملة الثانية في كل من المثالين مفصولة عن الأولى، ولا سر لذلك إلا كمال التباين وشدة التباعد^(١)، ولذلك يقال في هذا الموضع إن بين الجملتين كمال الانقطاع.

انظر إلى المثال الأخير تر أن الجملة الثانية فيه قوية الرابطة بالجملة الأولى؛ لأنها جواب عن سؤال نشأ من الأولى، فكأن أبا تمام بعد أن نطق بالشطر الأول توهم أن سائلاً سأله، كيف لا يحول حجاب الأمير بينك وبين تحقيق آمالك؟ فأجاب: «إن السماء ترجى حين تحتجب» فأنت ترى أن الجملة الثانية مفصولة عن الأولى، ولا سر لهذا الفصل إلا قوة الرابطة بين الجملتين، فإن الجواب شديد الارتباط والاتصال بالسؤال فأشبهت الحال هنا من بعض الوجوه حال كمال الاتصال التي تقدمت، ولذلك يقال إن بين الجملتين شبه كمال الاتصال.

القواعد

(٦٢) الوَصلُ عَظْفُ جُمْلَةٍ عَلَى أُخْرَى بِالْوَاوِ، وَالْفَضْلُ تَرْكُ هَذَا الْعَظْفِ، وَلِكُلِّ مِنْ الْفَضْلِ وَالْوَصْلِ مَوَاضِعٌ خَاصَّةٌ.

(٦٣) يَجِبُ الْفَضْلُ بَيْنَ الْجُمْلَتَيْنِ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ:

١ - أَنْ يَكُونَ بَيْنَهُمَا اتِّحَادٌ تَامٌ، وَذَلِكَ بِأَنْ تَكُونَ الْجُمْلَةُ الثَّانِيَةُ تَوْكِيداً لِلأُولَى، أَوْ بَيَاناً لَهَا، أَوْ بَدَلاً مِنْهَا، وَيُقَالُ جِيئَ بِهِ إِنْ بَيَّنَّ الْجُمْلَتَيْنِ كَمَالَ الْإِتِّصَالِ.

ب - أَنْ يَكُونَ بَيْنَهُمَا تَبَايُنٌ تَامٌ، وَذَلِكَ بِأَنْ تَخْتَلِفَا خَبِراً وَإِنْشَاءً، أَوْ بِأَلَّا تَكُونَ بَيْنَهُمَا مُنَاسَبَةٌ مَا، وَيُقَالُ جِيئَ بِهِ إِنْ بَيَّنَّ الْجُمْلَتَيْنِ كَمَالَ الْإِتِّصَالِ.

ج - أَنْ تَكُونَ الثَّانِيَةُ جَوَاباً عَنْ سُؤَالٍ يُفْهَمُ مِنَ الْأُولَى، وَيُقَالُ جِيئَ بِهِ إِنْ بَيَّنَّ الْجُمْلَتَيْنِ شِبْهَ كَمَالَ الْإِتِّصَالِ^(٢).

(١) إنما وجب ترك العطف هنا لأن العطف يكون للجمع بين الشيئين والربط بينهما. ولا يكون ذلك في المعنيين إذا كان بينهما غاية التباين.

(٢) ذهب بعض المتأخرين من علماء المعاني إلى زيادة موضعين للفصل على المواضع التي ذكرناها، ولكن هذين الموضعين عند التأمل يمكن ردهما إلى الموضع الثالث.

(٢) مواضع الوصل

الأمثلة:

١ - قال أبو العلاء المعري:

وَحُبُّ الْغَيْثِ أَغْبَدَ كُلَّ حُرٍّ وَعَلِمَ سَاغِباً أَكَلَ الْمُرَارَ^(١)

٢ - وقال أبو الطيب:

وَلِلْمَرْءِ مِثْيَ مَوْضِعٍ لَا يَنَالُهُ نَدِيمٌ وَلَا يُفْضِي إِلَيْهِ شَرَابُ^(٢)

٣ - وقال:

يُثْمَرُ اللَّجُّ عَنْ سَاقِهِ وَيَتَمَرُّهُ الْمَوْجُ فِي السَّاجِلِ^(٣)

٤ - وقال بشار بن برد:

وَأَذِنَ إِلَى الْقُرْبَى الْمُفْرَزَبِ نَفْسَهُ وَلَا تُشْهَدُ الشُّوزَى امْرَأً غَيْرَ كَاتِمٍ^(٤)

٥ - لا يبارك الله فيك: (تجيب بذلك من قال: هل لك حاجة أساعدك في قضائها).

٦ - لا ولطف الله به: (تجيب بذلك من قال: هل أبل أخوك من علته؟).

البحث:

تأمل الجملتين «أَغْبَدَ كُلَّ حُرٍّ» و«عَلِمَ سَاغِباً أَكَلَ الْمُرَارَ» في البيت الأول، نجد أن للأولى منهما موضعاً من الأعراب لأنها خبر للمبتدأ قبلها، وأن القائل أراد إشراك

(١) الساغب: الجائع، والمرار: شجر مر، يقول: إن حب الحياة يجعل الحر عبداً ويضطر الإنسان إلى احتمال الأذى.

(٢) التديم: الجلوس على الشراب، ويفضي: ينتهي، يقول: إنه كتوم للسر يضعه حيث لا يطلع عليه التديم ولا يكشف عنه الشراب.

(٣) اللج: معظم الماء، والبيت مثل يضرب لمن تحدثه أطعمته بإدراك المطالب العظيمة وهو يعجز عن السيرة.

(٤) يقول: قرب من يتقرب إليك بعقله وكماله، ولا تستشر أمام من لا يكتم الأسرار.

الثانية لها في هذا الحكم الإعرابي . وتأمل الجملتين : «لا يناله نديم» و«لا يُفْضِي إليه شراب» في البيت الثاني، تجد أن للأولى أيضاً موضعاً من الإعراب لأنها صفة للنكرة قبلها، وأنه أريد إشراك الثانية لها في هذا الحكم، وإذا تأملت الجملة الثانية في كل من البيتين وجدتها معطوفة على الجملة الأولى موصولة بها . وكذلك يجب الوصل بين كل جملتين جاءتا على هذا النحو .

انظر في البيت الثالث إلى الجملتين : «يُسْمَرُ لِلْجُحِّ عَنْ سَاقِهِ» و«يَغْمُرُهُ المَوْجُ فِي السَّاحِلِ» تجدهما متحدتين خبراً متناسبتين في المعنى^(١) وليس هناك من سبب يقتضي الفصل ولذلك عطفت الثانية على الأولى ، والمثال الرابع كذلك مكون من جملتين متحدتين إنشاءً هما : «أَذِنَ» و«لا تشهد» وهما متناسبتان في المعنى وليس هناك من سبب يقتضي الفصل ولذلك عطفت الثانية على الأولى ، وهكذا يجب الوصل بين كل جملتين اتحدتا خبراً أو إنشاءً وتناسبتا في المعنى ولم يكن هناك ما يقتضي الفصل بينهما .

انظر في المثال الخامس إلى الجملتين : «لَا» و«بارك الله فيك» تجد أن الأولى خبرية^(٢) ، والثانية إنشائية^(٣) . وأنت لو فصلت فقلت : «لَا بَارَكَ اللهُ فِيكَ» لتوهم السامع أنك تدعو عليه في حين أنك تقصد الدعاء له ، ولذلك وجب العدول عن الفصل إلى الوصل . وكذلك الحال في جملتي المثال الأخير ، وفي كل جملتين اختلفتا خبراً وإنشاءً وكان ترك العطف بينهما يوهم خلاف المقصود .

القاعدة

(٦٤) يَجِبُ الْوَصْلُ بَيْنَ الْجُمْلَتَيْنِ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ :

١ - إِذَا قُصِدَ إِشْرَاكُهُمَا فِي الْحُكْمِ الْإِعْرَابِيِّ .

ب - إِذَا اتَّفَقَتَا خَبَرًا أَوْ إِنْشَاءً وَكَانَتْ بَيْنَهُمَا مُنَاسَبَةٌ تَامَّةٌ ، وَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ سَبَبٌ يَقْتَضِي الْفَصْلَ بَيْنَهُمَا .

ج - إِذَا اخْتَلَفَا خَبَرًا وَإِنْشَاءً وَأَوْهَمَ الْفَصْلُ خِلَافَ الْمَقْصُودِ .

(١) يراد بالتناسب أن يكون بين الجملتين رابطة تجمع بينهما كأن يكون المسند إليه في الأولى له تعلق بالمسند في الثانية ، وكان يكون المسند في الأولى مماثلاً للمسند في الثانية أو مضاداً له .

(٢) «لَا» في هذا الموضع قائمة مقام جملة خبرية إذ التقدير «لا حاجة لي» وكذلك يقال .

(٣) جملة «بارك الله فيك» خبرية لفظاً إنشائية معنى ، والعبرة بالمعنى .

نموذج

لبیان مواضع الوصل والفصل فيما يأتي مع ذكر السبب في كل مثال:

- ١ - قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مَوَاءَ عَلَيْهِمْ أُنْدَانُهُمْ أَنَّمْ لَمْ تُنْزِلْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.
- ٢ - وقال الأحنف بن قيس: لا وفاء لكذوب ولا راحة لحسود.
- ٣ - وقال تعالى: ﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ (١) قَالُوا لَا تَخَفْ.
- ٤ - وجاء في الجحيم: كفى بالثيب داء. صلاح الإنسان في حفظ اللسان.
- ٥ - وينسب للإمام علي كرم الله وجهه: دع الإسراف مقتصدًا، واذكر في اليوم غداً، وأنيك من المال بقدر ضرورتك، وقدم الفضل ليوم حاجتك.
- ٦ - ولأبي بكر رضي الله عنه: أيها الناس، إني وليت عليكم ولست بخيركم.
- ٧ - وقال أبو الطيب:
- إن نسيب الزمان تغرّفني أنا الذي طال غجمها عودي (٢)
- ٨ - لا وكفيت شرها (تجيب بذلك من قال: أذقبت الحنى عن المريض؟).
- ٩ - قال تعالى: ﴿أَمَذُّرُ بِنَا تَعْلَمُونَ﴾ (٣) أَمَذُّرُ بِأَمْنٍ وَبَيْنَ (٤) وَتَحَنُّوْا وَتُؤْمِنُونَ (٥).
- ١٠ - وقال أبو المتاهية:
- قد يُدْرِكُ الرَّاقِدُ السَّهَادِي بِرُقْدَتِهِ وقد يخيب أخو الرُّوحَاتِ والدَّلَجِ (٦)
- ١١ - وقال الغزني يشكو الناس:
- يُضْدَوْنَ فِي الْبِأْسَاءِ مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ وَيَمْتَنِلُونَ الْأَمْرَ وَالنَّهْيَ فِي الْخَفْضِ (٧)

(١) أوجس منهم خيفة: أحسن منهم خوفاً.

(٢) عجم المود: عظه ليعرف أصلب هو أم رخو، يقول: قد طالعت صحبتي للزمان وقد جربني وعرف صلابتي وصبري على نوابه.

(٣) الروحات: جمع روحة اسم بمعنى الرواح وهو السير آخر النهار من راح يروح ضد غدا يقدو: والدلج: جمع دلجة من أدلج إذا سار من أول الليل: يقول قد يدرك القاعد مطالبه ويخيب المجد الساعي.

(٤) البأساء: الشدة، والخفض: الدعة والنعيم.

١٢ - وقال أبو العلاء المعري:

لا يُعْجِبُكَ إقبالُ يَربِكَ سناً إنَّ الخُمُودَ لعَمري غايَةُ الضَّرَمِ^(١)

١٣ - يقولون إني أخجل الضيم عندهم أعودُ برُئي أن يُضامَ نظيري^(٢)

١٤ - وقال تعالى: ﴿يُسْأَلُونَكَ سَوْءَ الْمَذَلِ^(٣) يُذْخِرُونَ آيَاتَكُمْ﴾.

١٥ - وقال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْوَحْيِ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۖ﴾.

الإجابة

١ - فصل بين الجملتين، جملة: سواء عليهما أأنذرتهم أم لم تنذرهم، وجملة لا يؤمنون، لأن بينهما كمال الاتصال؛ إذ إن الثانية لا تؤكد للأولى.

٢ - وصل بين الجملتين لاتفاقهما خبراً وتناسبهما في المعنى. ولأنه لا يوجد هناك ما يقتضي الفصل.

٣ - فصلت جملة «قالوا» عن جملة «وأوجس منهم خيفة» لأن بينهما شبه كمال الاتصال، إذ الثانية جواب لسؤال يفهم من الأولى، كأن سائلاً سأل: فماذا قالوا له حين رأوه وقد داخله الخوف؟ فأجيب «قالوا لا تخف».

٤ - فصل بين الجملتين لأن بينهما كمال الانقطاع؛ إذ لا مناسبة في المعنى بين الجملة الأولى والجملة الثانية.

٥ - وصل بين الجملتين لاتفاقهما إنشاء مع وجود المناسبة، ولأنه لا يوجد هناك سبب يقتضي الفصل.

٦ - فصل بين الجملتين: «أيها الناس» و«إني وليت عليكم» لاختلافهما خبراً وإنشاء فبينهما كمال الانقطاع، ووصل بين الجملتين: «وليت عليكم» و«ولست بخيركم» لأنه أريد إشراكهما في الحكم الإعرابي إذ كلتاها في محل رفع، وإذا كانت الواو للحال فلا وصل.

(١) السنا: ضوء البرق، وخمود النار: سكون لهما، والضرم: اشتعال النار والتهابها.

(٢) الضيم: الذل.

(٣) يسألونكم سوء المذاب: يحملونكم إياه.

- ٧ - فصل بين شطري البيت؛ لأن الثاني منهما جواب عن سؤال نشأ من الأولى، فيبينهما شبه كمال الاتصال.
- ٨ - وصل بين جمعتي لا، وكفيت، لاختلافهما خبراً وإنشاء، وفي الفصل إبهام خلاف المقصود، فيبينهما كمال الانقطاع مع الإبهام.
- ٩ - بين جملة ﴿أَنْذَرُ بِمَا قَلَّمُونَ﴾ وجملة ﴿أَنْذَرُ بِأَشْوَرِ وَبَيْنَ ۞ وَخَنَتِ وَعُيُونُ﴾. كمال الاتصال؛ فإن الثانية منهما بدل بعض من الأولى، إذ الأنعام والبنون والجنات والعيون بعض ما يعلمون.
- ١٠ - ووصل أبو العتاهية بين الجملتين لأنهما اتفقتا في الخبرية، وبينهما مناسبة تامة، وليس هناك ما يقتضي الفصل.
- ١١ - كذلك وصل الغزّي بين شطري البيت لما تقدم.
- ١٢ - وفصل أبو العلاء بين شطري البيت لأن بينهما كمال الانقطاع؛ إذ الجملتان مختلفتان خبراً وإنشاء.
- ١٣ - بين جملة «يقولون إني أحمل الضيم» وجملة «أعوذ بربي أن يضام نظيري» شبه كمال الاتصال لأن الثانية جواب عن سؤال نشأ من الأولى، فكأن الشاعر بعد أن أتى بالشرط الأول من البيت أحس أن سائلاً يقول له: «وهل ما يقولونه من أنك تتحمل الضيم صحيح؟» فأجاب بالشرط الثاني.
- ١٤ - بين جملة: ﴿يَسْأَلُكُمْ سَوْءَ السَّأَلِ﴾ وجملة ﴿يُذَيِّقُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ كمال الاتصال فإن الثانية منهما بدل بعض من الأولى.
- ١٥ - فصل الله تعالى بين الجملتين في الآية الكريمة لأن بينهما كمال الاتصال فإن الجملة الثانية بيان للأولى.

تمرينات

(١)

يبين مواضع الوصل والفصل فيما يأتي ووضح السبب في كل مثال:

١ - قال بعض الحكماء: القَبْدُ خُرٌّ إِذَا قُبِعَ، والحر عبد إذا طمع.

٢ - وقال ابن الرومي:

فَذِ يَسْبِقُ الْخَيْرَ طَالِبَ عَجَلٍ وَيَرْفُقُ الشَّرَّ مُنْعِنًا هَرَبُهُ^(١)
 ٣ - وقال أبو الطيب:

الرأي قبل شجاعة الشُّجْعَانِ هُوَ أَوَّلُ وَفِي الْمَحَلِّ الثَّانِي
 ٤ - وخطب الحجاج فقال: اللَّهُمَّ ارْنِي الْغِيَّ غَيًّا فَأُجَنِّبَهُ، وَارْنِي الْهُدَى هُدًى
 فَأَتَّبِعَهُ، وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي فَأُضِلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا.

٥ - وقال الشريف الرضي في الرثاء:
 أَعْلِمْتُ مَنْ حَمَلُوا عَلَى الْأَعْوَادِ أَعْلِمْتُ كَيْفَ خَبَا ضِيَاءُ النَّادِي^(٢)
 ٦ - قال حسان بن ثابت الأنصاري:

أَصُونُ عِرْضِي بِمَالِي لَا أَدْنُسُهُ لَا بَارَكَ اللَّهُ بَعْدَ الْعِرْضِ فِي الْمَالِ^(٣)
 أَخْشَالُ لِلْمَالِ إِنْ أُوْدِيَ فَأُكْجِبُهُ وَلَسْتُ لِلْعِرْضِ إِنْ أُوْدِيَ بِمُخْثَالِ^(٤)
 ٧ - وقال النابغة الذبياني يرنى أخاه من أمه:

خَسِبَ الْخَلِيلِينَ نَأَى الْأَرْضِ بَيْنَهُمَا هَذَا عَلَيْهَا وَهَذَا تَحْتَهَا بِالِي^(٥)
 ٨ - وقال الطُّفْرَائِيُّ:

بَا وَارِدًا سُورَ عَيْشٍ كُلُّهُ كَدَرٌ أَنْعَقْتُ عُمْرَكَ فِي أَيَّامِكَ الْأَوَّلِ^(٦)
 ٩ - لا الدَّمْعُ غَاضٌ وَلَا فَوَازُكَ سَالِي نَزَلَ الْجِمَامُ عَرِينَةَ الرُّثْبَالِ^(٧)

(١) يرهقه: يفتشه ويلحقه، والممعن في الشيء: المبعد، يقول: كثيراً ما يفوت الخير من هو شديد الحرص في طلبه، ويقع في الشر من يهرب منه.

(٢) الأعواد: جمع عيد والمراد بها النعش، وخبا الغيباء: انطفأ.

(٣) العرض بالكسر: النفس وقيل الحساب وهو ما بعده الإنسان من مفاخر أيامه، يقول: إني أصون نفسي عما يدنسها ببذل ما أملكه من المال.

(٤) أودى: تلف؛ يقول: إن المال إذا تلف استطعت العمل لكسبه ثانية، أما العرض إذا تدنس فلا أستطيع تطهيره من الدنس الذي لحقه.

(٥) حسب الخليلين: أي كفاهما، والثاني: البعد، والبالى: الممزق الأعضاء، يقول: كفاني وأخي حيلولة الأرض بيننا، فأنا حي فوقها وهو بالي الجسم تحتها، وهذا نهاية البعد.

(٦) سور العيش: بقيته.

(٧) الجمام: الموت، والعريئة: ماوى الأسد، والرثال: الأسد.

١٠ - وقالت زينب بنت الطثيرة^(١) ترني أخاها:

وقد كان يزوي المشرفي بكفه ويبلغ أقصى خجرة الحني نائله^(٢)

١١ - وقال أبو الطيب:

أعز مكان في الدنيا سرج سابح وخير جليس في الزمان كتاب^(٣)

١٢ - العين عبري والثقوس صوادي مات الحجا وقضى جلال الشادي^(٤)

١٣ - وقال رجل من بني أسد في الهجاء:

لا تحسب المجد ثمراً أنت آكله لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا^(٥)

١٤ - وقال عماره اليمني^(٦):

وغدز الفتى في عهده ووفائه وغدز المواضي في ثبو المضارب^(٧)

١٥ - قال تعالى في قصة فرعون ورد موسى عليه السلام: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ۚ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ۚ قَالُوا لَنْ نَحْمِلَهُ إِلَّا تَمْتَرِينَ ۚ قَالُوا زُرْنَا بِهِ إِنَّنَا مِنَ الْآمِنِينَ ۚ﴾.

١٦ - وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْنَا وَلَئِنْ كُنَّا لَنَرُّهُم بِسَمْعِهِمْ لَأَنْ يَذُنُوهُ وَفَرًا ۖ﴾^(٨).

(١) أبوها الصمة، والطثيرة أمها، وزيد أخوها، وهي شاعرة مجيدة من شواهر الإسلام، ولها في أخيها يزيد مراث جيدة.

(٢) المشرفي: السيف، الحجرة: الناحية، النائل: المطاء تقول: إنه كان عظيم البأس كثير الجود.

(٣) الدنيا: جمع دنيا، السابح: الفرس السريع الجري، يقول: سرج الفرس أعز مكان؛ لأن صاحبه يجاهد عليه في طلب المعالي، والكتاب خير جليس لأنه مأمون الأذى.

(٤) عبري: باكية، الصوادي: جمع صادية أي ظمأى، الحجا: العقل، قضى: مات.

(٥) الصبر بكسر الباء: عصاة شجر مر، يقول: لا تظن أن طريق المجد سهل يسلكه أمثالك، كلا، إن دون المجد صعباً لا يتغلب عليها إلا ذوو الهمم العالية.

(٦) مؤرخ ثقة وشاعر فقيه أديب، قدم مصر سنة ٥٥٠هـ فأحسن الفاطميون إليه فأقام عندهم ومدحهم ولم يزل موالياً لهم حتى دالت دولتهم، ثم تأمر هو وسبعة من المصريين على مقاومة السلطان صلاح الدين، فصلبه معهم سنة ٥٦٩هـ وله ديوان شعر كبير.

(٧) المواضي: السيوف الفاطمة، نبو المضارب: عدم قطعها.

(٨) الوقر: الثقل في السمع.

(٢)

لِمَ يَعيِبُ الناسَ المعطفَ في الشطر الثاني من أبي تمام؟
 لا والذي مُو عَالِمٌ أَنَّ النَوَى صَبِرَ وَأَنَّ أَبَا الحُسَيْنِ كَرِيمٌ
 ٢ - لِمَ يَحْسُنُ أَنْ نقول: عليّ خطيبٌ وسعيد شاعر، ويقبح أَنْ نقول: علي مريض
 وسعيد عالم؟

(٣)

- ١ - هات ثلاثة أمثلة للجمل المفصول بينها لكمال الاتصال، واستوفِ المواضع الثلاثة التي يظهر فيها هذا الكمال.
- ٢ - هات مثالين للجمل المفصول بينها لشبه كمال الاتصال.
- ٣ - هات مثالين للجمل المفصول بينها لكمال الانقطاع.

(٤)

- ١ - مثل بمثالين لكل موضع من مواضع الوصل.

(٥)

انثر البيتين الآتين وبين سبب ما فيهما من فصل ووصل، وهما لأبي الطيب في مدح سيف الدولة:

يَا مَنْ يُقْتَلُ مَنْ أَرَادَ بِسَيْفِهِ أَصْبَحْتُ مِنْ قَتْلِكَ بِالْإِحْسَانِ
 فَإِذَا رَأَيْتُكَ حَارَ دُونِكَ نَاطِرِي وَإِذَا مَدَخْتُكَ حَارَ فَيْكَ لِإِسَانِي

الإيجاز والإطناب والمساواة

(١) المساواة

الأمثلة:

- ١ - قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَأْتِيَكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَحْدُثُ عِنْدَ اللَّهِ﴾.
- ٢ - وقال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيْقُ الْكَفُّ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾^(١).
- ٣ - وقال النابغة الذبياني:
فإنك كالليل الذي هو مُدركي وإن جئت أُن المشتأى عنك واسع^(٢)
- ٤ - وقال طرفة بن العبد:
سُتُبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً وياتيك بالأخبار من لم تُزود^(٣)

البحث:

يختار البليغ للتعبير عما في نفسه طريقاً من طرق ثلاث؛ فهو تارة يُوجزُ، وتارة يُشهبُ، وتارة يأتي بالعبرة بينَ بَينَ، على حسب ما تقتضيه حالُ المخاطب ويدعو إليه موطنُ الخطاب، ونريد هنا أن نشرح هذه الطرق الثلاث، وسنبداً بالمساواة لأنها الأصل المقيس عليه.

(١) يحق: من قولهم حاق به الشيء إذا أحاط به.

(٢) المشتأى: موضع البعد وهو اسم مكان من انتأى عنه أي بعد: يخاطب النابغة الذبياني النعمان بن المنذر ويشبهه في حال سخطه بالليل في أنه يعم كل موطن، وذلك لسمه ملك النعمان وبسطة نفوذه فلا يفلت منه أحد.

(٣) من لم تزود: أي من لم تعطه زاداً، والزاد: طعام المسافر، يقول: إن عشت فستعلمك الأيام ما لم تكن تعلم، وياتيك بالأخبار من لم توجهه في طلبها.

تأمل الأمثلة المتقدمة تجد الألفاظ فيها بقدر المعاني، وأنتك لو حاولت أن تزيد فيها لفظاً لجاءت الزيادة فضلاً، أو أردت إسقاط كلمة لكان ذلك إخلالاً، فالألفاظ في كل مثال مساوية للمعاني، ولذلك يُسمى أداء الكلام على هذا النحو مساواة.

القاعدة

(٧٥) الْمُسَاوَاةُ أَنْ تَكُونَ الْمَعْنَى بِقَدْرِ الْأَلْفَاظِ، وَالْأَلْفَاظُ بِقَدْرِ الْمَعْنَى، لَا يَزِيدُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ.

(٢) الإيجازُ

- ١ - قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْفَتْهُ وَالْأَنْزُ﴾.
- ٢ - وقال ﷺ: «الضَّعِيفُ أَمِيرُ الرُّكْبِ»^(١).
- ٣ - وقيل لأعرابي يسوق مالا^(٢) كثيراً: لِمَنْ هَذَا الْمَالُ؟ فقال: لله في يدي.

* * *

- ٤ - قال تعالى: ﴿وَبَيَّاهُ رَيْكُكَ وَالْمَلَكُ صَفًا صَفًا﴾.
- ٥ - وقال تعالى: ﴿قَبْ وَالْقَرَّانِ الْمَجِيدِ بَلْ عَجَبًا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾.
- ٦ - وقال تعالى في حكاية موسى عليه السلام مع ابنتي شُعَيْبٍ: ﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾^(٣) لَمَّا تَوَلَّى إِتَدَّهُمَا نَتَيْسُ عَلَى أَسْتَحْيَاوْ قَالَتْ لِمَكْ أَيِ يَدْعُوكَ لِيَجْزِيكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾.

البحث:

تأمل أمثلة الطائفة الأولى تجد أن ألفاظها في كل مثال على قلتها جمعت معاني كثيرة متزاحمة، فالمثال الأول نضمن كلمتين اشتوعبتا جميع الأشياء والشؤون على

(١) الركب: جماعة المسافرين.

(٢) المال: كل ما ملكته، ويطلق عند الأعراب على الإبل.

وجوه الاستقصاء، حتى لقد رُوِيَ أن ابن عُمر رضي الله عنه قرأها فقال: مَنْ بقي له شيء فليطلبه. والمثال الثاني آية في البلاغة والحسن، فقد جمع من آداب السفر والعطف على الضعيف ما لا يسهل على البليغ أن يُعبّر عنه إلا بالقول المُسَهَّب الطويل. وكذلك الحال في المثال الثالث. وهذا الأسلوب من الكلام يسمى إيجازاً. ولما كان مدار الإيجاز هنا على اتساع الألفاظ القليلة للمعاني المتكاثرة والأغراض المتزاحمة، لا على حذف بعض كلمات أو جمل، سمي إيجازاً قَصْر.

تأمل أمثلة الطائفة الثانية تجد أنها مُوجِزةٌ أيضاً، وإذا أردت أن تُعرف سِرُّ الإيجاز فيها فانظر إلى المثال الأول تجد أنه قد حُذف منه كلمة، إذ تقدير الكلام فيه وجاء أمر ربك، وانظر إلى المثال الثاني تجد أنه حُذف منه جملة هي جواب القسم، إذ تقدير الكلام ﴿قَدْ وَالْقُرْآنِ الْكَاسِي﴾ لَتُبْعَثُنَّ. أما المثال الثالث فالمحذوف فيه جُمْل عدة، ونظم الكلام من غير حذف أن يقال: فَذَهَبْنَا إِلَى أَبِيهَما، وَقَضْنَا عَلَيْهِ ما كان من أمر موسى، فَأرسل إليه، ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا كُنْتُمْ فِيهِ رَبَّنَا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ الْمُسْلِمِينَ﴾.

ولما كان سبب الإيجاز في هذه الأمثلة هو الحذف سُمي إيجازاً حذف ويشترط في هذا النوع من الإيجاز أن يقوم دليل على المحذوف، وإلا كان الحذف ريشاً والكلام غير مقبول.

القاعدة

(٦٦) الإِيجَازُ جَمْعُ الْمَعْنَايِ الْمُتَكَاثِرَةِ تَحْتَ اللَّفْظِ الْقَلِيلِ مَعَ الْإِبَانَةِ وَالْإِفْصَاحِ، وَهُوَ نَوْعَانِ:

أ - إيجازٌ قَصْر، ويكونُ بتَضْيِيقِ الْعِبَارَاتِ الْقَصِيرَةِ مَعْنَايِ قَصِيرَةٍ مِنْ غَيْرِ حَذْفٍ.

ب - إيجازٌ حَذْف، ويكونُ بِحَذْفِ كَلِمَةٍ^(١) أَوْ جُمْلَةٍ أَوْ أَكْثَرٍ مَعَ قُرِينَةٍ تُعَيِّنُ الْمَحْذُوفَ.

(١) الكلمة المحذوفة إما حرف، وإما فعل، وإما اسم، والاسم المحذوف قد يكون مضافاً، أو موصوفاً، أو صفة.

نُموذج

لبيان نوع الإيجاز في العبارات الآتية:

- ١ - قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَأْمَنُوا﴾.
- ٢ - وقال تعالى: ﴿تَاللَّهِ تَفْتَنُوا تَذَكَّرُ يُونُسُ﴾.
- ٣ - وقال تعالى: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا نَعَمًا وَرَهَقَهَا ۝١٦﴾.
- ٤ - وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ أَسْوَدَتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾.
- ٥ - وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ خَلِّمَ بِهِ السَّمَوَاتُ بَلْ يَلَوِ الْأَمْرُ جِيعًا﴾.
- ٦ - وقال أبو الطيب:
- ٧ - أُنسى الزَّمانُ بشؤهُ في شبيبتيهِ فسرهم وأتيناها على الهرم^(١).
أكلت فاكهة وماء.

الإجابة

- ١ - في الآية إيجاز قصر؛ لأن كلمة «الأمَن» يدخل تحتها كل أمر محبوب، فقد انتفى بها أن يخافوا فقراً، أو موتاً، أو جوراً، أو زوال نعمة، أو غير ذلك من أصناف المكروه.
- ٢ - في الآية إيجاز حذف، لأن المعنى ﴿تَاللَّهِ تَفْتَنُوا تَذَكَّرُ يُونُسُ﴾ فحذف حرف النفي.
- ٣ - في الآية إيجاز قصر؛ فقد دلَّ الله سبحانه بكلمتين على جميع ما أخرجه من الأرض قوتاً ومتاعاً للناس من العُشب والشجر والحطب واللِّباس والنار والماء.
- ٤ - في الآية إيجاز حذف، فقد حُذف جوابُ أمَّا، وأصل الكلام «فيقال لهم أكفرتُم بعد إيمانكم».
- ٥ - في الآية إيجاز بحذف جواب لو، إذ تقدير الكلام لكان هذا القرآن.

(١) يقول: إن بني الزمان من الأمم السالفة جاؤوا في حلة الدهر فرهم، ونحن أتيناها وقد هرم فلم يبق عنده ما يسرنا به.

٦ - في البيت إيجاز بحذف جملة: والتقدير وأتيناها على الهرم فساءنا.

٧ - في العبارة إيجاز بحذف جملة، إذ التقدير وشربت ماء.

تمرينات

(١)

يُبين نوع الإيجاز فيما يأتي ووضح السبب:

١ - قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَدَعَبَ كُلِّ لَدَمٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾.

٢ - وقال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾^(١).

٣ - وقال عليه الصلاة والسلام: «إن من البيان لسيحراً».

٤ - وقال تعالى في وصف الجنة: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾.

٥ - وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ﴾^(٢).

٦ - وقال تعالى: ﴿وَلَنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾.

٧ - وقال ﷺ: «الطمع فقر والبأس غنى».

٨ - وقال علي كرم الله وجهه: «آلة الرياسة سعة الصدر».

٩ - وَتُسَبُّ لِلْمُؤْمَلِ:

وإن هو لم يخجل على النفس ضيمها فليس إلى خسن الشئ سبيل^(٣)

١٠ - وقال تعالى في وصف انتهاء حادثة الطوفان: ﴿فَقِيلَ يَكَادُ أُنْجِي مَاءُكَ وَتَسْمَأُ﴾.

أَقْلَعِي وَغِيصَ الْمَاءُ وَفُتِيَ الْأَمْرُ وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ^(٤).

(١) خذ العفو: أي خذ الميسور من أخلاق الرجال ولا تنقص عليهم.

(٢) الخطاب للنبي ﷺ. يقول له: لو ترى حال الكفار عند الموت لرأيتها مزعجة. ومعنى قوله فلا قوت: فلا مهرب لهم من العذاب.

(٣) يقول: إذا كان المرء لا يصبر النفس على مكارهاها لم يكن هناك سبيل إلى اكتسابه الحمد.

(٤) أقْلَعِي: كفي من المطر، وغِيصَ الماء: نضب، والجودي: جبل بأرض الجزيرة استوت عليه سفينة نوح عليه السلام عند انتهاء الطوفان.

(٢)

- يُبَيِّن جمال الإيجاز فيما يأتي واذكر من أي نوع هو:
- ١ - كتب طاهر بن الحسين إلى المأمون وكان واليه على عُماله بعد هزومه عسكر علي بن عيسى بن ماهان^(١) وقتله إياه:
 - كتابي إلى أمير المؤمنين، ورأس علي بن عيسى بن ماهان بين يدي، وخاتمة في يدي، وعسكره مصروف تحت أمري والسلام.
 - ٢ - وخطب زياد^(٢) فقال: أيها الناس لا يمنعنكم سوء ما تعلمون عنا أن تَنْتَفِعُوا بأحسن ما تسمعون منا.

(٣)

- يُبَيِّن ما في التوقعات^(٣) الآتية من جمال الإيجاز:
- ١ - رَفَعَ أبو جعفر المنصور في شكوى قوم من عاملهم:
 - كما تكونوا يُؤْمَرُ عليكم^(٤).
 - ٢ - وكتب إليه صاحب بضر بنقصان النيل فوقع:
 - طَهَّرَ عسكرك من الفساد يَغِيظُكَ النيلُ القياد^(٥).
 - ٣ - ووقع على كتاب لعامله على جَمْعٍ وقد كَثُرَ فيه الخطأ:
 - استَبْدِلْ بكاتبك، وإلا استَبْدِلْ بك^(٦).

(١) علي بن عيسى بن ماهان من كبار القادة في عصر الرشيد والأمين، وهو الذي حرَّض الأمين على خلع المأمون من ولاية العهد، وسيَّره الأمين لقتال المأمون بجيش كبير فقتله طاهر بن الحسين قائد جيش المأمون سنة ١٩٥هـ.

(٢) أمير خطيب مصفَع، وهو من القادة الفاتحين، والولاية الدعاة، أسلم في عهد أبي بكر رضي الله عنه، ثم ألحقه معاوية بنسبه فكان عضده الأقوى، وولاه البصرة والكوفة وسائر العراق، وتوفي سنة ٥٣هـ.

(٣) التوقيع: رأي الحاكم يكتبه على ما يعرض عليه من شؤون الدولة.

(٤) أمره عليهم: جعله أميراً.

(٥) القياد: حبل يقاد به.

(٦) أي اتخذ مكان كاتبك كاتباً آخر. وإلا أقيم مكانك عامل آخر.

- ٤ - وكتب إليه صاحب الهند أن جُنداً شغبوا عليه^(١) وكسروا أقفال بيت المال، فوقع: لو عدلت لم يشغبوا، ولو وقيت لم يشهبوا^(٢).
- ٥ - ووقع هارون الرشيد إلى صاحب خراسان: داوٍ جُرحك لا يتع.
- ٦ - ووقع في قصة البرامكة: أثبتتهم الطاعة، وحصدتهم المعصية.
- ٧ - وكتب إبراهيم بن المهدي في كلام للمأمون: إن عفوت بففضلك، وإن أخذت فبحقك. فوقع المأمون: القُدرة تُذهبُ الحفيظة^(٣).
- ٨ - ووقع زياد بن أبيه في قصة مُنظلم: كُتيت.
- ٩ - ووقع جعفر بن يحيى^(٤) لعامل كثرت الشكوى منه: كثر شاكوك، وقل شاكوك، فإما عدلت، وإما اغترلت.
- ١٠ - ووقع في قصة مجوس: العذل أوقعه، والتوبة تُطْلِقه.

(٤)

اقرأ الحكاية الآتية وبيّن وجه الإيجاز ونوعه فيما يعرض فيها من أمثال:

كان لرجل من الأعراب اسمه ضَبَّةُ ابنان. يقال لأحدهما سعد وللآخر سُعيد، فنَفَرَتْ إبل لضبة ففترق ابناه في طلبها، فوجدها سعد فردّها، ومضى سُعيد في طلبها، فلقيه الحارث بن كعب، وكان على الغلام بُردان؛ فسأله الحارث إياهما فأبى عليه فقتله وأخذ برديه؛ فكان ضَبَّةُ إذا أمسى ورأى تحت الليل سواداً قال: أسعد أم سُعيد؟ فذهب قوله مثلاً يُضرب في النجاح والخيبة، ثم مكث ضبة بعد ذلك ما شاء الله أن يمكث، ثم إنه حج فوافى عكاظَ فلقي بها الحارث بن كعب، ورأى عليه بُردِي ابنه سُعيد، فعرفهما، فقال له: هل أنت مخبري ما هذان البردان اللذان عليك؟ قال:

(١) الشغب: تهيج الشر.

(٢) الانتهاب: النهب والأخذ.

(٣) الحفيظة: الحمية والغضب.

(٤) هو أحد مشهوري البرامكة ومقدميهم، ولد في بنداود ونشأ بها، ثم استوزره هارون الرشيد وألّفى إليه مقاليد الدولة. فانقاد له الأمور، وما زال كذلك حتى غضب الرشيد على البرامكة فقتله في جملتهم سنة ١٧٨هـ وهو أحد الموصوفين بفصاحة المنطق وبلاغه القول وكرم اليد والنفس.

لقيت غلاماً وهما عليه فسألت إياهما فأبى عليّ فقتلته وأخذتهما، فقال ضبة: سيفك هذا؟ قال: نعم، قال: أرنيه فإنني أظنه صارماً؛ فأعطاه الحارث سيفه، فلما أخذه هزّه وقال: الحديث ذو شُجون^(١) ثم ضربه به فقتله، فقيل له يا ضبة: أفي الشهر الحرام؟ فقال: سبق السيّف العذل^(٢). فهو أوّل مَنْ سارت عنه هذه الأمثال الثلاثة.

(٥)

- ١ - هاتِ ثلاثة أمثلة لإيجاز القِصَرِ وبيّن وجه الإيجاز في كل منها.
- ٢ - هاتِ ثلاثة أمثلة لإيجاز الحذف. بحيث يكون المحذوف في المثال الأول كلمة وفي الثاني جملة، وفي الثالث أكثر من جملة، وبيّن المحذوف في كل مثال.

(٦)

بيّن ما في قول أبي تمام في المديح من بلاغة وإيجاز:
ولو صوّرتْ نَفْسَكَ لَمْ تَرِدْهَا عَلَى مَا فِيكَ مِنْ كَرَمِ الطَّبَاعِ

(٣) الإِطْنَاب

البحث:

- ١ - قال تعالى: ﴿نَزَّلُ الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحَ فِيهَا﴾^(٣).

- ٢ - وقال تعالى: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتَ مُوسَى وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾.

- ٣ - وقال: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَتُولَاهُ مَقْطُوعٌ مُصْحِحِينَ﴾^(٤).

- ٤ - وقال عترة بن شداد في بعض روايات معلقته:

(١) أي ذو طرق، الواحد شجن، يضرب هذا المثل في الحديث يتذكر به غيره.

(٢) العذل: الملامة.

(٣) الروح: جبريل عليه السلام.

يَذْعُرُونَ عَثَرَ وَالرَّمَاخَ كَأَنَّهُمَا أَشْطَانُ بَرٍّ فِي لَبَانٍ الْأَدَمِ^(١)
يَذْعُرُونَ عَثَرَ وَالسُّيُوفَ كَأَنَّهُمَا لَمْعُ الْبَرَوَاقِ فِي سَحَابٍ مُظْلِمٍ

* * *

٥ - وقال النابغة الجعدي^(٢):

أَلَا زَعَنْتَ بَرُّو سَفْدٍ بَأْتِي - أَلَا كَذَبُوا - كَبِيرُ السَّنِ فَإِنِّي

* * *

٦ - وقال الحطيئة:

تَزُورُ فَتَى يُعْطِي عَلَى الْحَمْدِ مَالَهُ وَمَنْ يُغْطِ أَثْمَانَ الْمَحَامِدِ يُحْمَدِ

٧ - وقال ابن نباتة السعدي^٤:

لَمْ يُبْسَقْ جُودُكَ لِي شَيْئاً أَوْمَلُهُ تَرَكْتَنِي أَصْحَبُ الدُّنْيَا بِلَا أَمَلٍ

* * *

٨ - وقال ابن المعتز يصف فرساً:

صَبَبْنَا عَلَيْهَا - ظَالِمِينَ - سَيَاطِنًا قَطَارَتْ بِهَا أَيْدٍ يَسْرَاعٍ وَأَزْجَلِ

البحث:

عرفت فيما سبق معنى الإيجاز؛ ونريد هنا أن نشرح لك نوعاً آخر من الأساليب يقابله ويُضاده فتزيد فيه الألفاظ على المعاني لغرض بلاغي.

تأمل المثال الأول تجد لفظ «الروح» فيه زائداً، لأن معناه داخل في عموم اللفظ المذكور قبله وهو الملائكة، وانظر في المثال الثاني تجد أن لفظ «لي ولوالدي» زائد أيضاً، لدخول معناه في عموم المؤمنين والمؤمنات، وكذلك يشتمل كل مثال من الأمثلة الباقية على زيادة لفظية ستعرفها فيما يأتي، وسترى أيضاً أن هذه الزيادة لم تجىء عبثاً، وإنما جاءت للإظافة من اللطائف البلاغية التي تزيد قيمة الكلام وترفع من معانيه، وأداء الكلام على هذا الوجه يُسمى إطناباً.

ارجع إلى الأمثلة وابحث فيها واحداً واحداً تجد طرق الإطناب فيها مختلفة: فطريقه في المثال الأول ذكر الخاص بعد العام، فقد خَصَّ الله سبحانه وتعالى الروح

(١) أشطان البئر: حياله، ولبان الأدم: صدر الفرس.

(٢) هو حسان بن قيس الجعدي، شاعر قديم معمر أدرك الجاهلية والإسلام، وأسلم وحسن إسلامه وأنشد النبي ﷺ فأعجب به وقال له: لا يفضض الله فاك.

بالذكر وهو جبريل مع أنه داخل في عموم الملائكة تكريماً له وتعظيماً لشأنه كأنه جنس آخر، ففائدة الزيادة هنا التنويه بشأن الخاص.

وطريقه في المثال الثاني ذكر العام بعد الخاص، فقد ذكر الله سبحانه المؤمنين والمؤمنات وهما لفظان عامان يدخل في عمومهما من ذكر قبل ذلك، والغرض من هذه الزيادة إفادة الشمول مع العناية بالخاص لذكره مرتين، مرة وحده، ومرة مندرجاً تحت العام.

وطريقه في المثال الثالث الإيضاح بعد الإبهام فإن قوله تعالى: ﴿أَنْتَ كَارِهُ مَقُولَ مَقْطُوعٍ مُّشْجِينٍ﴾ إيضاح للإبهام الذي تضمنه لفظ «الأمر» وذلك لزيادة تقرير المعنى في ذهن السامع بذكره مرتين، مرة على طريق الإجمال والإبهام، ومرة على طريق الإيضاح والتفصيل.

وطريقه في بيتي عترة التكرار لتقرير المعنى في نفس السامع وتثبيته، ويظهر هذا الغرض في الخطابة، وفي موطن الفخر والمدح والإرشاد والإنذار، وقد يكون التكرار لدواعٍ أخرى، منها التحسر كما في قول الحسين بن مطير^(١) يرثي مغل بن زائدة:

فِيَا قُبْرَ مَغْنٍ أَنْتَ أَوَّلُ حُفْرَةٍ مِنْ الْأَرْضِ خُطِّتْ لِلشَّامَةِ مَوْضِعاً^(٢)
وَيَا قُبْرَ مَعْنٍ كَيْفَ وَارِثَتْ جُودَهُ وَقَدْ كَانَ مِنْهُ الْبَرْ وَالْبَحْرُ مَثَرَعاً

ومنها طول الفصل كما في قول الشاعر:

لَقَدْ عَلِمَ الْحَيَّ الْيَمَانُونَ أَنْسِي إِذَا قُلْتُ أَمَّا بَعْدُ أَنَسِي خَطِيبُهَا^(٣)

وطريقه في المثال الخامس الاعتراض، وهو أن يؤتى في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين في المعنى بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب لغرض يقصد إليه البليغ، فجملة «ألا كذبوا» قد جاءت في بيت النابغة بين اسم إن وخبرها للإسراع إلى التنبيه على كذب من رماه بالكبر، وقد يكون من أغراض الاعتراض الإسراع إلى التنزيه، نحو: إن الله - تبارك وتعالى - لطيف بعباده، وقد يكون للدعاء نحو إني - وراك الله - مريض.

وطريقه في المثالين السادس والسابع التذليل، وهو تعقيب الجملة بجملة أخرى

(١) شاعر عاش في الدولتين الأموية والعباسية، وله مدائح في رجالهما، وكان من أحسن أهل البادية زياً وكلاماً، وتوفي سنة ١٦٩ هـ بعد مغل بن زائدة وله رثاء فيه.

(٢) خطت للشامعة موضعاً: أي اتخذت لتكون موضعاً للكرم والجود.

(٣) اليمانون: المنسوبون إلى اليمن.

تشتمل على معناها توكيداً لها، فإن المعنى في كلا البيتين قد تمّ في الشطر الأول، ثم دُوِّل بالشطر الثاني للتوكيد. وإذا تأملت التذييل في المثالين وجدت بينهما بعض الخلاف. وذلك أن التذييل في المثال الأول مستقلٌ بمعناه لا يتوقف فهمه على فهم ما قبله، ويقال له إنه جار مجرى المثل، أما في المثال الثاني فهو غير مستقل بمعناه إذ لا يفهم الغرض منه إلا بمعونة ما قبله، ويقال لهذا النوع إنه غير جار مجرى المثل.

تأمل المثل الأخير تجد أننا لو أسقطنا منه كلمة «ظالمين» لتوهم السامع أن فرس ابن المعتر كانت بليدة تستحق الضرب، وهذا خلاف المقصود، وتسمى هذه الزيادة في البيت احتراضاً، وكذلك كل زيادة تجيء لدفع ما يؤهمه الكلام مما ليس مقصوداً.

القاعدة

(٦٧) الإطنابُ زيادةُ اللَّفْظِ عَلَى الْمَعْنَى لِغَايَةِ^(١)، وَيَكُونُ بِأُمُورٍ عِدَّةٍ مِنْهَا:

- أ - ذِكْرُ الْخَاصِّ بَعْدَ الْعَامِّ لِلتَّيْبِيهِ عَلَى فَضْلِ الْخَاصِّ.
- ب - ذِكْرُ الْعَامِّ بَعْدَ الْخَاصِّ لِإِفَادَةِ الْعُمُومِ مَعَ الْعَيْنَايَةِ بِشَأْنِ الْخَاصِّ.
- ج - الْإِيضَاحُ بَعْدَ الْإِبْهَامِ، لِتَقْرِيرِ الْمَعْنَى فِي ذَهْنِ السَّامِعِ.
- د - التَّكَرُّارُ لِدَّاعٍ: كَتَمْكِينِ الْمَعْنَى مِنَ النَفْسِ، وَكَالتَّحْسُرِ، وَكَطَوِيلِ الْفَضْلِ.
- هـ - الْإِعْتِرَاضُ، وَهُوَ أَنْ يُؤْتَى فِي أَثْنَاءِ الْكَلَامِ أَوْ بَيْنَ كَلَامَيْنِ مُتَّصِلَيْنِ فِي الْمَعْنَى بِجُمْلَةٍ أَوْ أَكْثَرَ لَا مَحَلَّ لَهَا مِنَ الْإِعْرَابِ^(٢).
- و - التَّنْذِيلُ، وَهُوَ تَعْقِيبُ الْجُمْلَةِ بِجُمْلَةٍ أُخْرَى تُشْتَمِلُ عَلَى مَعْنَاهَا تَوْكِيداً لَهَا، وَهُوَ قِسْمَانِ:

- ١ - جَارٍ مَجْرَى الْمَثَلِ إِنْ أَسْتَقْلَلَ مَعْنَاهُ وَأَسْتَعْنَى عَمَّا قَبْلَهُ.

(١) فإذا لم تكن في الزيادة فائدة سميت «تطويلاً» إن كانت الزيادة غير متعينة، «وحشواً» إن كانت متعينة، فالتطويل كما في قول عنترة بن شداد:

حببت من طلل تقادم عهده أقوى وأفسر بمد أم الهبشم
والحشو كما في قول زهير بن أبي سلمى:

واعلم علم اليوم والأمس قبله ولكنني عن علم ما في غد عمي

(٢) ويجب أن يكون البليغ في الاعتراض غرض يرمي إليه غير دفع الإبهام، فإن كان الغرض دفع الإبهام كان احتراضاً.

٢ - غَيْرَ جَارٍ مَجْرَى الْمَثَلِ إِنْ لَمْ يَسْتَعْنِ عَمَّا قَبْلَهُ.

ز - الإحتراس، وَتَكُونُ جَيْئًا يَأْتِي المتكلمُ بِمَعْنَى يُنْكِرُ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْهِ فِيهِ لَوْحٌ، فَيَقْطَعُ لَذَلِكَ وَيَأْتِي بِمَا يُخْلَصُهُ مِنْهُ.

نُموذج

يُبين نوع الإطناب فيما يأتي:

١ - قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ يَقَابِلُونَ ﴿٧﴾ أَوْ آمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا سَهْيًا وَهُمْ يُلْعَبُونَ ﴿٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾﴾.

٢ - وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِشَرِّ مِنْ قَبْلِكَ الْخَلْدَ أَفَلَا يَنْتَفِعُونَ مِنْهُمُ الْفَالِقُونَ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴿١﴾﴾.

٣ - وقال أبو الطيب:

إِنِّي أَصَاحِبُ جِلْمِي وَهُوَ بِي كَرَمٌ وَلَا أَصَاحِبُ جِلْمِي وَهُوَ بِي جُبْنٌ
٤ - وقال النابغة الجعدي يهجو:

لَوْ أَنَّ الْبَاسِخِلِينَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ رَأَوْكَ تَعَلَّمُوا مِنْكَ الْمِطَالَ
٥ - وقالت أعرابية لرجل: كَبَتْ اللَّهُ كُلَّ عَدُوِّكَ إِلَّا نَفْسَكَ.

٦ - وقال تعالى: ﴿أَمَذَّكَرٌ بِمَا تَعْلَمُونَ أَمَذَّكَرٌ بِأَمْنِهِ وَبَيْنَ ﴿١٧﴾﴾.

الإجابة

١ - في الآية إطناب بالتكرار في مفرض الإنذار لتقرير المعنى في نفوس السامعين.

٢ - في الآية إطناب بالتذييل في موضعين: أولهما قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْتَفِعُونَ مِنْهُمُ الْفَالِقُونَ﴾، وهذا تذييل لم يجز مجرى المثل، والثاني قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ وهو جار مجزى المثل.

٣ - في البيت إطناب بالاحتراس في موضعين: أولهما في الشطر الأول بذكر وهو بي كرم، وثانيهما في الشطر الثاني بذكر وهو بي جبن.

٤ - في البيت إطناب بالاعتراض. فقد جاءت جملة: «وأنت منهم» معترضة بين

اسم إن وخبرها للإسراع إلى ذم المخاطب.

٥ - هنا إطناب بالاحتراس، لأن نفس الإنسان تجري مجرى العدو له، فإنها تدعوه إلى ما يؤبّه.

٦ - في الآية إطناب بالإيضاح بعد الإيهام فإن ذكر الأنعام والبنين توضيح لما أُبهم قبل ذلك في قوله: «بِمَا تَكْفُرُونَ».

تعمينات

(١)

وضّح الغرض من التكرار في كل مثال من الأمثلة الآتية:

١ - قال بعض شعراء الحماسة:

إلى مغبدن العزّ المؤثّل والنّدى هناك هناك الفضل والخلق الجزل^(١)

٢ - وقالت أغرابيّة تزني ولديها:

يا من أحسن بُنيي اللّذين هما كالذرّتين تشظى عنهما الصّد^(٢)

يا من أحسن بُنيي اللّذين هما سمعي وطزني فطرني اليوم مختطف^(٣)

٣ - وقال عمرو بن كلثوم^(٤) في معلقته:

بأيّ مبينة عمرو بن هند^(٥) نكون لقيلىكم فيها قطبنا^(٦)

(١) معدن العز: موطنه ومركزه، والمؤثّل: المؤصل والمعظم، والخلق الجزل: الطبع القوي الكريم.

(٢) تشظى الصّد: تطاير شظاياها، والشظايا جمع شظية: وهي الفلقة من العصا ونحوها.

(٣) الطرف: البصر.

(٤) شاعر جاهلي وهو من فحول الشعراء في الجاهلية ومن فرسانهم وأشرافهم، وهو صاحب المعلقة التي أولها «ألا هني بصحكنا فاصبحنا».

(٥) هو ملك الحيرة وكان جباراً عنيداً لا يرى في الناس من يدانيه في الشرف والمنزلة، وقد أراد أن يستذل عمرو بن كلثوم باتخاذ أمه وصيفة لأمه، فثار الحمية في قلب عمرو بن كلثوم فجزّده سيفاً وضرب الملك قتلته.

(٦) القيل: الملك دون الملك الأعظم وجمعه أقيال، والقطين: الخدم، يقول: كيف تطمع أن تكون خدماً لمن وليت علينا من الأمراء على ما تعلم من عزنا.

بأي مشيئة عمرو بن هند تُطيعُ بنا الوُشاةُ وتُزدرينا^(١)
 ٤ - قال تعالى: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۚ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۚ﴾.

(٢)

يُبَيِّنُ مواطن الاعتراض وفائدته في الأمثلة الآتية:

- ١ - قال العباس بن الأحنف:
 إِنَّ تَمَ ذَا الْهَجْرُ يَا ظَلُومُ وَلَا تَمَ فَمَا لِي فِي الْعَيْشِ مِنْ أَرْبٍ^(٢)
 ٢ - وقال أبو الفتح البستي^(٣):
 إِذَا حَمِذَ الْكَرِيمُ صَبَاحَ يَوْمٍ وَأَتَى ذَاكَ لَمْ يَحْمَدْ مَسَاءً^(٤)
 ٣ - وقال أبو خراش الهذلي^(٥) يذكر أخاه عُرْوَةَ:
 نَقُولُ أَرَاهُ بِغَدِ عُرْوَةَ لَا هَيْبًا وَذَلِكَ رُزْءٌ لَوْ عَلِمْتَ جَلِيلُ
 فَلَا تَحْسَبِي أَنِّي تَنَاسَيْتُ عَهْدَهُ وَلَكِنْ صَبْرِي يَا أُمَيْمُ جَمِيلُ^(٦)
 ٤ - وأعلم فاعلم المزمع ينقمة أَنْ سَوْفَ بِأَيِّي كُلِّ مَا قُدِرَا^(٧)

(٣)

يُبَيِّنُ مواطن التذليل ونوعه في كل مثال من الأمثلة الآتية:

- ١ - قال أبو تمام يُعْزِي الخليفة في ابنه:

-
- (١) يقول: كيف تطيع الرُشاةَ فينا وتحتقرنا على ما تعلم من قلة صبرنا على احتمال الضيم.
 - (٢) ظلوم: اسم امرأة.
 - (٣) شاعر عصره وكاتبه، نسب إلى بوست (قرب سجستان) وقد ولي كتابة ديوانها، ثم انتقل إلى بخارى فمات فيها سنة ٤١٠ هـ، وله ديوان شعر.
 - (٤) يقول: إن الدهر قلب لا يدم على حال، فإذا سر إنساناً في صباح يومه أساء إليه في مساءه، ومن سره زمن ساءته أزمان.
 - (٥) هو خويلد بن مرة أحد بني هذيل، وهو من فرسان العرب وفتاكهم، شاعر مخضرم، أسلم وهو شيخ كبير يوم حنين، وكان عذاه، وخراش ابنه، وعروة أخوه.
 - (٦) الصبر الجميل: هو الذي لا شكوى فيه.
 - (٧) أن في البيت مخففة من الثقيلة، وضمير الشأن محذوف، يقول: إن المقدور آت لا محالة وإن تأخر، وفي هذا تسلية وتسهيل للأمر.

نَعَزْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّهُ لِمَا قَدْ تَرَى يُغْذِي الصَّبِيَّ وَيُوَلِّدُ^(١)
هَلْ ابْنُكَ إِلَّا مِنْ سُلَالَةِ آدَمَ لِكُلِّ عَلَى حَوْضِ الْمَنِيَّةِ مُؤَرِّدُ

٢ - وقال إبراهيم بن المهدي في رثاء ابنه:

تَبَدَّلْ دَاراً غَيْرَ دَارِي وَجِيرَةً سِوَايَ وَأَخْذَاتِ الزُّمَانِ تُنُوبُ

٣ - فَإِنْ أَكُ مَقْتُولاً فَكُنْ أَنْتَ قَاتِلِي فَبَعْضُ مَنَابِهَا الْقَوْمُ أَكْرَمُ مِنْ بَعْضِ

٤ - قال تعالى: ﴿ذَلِكَ جَزَاءُكُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَى إِلَّا الْكُفْرُ﴾^(٢).

(٤)

يُبَيِّنُ مَوَاطِنَ الْإِحْتِرَاسِ وَسَبَبَ الْإِتْيَانِ بِهِ فِي الْأَمْثَلَةِ الْآتِيَةِ:

١ - قال أبو الحسين الجزار^(٣) في المديح:

وَيَهْتَرُ لِلْجُدْوَى إِذَا مَا مَذَحَتْهُ كَمَا اهْتَرَّ حَاشَا وَضَفَّهُ شَارِبُ الْخَمْرِ

٢ - وقال آخر:

وَمَا بِي إِلَى مَاءِ سِوَى النَّيْلِ غُلَّةٌ وَلَوْ أَنَّهُ اسْتَنْفِرَ اللَّهُ زَمْرَمُ

٣ - وقال عنترة:

يُخْبِرُكَ مَنْ شَهِدَ الْوَقِيعَةَ أَنَّنِي أَغْشَى الْوُغَى وَأَعِيفُ عِنْدَ الْمُعْتَمِ^(٤)

٤ - وقال كعب بن سعيد القُتُوبِي:

حَلِيمٌ إِذَا مَا الْحَلَمُ زَيْنَ أَهْلِهِ مَعَ الْجَلَمِ فِي عَيْنِ الرِّجَالِ مَهِيْبُ^(٥)

(٥)

يُبَيِّنُ مَوَاقِعَ الْإِطْنَابِ وَالْفَرَضِ مِنْهُ فِيمَا يَأْتِي:

(١) نَعَزَ: تصبر، يقول: تصبر يا أمير المؤمنين، فإن الموت سبيل كل حي، والصبي لا يولد ولا يغذى إلا استعداداً للموت.

(٢) شاعر مصري رقيق، تظهر في شعره خفة الروح المصرية، ولد سنة ٦٠١ هـ ومات سنة ٦٧٢ هـ.

(٣) الوقعة: القتال، والوغى في الأصل: صوت المقاتلة في الحرب ثم استعمل في الحرب نفسها، يقول: إنه يخشى الحرب شجاعة، فإذا كانت الغنمة كف عفة؛ لأنه لا يقاتل لأجلها.

(٤) يقول: هو حلیم في المواطن التي يحمده فيها الحلم، وهو مع حلمه مهيب في أعين الرجال.

١ - قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرٍ أَلَمْدَلُ وَالْإِخْسَيْنِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَنَعْنَعَنَ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾.

٢ - وقال أيضاً: ﴿حَنِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ﴾.

٣ - وقال الشاعر:

والسَّعْيُ فِي الرِّزْقِ وَالْأَرْزَاقُ قَدْ قُبِضَتْ بَغْيِي أَلَا إِنَّ بَغْيِي الْمَرْءُ يَضْرَعُهُ
٤ - وقال تعالى: ﴿وَمَا أَذْرَبْكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٧٧﴾ ثُمَّ مَا أَذْرَبْكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٧٨﴾﴾.

٥ - وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ مَاتَ يَقُولُ لَا يَقُولُونَ أَعَدَّكُمْ سَبِيلَ الرَّشَاقِ ﴿١٧٩﴾ يَقُولُونَ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعَ وَلِلْآخِرَةِ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾.

٦ - وقال تعالى: ﴿أَتَأْتِكُمْ يَتْلُو فِي جَيْبِكَ فَرَجَّ يَتَعَنَّى مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾.

٧ - وقال الحماسي:

أَسْجَنًا وَقَبْدًا وَاشْتِبَاقًا وَغُرْبَةً وَتَأْتِي حَبِيبٍ؟ إِنْ ذَا لَعَظِيمٍ
وَأِنْ أَنْرَأَ دَامَتْ مَوَائِيقُ عَهْدِهِ عَلَى يَمِثْلِ هَذَا إِنَّهُ لَكَرِيمٍ
٨ - وقال تعالى: ﴿فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ بَكَادُمْ هَلْ أَذْلَكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ﴾.

٩ - وقال إبراهيم بن المهدي في رثاء ابنه:

وَأَنِّي وَإِنْ قُدُمْتُ قَبْلِي لِعَالَمٍ بِأَنِّي وَإِنْ أَخْرُتُ بِمِثْلِكَ قَرِيبُ
١٠ - قال تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ قَوْلَ أَتَنَزَّلُ مُهْجَةً وَلَهُمْ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨١﴾﴾.

١١ - وقال أوس بن خنجر^(١):

وَلَسْتُ بِخَاسِيٍّ أَبَدًا طَعَامًا جَذَارَ غَدٍ لِكُلِّ غَدٍ طَعَامُ
١٢ - وقال تعالى: ﴿وَلَنُكَلِّمَنَّكَ أَنتَهُ بَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْعُرْفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾.

١٣ - وقال تعالى: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوَّلَادِكُمْ إِعْدَاؤَ لَكُمْ قَالُوا وَمَنْ نَقْتُلُ وَنَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

(١) من شعراء الجاهلية وفحولها يجيد في شعره ما يريد، وهو من الطبقة الثانية، وعمر طويلاً وكانت وفاته أول ظهور الإسلام.

١٤ - وقال تعالى: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾.

١٥ - قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ إِيَّيَ رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ رَأَيْتُهُمْ لِي سَجِيدًا﴾.

(٦)

يَبَيِّنُ مَا تَرَاهُ فِي الْآيَاتِ الْآتِيَةِ مِنَ الْعُيُوبِ الْبَلَاغِيَةِ.

١ - قال أبو نواس:

أَقَمْنَا بِهَا يَوْمًا وَيَوْمًا وَثَالِثًا وَيَوْمًا لَهُ يَوْمُ التَّرْحَلِ خَامِسًا^(١)

٢ - وقال النابغة في وصف دار:

نَبِيئْتُ آيَاتٍ لَهَا فَعَرَفْتُهَا لَيْسَتْ أَغْوَامٌ وَذَا الْعَمَامُ سَابِعُ

٣ - وقال أبو العتاهية:

مَاتَ وَاللَّهِ سَعِيدُ بَنٍ وَغَبَ رَجِمَ اللَّهُ سَعِيدَ بَنٍ وَغَبَ
يَا أَبَا عُثْمَانَ أَبْكَيْتَ عَيْنِي يَا أَبَا عُثْمَانَ أَوْجَعْتَ قَلْبِي

(٧)

تَدْبُرُ الْكَلَامَ الْمَوْجُزَ الْآتِيَّ ثُمَّ ضَعَهُ فِي أُسْلُوبَيْنِ مِنْ إِنْشَائِكَ يَكُونُ فِي أَحَدِهِمَا
مَسَاوِيًا لِمَعْنَاهُ، وَفِي الْآخَرِ زَائِدًا عَلَى مَعْنَاهُ:

أَمَّا بَعْدَ فِعْطِ النَّاسِ بِفِعْلِكَ، وَأَسْتَحْيِي مِنَ اللَّهِ بِقُدْرِ قُرْبِي مِنْكَ، وَخَفَهُ بِقُدْرَتِهِ
عَلَيْكَ.

(٨)

لِمَاذَا كَانَ كُلُّ مِثَالٍ بِهِ فَصْلٌ لِكِمَالِ الْإِنْتِصَالِ ضَرْبًا مِنَ الْإِطْنَابِ؟ مِثْلُ بَأْمَلَةٍ
مُخْتَلَفَةٍ، وَيَبَيِّنُ نَوْعَ الْإِطْنَابِ فِي كُلِّ مِثَالٍ.

(١) يريد أنهم أقاموا ثمانية أيام، عد منها ثلاثة في الشطر الأول، ثم أضاف إليها خمسة في الشطر الثاني، لأنه يقول إننا أقمنا بعد الثلاثة الأيام الأولى يوماً له يوم الرحيل خامس، أي خمسة أيام أخرى.

- ١ - هات مثالين للإطناب بذكر الخاص بعد العام، وآخرين للإطناب بذكر العام بعد الخاص، وبيّن فائدة الزيادة التي تضمنها الكلام في كل مثال.
- ٢ - هات مثالين للاعتراض، وبيّن فائدته في المثالين.
- ٣ - هات أربعة أمثلة للتكرار الحسن، وبيّن غرضك منه في كل مثال، واستوفِ أغراض التكرار التي عرفتها.
- ٤ - هات مثالين للتذييل الجاري مجرى المثل، وآخرين للتذييل الذي لم يجرِ مجرى المثل.
- ٥ - هات مثالين للاحتراس.

(٩)

أشرح يَتِيَّ المتبني في وصف شُعْب بَوَّان^(١)، وبيّن نوع الإطناب فيهما:

- مَلَايِبُ جِنَّةٍ لَوْ سَارَ فِيهَا سُلَيْمَانُ لَسَارَ بِتَرْجُمَانٍ^(٢)
طَلَبْتُ فُرْسَاتِنَا وَالْخَيْلَ حَتَّى خَشِيتُ وَإِنْ كَرُمَنْ مِنَ الْحِرَانِ^(٣)

(١) شعب بوان: موضع عند شيراز، كثير الشجر والمياه ويعد من جنان الدنيا.

(٢) الجنة: الجن، جمل الشعب لغرابه مناظره كأنه منزل للجن، ويقول: إن لغة أهله بعيدة عن الأنهام حتى لو أتاهم سليمان مع علمه بلغات الجن لاحتاج إلى مَنْ يترجم له.

(٣) طياه: دعاء واستماله، والحران في الدابة: أن تقف مكانها فلا تبرح.

أثر علم المعاني في بلاغة الكلام

نستطيع هنا بعد اندراسة السابقة أن نلخص لك مباحث علم المعاني في أمرين اثنين:

الأول أنه يبين لك وجوب مطابقة الكلام لحال السامعين والمواطن التي يقال فيها، ويُريك أن القول لا يكون بليغاً كيفما كانت صورته حتى يلائم المقام الذي قيل فيه، ويناسب حال السامع الذي ألقى عليه، وقديماً قال العرب: لكل مقام مقال.

فقد يؤكد الخبر أحياناً كما علمت، وقد يُلقى بغير تأكيد، على حسب حال السامع من جهل بمضمون الخبر أو تردد أو إنكار. ومناهضة هذا الأصل بلا داع نُشورُ عما رُسم من قواعد البلاغة. انظر إلى قوله تعالى في شأن رُسل عيسى عليه السلام حين بعثهم إلى أهل أنطاكية: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَحَصَبَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ (١٣) إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اتْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَهَمَزْنَا بِأَيْلِهِ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا بَعَثَ إِلَيْنَا إِبْرِيكَ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾.

فإن الرسل حين أحسوا إنكارهم في المرة الأولى اكتفوا بتأكيد الخبر به إن. فقالوا: ﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ﴾، فلما تزايد إنكارهم وجحدوهم قالوا: ﴿رَبَّنَا بَعَثَ إِلَيْنَا إِبْرِيكَ لَمُرْسَلُونَ﴾، فأكدوا بالقسم وإن واللام.

وقد تخفى هذه الدقائق على غير أهل اللغة، رُوي أن الكندي^(١) ركب إلى أبي العباس المبرد^(٢) وقال له: إني لأجد في كلام العرب حشواً!

فقال أبو العباس: أين وجدت ذلك؟ فقال: وجدتهم يقولون: «عبد الله قائم»

(١) هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق فيلسوف العرب كان معاصراً للمأمون والمعتصم والمتوكل، وله عندهم منزلة سامية، برع في الطب والفلسفة والحساب والمنطق والهندسة وطبائع الأعداد وعلم النجوم، نبغ وليس في المسلمين فيلسوف غيره، وحذا في تأليفه حذو أرسطو.

(٢) هو شيخ أهل النحو والعربية، وله التأليف النافعة في الأدب، وكان حسن المحاضرة مليح الأخبار كثير النوادر، وتوفي سنة ٢٨٥هـ.

ثم يقولون: «إن عبد الله قائم» ثم يقولون: «إن عبد الله لقائم» فالألفاظ مكررة والمعنى واحد؛ فقال أبو العباس: بل المعاني مختلفة، فالإول إخبار عن قيامه، والثاني جواب عن سؤال، والثالث رد على منكر.

كذلك يوجب علم المعاني أن يخاطب كل إنسان على قدر استعداده في الفهم ونصيبه من اللغة والأدب فلا يُجيز أن يخاطب العامي بما يخاطب به الأديب الملم بلغه العرب وأسرارها.

قال بعضهم لبشار بن بُرْد: إنك لتجيء بالشيء الهجين المتفاوت؛ قال: وما ذاك؟ قال: بينما تثير النفع وتخلع القلوب بقولك:

إِذَا مَا غَضِبْنَا غَضِبَةً مُضْرِبَةً هَتَكْنَا حِجَابَ الشَّمْسِ أَوْ تُنْظِرُ الدُّمَانَا
إِذَا مَا أَعَزَّنَا سَيِّدًا مِنْ قَبِيلَةٍ دُرًا مُنْبِرٍ صَلَّى عَلَيْنَا وَسَلَّمَا
نراك تقول:

رَبَابَةٌ رُبَّةُ الْبَيْتِ تَضُبُّ الْخَلْ فِي الزَّيْتِ
لَهَا عَشْرُ دَجَاجَاتٍ وَدِيكَ حَسَنُ الصُّوْتِ

فقال بشار: لكل وجه وموضع؛ فالقول الأول جد، والثاني قلته في ربابة جاريتي، وأنا لا أكل البيض من السوق، وربابة لها عشر دجاجات وديك فهي تجمع لي البيض، فهذا القول عندها أحسن من «فقا نيك من ذكرى حبيب ومثزل» عندك! وكثيراً ما تجد الشاعر يسهل أحياناً ويلين حتى يشبه شعره لغة الخطاب، ويخشن آونة ويصلب حتى كأنه يقذفك بالجلد، كل ذلك على حسب موضوعه الذي يقول فيه والطبقة التي يشدها شعره. ومن خير الأمثلة لهذا النوع أبو نواس، فإنه في خمرياته غيره في مدائحه ووصفه.

واعتبر هذا الأصل بما كان من النبي ﷺ، فإنه لما أراد أن يكتب إلى ملك فارس اختار أسهل الألفاظ وأوضحها فقال:

«من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله، وأدعوك بدعاية الله، فإني أنا رسول الله إلى الخلق كافة لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين، فأسلم تسلم، فإن أبيت فإنم المجوس عليك».

وحين أراد أن يكتب إلى أكثير صاحب دومة الجندل فخم الألفاظ وأتى بالجزل النادر فقال:

«من محمد رسول الله لأَكْبِيرُ حين أجاب إلى الإسلام وخلَعَ الأنداد والأصنام،
 إن لنا الضاحية^(١) من البعل^(٢) والبور^(٣) والمعاني^(٤) وأغفال الأرض^(٥) والخلقة^(٦)
 والسلاح، ولكم الضائقة^(٧) من النخل^(٨) والمعين^(٩) من المعمور، لا تُعْدِلْ سَارِحَتَكُمْ^(١٠)
 ولا تُعْدُ فَارِدَتَكُمْ^(١١) ولا يُخْطِرُ عَلَيْكُمُ الثَّبات، تَقِيمُونَ الصَّلَاةَ لَوَقْتِهَا وَتُؤَدُّونَ الزَّكَاةَ،
 عَلَيْكُم بِذَلِكَ عَهْدُ اللَّهِ وَمِيثَاقُهُ».

وتكون مطابقة الكلام لمقتضى الحال أيضاً فيما يتصرف فيه القائل من إيجاز
 وإطناب: فللإيجاز مواطنه، وللإطناب مواقعه، كل ذلك على حسب حال السامع
 وعلى مقتضى مواطن القول؛ فالذكي الذي تكفيه اللمحة يحسن له الإيجاز، والغبي أو
 المكابر يجعل عند خطابه الإطناب والإسهاب.

وإذا تأملت القرآن الكريم رأيته إذا خاطب العرب والأعراب أوجز كل الإيجاز،
 وأخرج الكلام مخرج الإشارة والوحي، وإذا خاطب بني إسرائيل أو حكى عنهم
 أسهب وأطنب فمما خاطب به أهل مكة قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ نَذِيرٌ مِّنْ دُونِ
 اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ
 الطَّلِبِ وَالطَّلُوبُ﴾.

وقلما نجد خطاباً لبني إسرائيل إلا وهو مسهب مطوّل، لأن يهود المدينة كانوا
 يرون أنفسهم أهل علم وأهل كتاب فتجاوزوا الحد في المكابرة والعناد، وقد يكون
 القرآن الكريم نزلهم منزلة قصر العقول فأطنب في الحديث إليهم، ويشهد لهذا الرأي
 ما حكاه عنهم وعن مقدار معرفتهم بما في أسفارهم.

-
- (١) الضاحية (من النخل): النخلة الظاهرة البارزة الخارجة عن أسوار المدينة والعمران.
 - (٢) البعل: النخل الراسخة عروقه في الأرض.
 - (٣) البور: الأرض الخراب التي لم تزرع.
 - (٤) المعاني: جمع معنى وهي الأراضي المجهولة.
 - (٥) أغفال الأرض: الأراضي التي لا أثر للعمارة فيها.
 - (٦) الخلقة بسكون اللام: السلاح عاماً.
 - (٧) الضائقة من النخل: ما كان داخلياً في العمارة وأطاف بها سور المدينة.
 - (٨) المعين: الماء الجاري على وجه الأرض وقيل الماء العذب الكثير.
 - (٩) لا تعدل سارحتكم. السارحة: الماشية، يريد أن ماشيتهم لا تصرف عن مرعى تريده.
 - (١٠) لا تعدل فاردتكم. الفاردة: الزائدة على الفريضة، يقول: لا تضم فاردتكم إلى غيرها فتعد معها وتحسب.

وللإيجاز مواطن يحسن فيها، كالشكر والاعتذار والتعزية والعتاب إلى غير ذلك، وللإطناب مواضع كالتهنئة والصلح بين فريقين والقصاص والخطابة في أمر من الأمور العامة، وللدوق السليم القول الفصل في هذه الشؤون.



أما الأمر الثاني الذي يبحث فيه عِلْمُ المعاني فهو دراسة ما يستفاد من الكلام ضمناً بمعونة القرائن، فإنه يريك أن الكلام يفيد بأصل وضعه معنى ولكنه قد يؤدي إليك معنى جديداً يفهم من السياق وترشد إليه الحال التي قيل فيها، فيقول لك إن الخبر قد يفيد التحسر، والأمر قد يفيد التعجيز، والنهي قد يفيد الدعاء، والاستفهام قد يفيد النفي، إلى غير ذلك مما رأيت مفضلاً في هذا الكتاب.

ويقول لك إن الخبر قد يلقي مؤكداً لخالي الذهن، وقد يلقي غير مؤكد للمنكر الجاحد، لغرض بلاغي بديع، أرادته المتكلم من الخروج عما يقتضيه ظاهر الكلام. ويرشدك عِلْمُ المعاني إلى أن القصر قد ينحو فيه الأديب منحاً شتى، كأن يتجه إلى القصر الإضافي رغبة في المبالغة، فيقول المتفائل:

وما الدنيا سيوى حُلُمٍ لذيد تُنبِّهُهُ تَبَاثِيرُ الصُّبَاحِ

ويقول المتشائم:

هَلْ الدُّمُرُ إِلَّا لَيْلَةٌ طَالَ سُهْدُهَا تَنَفَّسُ عَنْ يَوْمٍ أَحْمَرٍ عَصِيبِ

وقد يكون من مرامي القصر التعريضُ كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَذْكُرُ أَوْلَا الْأَنْبِيَاءِ﴾ إذ ليس الغرض من الآية الكريمة أن يعلم السامعون ظاهر معناها، ولكنها تعريض بالمشركين وأنهم لفرط عنادهم وغلبة الهوى عليهم في حكم مَنْ لا عقل له. ويهذيك علم المعاني إلى أن من أغراض الفصل في بعض أنواعه تقرير المعنى وتثبيتته في ذهن السامع، كما في الفصل لكمال الاتصال وشبهه.

ولعل في هذه الكلمة الموجزة مقنعاً في بيان ما لعلم المعاني من الأثر في بلاغة الكلام، وما يُمدُّ به الناشئ في الأدب من أساليب، وما يرسُم له من طريق لحسن تأليفها واختيار الأحوال والمواطن التي تقال فيها.

علم البديع

عرفت فيما سبق أن علم البيان وسيلة إلى تأدية المعنى بأساليب عدة بين تشبيه ومجاز وكناية، وعرفت أن دراسة علم المعاني تُعين على تأدية الكلام مطابقاً لمقتضى الحال، مع وفائه بغرض بلاغي يفهم ضمناً من سياقه وما يحيط به من قرائن.

وهناك ناحية أخرى من نواحي البلاغة، لا تتناول مباحث علم البيان، ولا تنظر في مسائل علم المعاني، ولكنها دراسة لا تتعدى تزيين الألفاظ أو المعاني بألوان بديعة من الجمال اللفظي أو المعنوي، ويسمى العلم الجامع لهذه المباحث بعلم البديع. وهو يشتمل كما أشرنا على محسنات لفظية، وعلى محسنات معنوية، وإنا ذاكرون لك من كل قسم طرفاً.

المحسنات اللفظية

(١) الجناس

الأمثلة:

١ - قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَقُومُ السَّاعَةَ يُقَسِّرُ الْمُجْرِمُونَ مَا كُنْتُمْ عَمَّ سَاعَتُهُ﴾.

٢ - وقال الشاعر في رثاء صغير اسمه يحيى:

وَسَمَّيْتُهُ يَحْيَى لِيَحْيَا فَلَمْ يَكُنْ إِلَى رَدِّ أَمْرِ الْوَلَدِ فِيهِ سَبِيلُ

* * *

٣ - وقال تعالى: ﴿قَالُوا آتَيْنَاهُ فَلَا تَقْهَرْ ۖ وَأَنَا الْكَافِرُونَ﴾.

٤ - وقال ابن الفارض^(١):

فَلَا تُهْلِكْ نُهْلَكَ عَنْ لَوْمِ أَمْرِي لَمْ يُلْفَ غَيْرُ مُنْعِمٍ بِشِقَا^(٢)

(١) هو أبو حفص عمر بن علي بن مرشد، أشعر المتصوفين، أصله من حماة، ومولده في القاهرة، وله ديوان شعر، وتوفي بمصر سنة ٦٣٢هـ وقبره معروف بيزار.

(٢) النهي: جمع نهية وهي العقل، ويلقي: يوجد.

٥ - وقالت الخنساء من قصيدة تزُني فيها أخاها صخرًا:

إِنَّ الْبُكَاءَ هُوَ الشُّفَا ؕ مِنْ الْجَوَى بَيْنَ الْجَوَانِحِ^(١)

٦ - وقال تعالى حكايةً عن هارون يخاطب موسى: ﴿خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيَّ إِسْرَءِيلَ﴾.

البحث:

تأمل الأمثلة السابقة تجد في كل مثال كلمتين تجانس إحداهما الأخرى وتشاكلها في اللفظ مع اختلاف في المعنى؛ وإبراز الكلام على هذا الوجه يسمى جناساً.

ففي المثال الأول من الطائفة الأولى تجد أن لفظ «الساعة» مكرّر مرتين، وأن معناه مرةً يوم القيامة، ومرةً إحدى الساعات الزمانية، وفي المثال الثاني ترى «يُخَي» مكرراً مع اختلاف المعنى. واختلاف كل كلمتين في المعنى على هذا النحو مع اتفاقهما في نوع الحروف وشكلها وعددها وترتيبها يُسمى جناساً تاماً.

وإذا تأملت كل كلمتين متجانستين في الطائفة الثانية رأيت أنهما اختلفتا في ركن من أركان الوفاق الأربعة المتقدمة، مثل تَفْهَرُ وَتُثْهَرُ، وَنَهَاكَ وَنُهَاكَ. والجَوَى والجَوَانِح، وَبَيْنَ وَبَنَى، على ترتيب الأمثلة، ويُسمى ما بين كل كلمتين. هنا من تجانس جناساً غير تام.

والجناس في مذهب كثير من أهل الأدب غير محبوب؛ لأنه يؤدي إلى التعقيد، ويحول بين البليغ وانطلاق عِنايه في مضمّار المعاني، اللهم إلا ما جاء منه عفواً وسمح به الطبع من غير تكلف.

القاعدة

(٦٨) الْجِنَاسُ أَنْ يَتَشَابَهَ اللَّفْظَانِ فِي الثُّلُوقِ وَيَخْتَلِفَا فِي الْمَعْنَى. وَهُوَ نَوْعَانِ:

أ - تَامٌ: وَهُوَ مَا اتَّفَقَ فِيهِ اللَّفْظَانِ فِي أُمُورٍ أَرْبَعَةٍ هِيَ: نَوْعُ الْحُرُوفِ، وَشَكْلُهَا، وَعَدَدُهَا، وَتَرْتِيبُهَا.

ب - غَيْرُ تَامٌ: وَهُوَ مَا اخْتَلَفَ فِيهِ اللَّفْظَانِ فِي وَاحِدٍ مِنَ الْأُمُورِ الْمَتَقَدِّمَةِ.

(١) الجوى: الحرقه وشدة الوجد، الجوانح: الأضلاع التي تحت الترائب وهي مما يلي الصدر كالضلع مما يلي الظهر، والواحدة جانحة.

تمرينات

(١)

في كل مثال من الأمثلة الآتية جناس تام، فبين موضعه:

١ - قال أبو تمام:

ما مات مِنْ كرمِ الزمانِ فإِنَّهُ يَحْيَا لَدَى يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ

٢ - قال أبو العلاء المعري:

لَمْ نَلْقَ غَيْرَكَ إِنْسَاناً يُلَادُ بِهِ فَلَا بَرَحْتَ لِعَيْنِ الدَّهْرِ إِنْسَاناً^(١)

٣ - وقال البُتِّي:

فَهَمْتُ كِتَابَكَ يَا سَيِّدِي فَهَمْتُ وَلَا عَجَبُ أَنْ أَمِيمَا

٤ - وقال يمدح:

بَسِيفِ الدَّوْلَةِ اتَّسَقَتْ أُمُورُ رَأَيْتَاهَا مُبْدَءَ النُّظَامِ^(٢)

سَمَا وَحَمَى بَنِي سَامٍ وَحَامٍ فَلَيْسَ كَمِثْلِهِ سَامٍ وَحَامٍ

٥ - وقال أبو نواس:

عَبَّاسُ عَبَّاسٍ إِذَا احْتَدَمَ الْوَعْيُ وَالْفَضْلُ فَضْلُ الرَّبِيعِ رَبِيعُ^(٣)

(٢)

في كل مثال من الأمثلة الآتية جناس غير تام، فوضحه وبين لَمْ كان غير تام؟

١ - قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ أَلْحَاقُوا بِدِينِهِ﴾^(١).

(١) يلاذ به: يلجأ إليه، وإنسان العين: المثال الذي يرى في السواد.

(٢) اتسقت: انتظمت.

(٣) عباس في أول البيت هو عباس بن الفضل الأنصاري، قاض من رجال الحديث، ولي قضاء الموصل في عهد الرشيد وتوفي بها سنة ١٨٦هـ، وكلمة عباس الثانية صيغة مبالغة من عبس وجهه إذا كلف وتجهم. والفضل الأول هو الفضل بن الربيع بن يونس وزير الرشيد ثم وزير الأمين، والفضل الثاني الشرف والرفعة. والربيع الأول هو الربيع بن يونس وزير المنصور العباسي، والربيع الثاني الخصب والنماء.

(٤) يقول: إذا جاء ضعفه الإيمان نبأ نصر أو هزيمة أفشوه ونشروه.

٢ - وقال تعالى: ﴿وَعَمَّ يَتَّبِعُونَ عَنْهُ وَتَتَوَتَّ عَنْهُ﴾.

٣ - وقال ابن جنيب الأندلسي^(١):

فيا راكب الوجناء هل أتت عالم فداؤك نفسي كيف تلك المعالم^(٢)

٤ - وقال الحريري^(٣) يصف فيام الجاهل بالدنيا:

ما يستفيق غراماً بها وفراط صباية^(٤)

ولو درى لكفاه بما يروم صباية^(٥)

٥ - وقال عبد الله بن رواحة^(٦) يمدح النبي ﷺ، وقيل إنه أمدح بيت قالته العرب:

تحمله الناقة الأدماء متعجراً بالبزود كالبدن جلى نوره الظلما^(٧)

(٣)

يبين مواضع الجناس فيما يأتي ويبين نوعه في كل مثال:

١ - قال البحتري في مطلع قصيدة:

هل لِمَا فات من تَلَاقي تَلَاقي أم لِشَاكٍ مِنَ الصُّبَابَةِ شَاقي

٢ - وقال النابغة في الرثاء:

فيا لك من حزمٍ وعزمٍ طوافما جديذ الرذى بين الصفا والصفايح^(٨)

(١) رحالة عنى بالأدب وبلغ الغاية فيه، وتقدم في صناعة الغريص والكتابة، وأولع بالأسفار، ومات بالإسكندرية سنة ٦١٤هـ.

(٢) الوجناء: الناقة الشديدة.

(٣) هو أبو عبد الله محمد القاسم صاحب المقامات الحبرية، كان أحد أئمة عصره ورزق الحظوة التامة في عمل المقامات. ومن عرفها حق المعرفة استدلل بها على فضل الرجل وغزارة مادته وكثرة اطلاعه. وله غيرها تأليف حسان، توفي بالبصرة سنة ٥١٠هـ.

(٤) الصباية بالفتح: حرارة الشوق.

(٥) الصباية بالضم: بقية الماء في الإناء.

(٦) صحابي جليل وشاعر من الشعراء الراجزين، شهد غزوات كثيرة، واستخلفه النبي ﷺ على المدينة في إحدى غزواته، ومات سنة ٨هـ.

(٧) الناقة الأدماء: الشديدة البياض، والمعتمر: الملفف، وجلى: كشف.

(٨) الصفا: الحجارة، الواحدة صفاة، والصفايح: حجارة رقاق تبلط بها الدور وتسقف بها القبور.

٣ - وقال البحرى:

نَسِيبُ الرِّوَضِ فِي رِيحِ شِمَالٍ وَصَوْبُ الْمُزْنِ فِي رَاحِ شَمُولٍ^(١)
٤ - وقال الحريرى: لَا أُعْطِي زِمَامِي مَنْ يُخْفَرُ ذِمَامِي^(٢)، وَلَا أُغْرِسُ الْأَيْدِي فِي
أَرْضِ الْأَعَادِي.

٥ - وقال: لَهُمْ فِي السَّبْرِ جَزْيُ السَّيْلِ، وَإِلَى الْخَيْرِ جَزْيُ الْخَيْلِ.

٦ - قال البحرى:

فَقِفْ مُسْعِداً فِيهِمْ إِنْ كُنْتَ عَازِراً وَبِزْ مُبْعِداً عَنْهُمْ إِنْ كُنْتَ عَازِلاً

٧ - وقال أبو تمام:

بِضِّ الصَّفَائِحِ لَا سُودَ الصُّحَائِفِ فِي مُتُونِهِنَّ جِلَاءُ الشُّكِّ وَالرَّيْبِ^(٣)
٨ - وقال نعلسى: ﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِمَعِيرِ اللَّحَى وَبِمَا كُنْتُمْ
تَمْرَحُونَ﴾^(٤).

٩ - وقال عليه الصلاة والسلام: «الْخَيْلُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيهَا الْخَيْرِ»^(٥).

١٠ - وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه:

وَكُنَّا مَتًى يَغْزُو النَّبِيُّ قَبِيلَةَ نَصِلُ جَانِبِيهِ بِالْقَنَا وَالْقَنَابِلِ^(٦)

١١ - وقال أبو تمام:

يَمْدُونُ بَيْنَ أَيْدِي عَوَاصِمِ عَوَاصِمِ تَصُولُ بِأَسْيَافِ قَوَاضٍ قَوَاضِبِ^(٧)

١٢ - لَا تُنَالُ الْغُرُزَ إِلَّا بِرُكُوبِ الْغُرُزِ^(٨).

(١) الصوب: نزول المطر، والمزن: جمع مزنة وهي السحابة البيضاء، والراح: الخمر، والشمول: الخمر تنفحها ريح الشمال، يصف البحرى بذلك أخلاق مدوحه.

(٢) يخفر ذمائي: يتقضى عهدي.

(٣) بيض الصفائح: كتابة عن السبوف، وسود الصحائف: الكتب، ومتن السيف: حده.

(٤) المرح: شدة الفرح.

(٥) النواصي: جمع ناصية وهي مقدم الرأس.

(٦) القنا: جمع قناة وهي الرمح.

(٧) عواصم: جمع عاصية من عصاه ضربه بالسيف أو العصا، وعواصم: من عصمه إذا حفظه وحماه، وقواض من قضى عليه إذا حكم، وقواضب: من قصبه إذا قطعه.

(٨) الغرر: بالضم جمع غرة، وغرة كل شيء أوله، والغرر بفتحتين: الخطر.

(٤)

هات مثالين من إنشائك للجناس التام، ومثالين آخرين لغير التام، وراع ألا يظهر في كلامك أثر للتكلف.

(٥)

إشرح قول أبي تمام وبين نوع الجناس الذي فيه:
ولم أر كالمعروف تُدعى حُقُوقُهُ مغارِمَ في الأقوامِ وفي مغانِمِ^(١)

(٢) الاقتباس

الأمثلة:

- ١ - قال عبد المؤمن الأصفهاني^(٢): لَا تُفَرِّقْ بَيْنَ الظُّلْمَةِ كَثْرَةُ الْجِيُوشِ وَالْأَنْصَارِ
﴿يُؤَخِّرُهُمْ لِئَوْمٍ تَتَخَصَّصُ^(٣) فِيهِ الْأَبْصَرُ﴾.
- ٢ - وقال ابن سناء الملك^(٤):
رَحَلُوا فَلَسْتُ مُسَابِلًا عَنْ دَارِهِمْ أَنَا بِأَجْعُ نَفْسِي عَلَى آثَارِهِمْ^(٥)
- ٣ - وقال أبو جعفر الأندلسي^(٦):

-
- (١) المغارم: جمع مغرم وهو ما يلزم أدائه، والمغانم: جمع مغنم وهو الغنيمة.
 - (٢) أدب مشهور متصوف وله كتاب يدعى أطباق الذهب رتب على مائة مقالة عارض بها الزمخشري.
 - (٣) يقال شخص بصره إذا فتح عينيه وجعل لا يطرف.
 - (٤) هو القاضي السعيد هبة الله، كان من الرؤساء النبلاء، وكان واسطة العقد في مجالس الشعراء بمصر وهو أول من استكثر من الموشحات وأجاد فيها من المشاركة، وله ديوان شعر، وتوفي بالقاهرة سنة ٦٠٨هـ.
 - (٥) بخع نفسه: قتلها غماً.
 - (٦) أدب قوي الإدراك، أجاد في فني النظم والنثر، وجرت له مع لسان الدين بن الخطيب مباحثات ومراسلات، وله ديوان شعر، وتوفي نحو سنة ٧٧٢هـ.

لَا تُعَادِ النَّاسَ فِي أَوْطَانِهِمْ قَلَمًا يُرْعَى غَرِيبُ الْوِطْنِ^(١)
وَإِذَا مَا شِئْتَ عَيْشًا بَيْنَهُمْ خَالِقِ النَّاسَ بِخَلْقِي حَسَنٍ

البحث:

العبارتان اللتان بين الأقواس في المثالين الأولين مأخوذتان من القرآن الكريم،
والعبارة التي بين قوسين في المثال الثالث من الحديث الشريف، وقد ضَمَّن الكاتب
أو الشاعر كلامه هذه الآثار الشريفة من غير أن يُصْرَحَ بأنها من القرآن أو الحديث
وغرضه من هذا التضمين أن يستبَيِّرَ من قوتها قوة، وأن يكشف عن مهارته في إحكام
الصلة بين كلامه والكلام الذي أخذه، وهذا النوع يسمى اقتباساً؛ وإذا تأملت رأيت أن
المُقْتَبَسَ قد يُغَيَّرُ قليلاً في الآثار التي يُقْتَبَسُهَا كالمثال الثاني إذ الآية: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ
نَفْسَكَ عَلَى آثَرِهِمْ﴾.

القاعدة

(٦٩) الإِقْبَاسُ تَضْمِينُ الثَّرِ أَوْ الشَّعْرِ شَيْئاً مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ أَوْ الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ بَيْنَ
غَيْرِ دَلَالَةٍ عَلَى أَنَّهُ مِنْهُمَا، وَيَجُوزُ أَنْ يُغَيَّرَ فِي الْآثَرِ الْمُقْتَبَسِ قَلِيلاً.

تعميمات

(١)

بَيِّنْ فِي كُلِّ اقْتِبَاسٍ مِمَّا يَأْتِي حُسْنَ تَأْتِي الْبَلِيغِ فِي إِحْكَامِ الصَّلَةِ بَيْنَ كَلَامِهِ
وَالْكَلَامِ الْمُقْتَبَسِ:

١ - اغنم فودك^(٢) الفاحم^(٣) قبل أن يبيضُ، فإنما الدنيا «جدارٌ يريد أن ينقض»^(٤).

٢ - وكتب القاضي الفاضل^(٥) في الرد على رسالة:

(١) يرعى غريب الوطن: أي يلحظ بالإحسان.

(٢) الفود: معظم شعر الرأس مما يلي الأذن.

(٣) الفاحم: الأسود.

(٤) ينقض: يسقط.

(٥) كاتب من أئمة الكتاب، كان من وزراء السلطان صلاح الدين ومن مقريه، وقد اشتهر بسرعة
الخاطر في الإنشاء، وله طريقة في الكتابة عمادها السجع والتورية تعرف بالطريقة الفاضلية،
حاكاه فيها من جاء بعده من الأدباء، ولد بمسقلان، وتوفي بالقاهرة ٥٩٦ هـ.

وردَ على الخادم الكتابَ الكريمَ فشكره ﴿وَقَرَنَهُ يَمِينًا﴾^(١) ورفعهُ ﴿مَكَانًا عَلِيًّا﴾^(٢) وأعاد عليه عصر الشباب ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنْ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾^(٣).

٣ - وقال في حمام الزاجل:

وقد كادت أن تكونَ من الملائكةِ فإذا نبطتَ بها الرِّقَاعُ^(٤) صارت ﴿أُلُوكَ أَيْمَنَ مَتَّقٍ وَتَلَّتْ وَرَيْحُ﴾.

٤ - ومن كتاب لمُحْيِي الدين عبد الظاهر^(٥):

لا عِدَمَتِ الدولةَ يَبْضُ سيوفِهِ التي «يَرى بها الَّذِينَ كَذَبُوا على الله وجوههم مُنَوَّدَةً».

٥ - وقال الصاحب^(٦):

أَقُولُ وَقَدْ رَأَيْتُ لَهُ سَحَاباً مِنْ الْهَجْرَانِ مُقْبِلَةً عَلَيْنَا
وَقَدْ سَعَتْ غَوَادِيهَا بِهَطْلٍ «حَوَالِيْنَا» الصُّدُودُ «وَلَا عَلَيْنَا»^(٧)
٦ - رُبَّ بَخِيلٍ لَوْ رَأَى سَائِلًا لَقَطَّهْهُ رُغْباً رُسُولَ الْمُتَوَلَّى
لَا تَطْمَعُوا فِي السُّزْرِ مِنْ نَيْلِهِ «هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعِدُونَ»

(٢)

إقتبس الآيات الكريمة الآتية مع إجابة الاقتباس وإحكامه:

- ١ - ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ﴾.
- ٢ - ﴿وَلَا يَحِبُّ الْمَكْرَ النَّصِيءُ إِلَّا بِأَهْلِيهِ﴾.
- ٣ - ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَمُنُّونَ وَالَّذِينَ لَا يَمُنُّونَ﴾.
- ٤ - ﴿وَلَا يَنْفَعُكَ مِنْهُ خَيْرٌ﴾.
- ٥ - ﴿إِنَّا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾.

(١) النجى: الذي تساره، ومعنى قرنه نجياً: جعله متاجياً.

(٢) عتياً: مصدر عتا الشيخ إذا كبر وولى.

(٣) نبطت بها الرقاع: علفت في أعناقها الرسائل.

(٤) كان من أعظم الكتاب المقدمين في دولة المعاليك، ويمتاز ببراعته في كتابة الدواوين في ذلك العصر، ولد سنة ٦٢٠هـ وتوفي سنة ٦٩٢هـ.

(٥) وزير غلب عليه الأدب، فكان من نوادر الدهر علماً وفضلاً وتديباً، استوزره مؤيد الدولة بن بويه الديلمي، وشعره عذب رقيق، وتوقعاته آية الإبداع في الإنشاء، وتوفي سنة ٣٨٥هـ.

(٦) سح المعطر: سال، والغواوي: السحب تنشأ صباحاً جمع غادية، والهطل: تتابع المطر وسيلانه، يقول: جاءت سحبه بمطر متابع.

(٣)

صُغِّ عِبَارَاتٍ تُقْتَسِمُ فِي كُلِّ مِنْهَا حَدِيثًا مِنَ الْأَحَادِيثِ الشَّرِيفَةِ الْآتِيَةِ مَعَ الْعِنَايَةِ بِحَسَنِ وَضْعِهَا:

١ - كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ.

٢ - إِذَا لَمْ تُسْتَحْيَ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ.

٣ - الظُّلُمُ ظُلُمَاتُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

٤ - الْأَزْوَاجُ جُنُودٌ مَجْلُودَةٌ.

(٤)

اشرح قول ابن الرومي في الهجاء ويبن حسن الاقتباس فيه:

لَسْتُ أَخْطَأْتُ فِي مَذْجِي لَكِ مَا أَخْطَأْتُ فِي مَنَمِي
لَقَدْ أَنْزَلْتُ حَاجَاتِي «بِرَاوِدٍ غَسِيرٍ ذِي زَرْعٍ»

(٣) السَّجْعُ

الأمثلة:

١ - قَالَ ﷺ: «اللَّهُمَّ أَغْطِ مُتَبَعًا خَلْفًا، وَأَعْطِ مُنْصَبًا تَلْفًا».

٢ - وَقَالَ أَعْرَابِي دَهَبَ بَابُنَا السَّبِيلُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ قَدْ أَتَيْتُ، فَإِنَّكَ طَالَمَا قَدْ غَافَيْتُ.

٣ - الْحُرُ إِذَا وَعَدَ وَفَى، وَإِذَا أَعَانَ كَفَى، وَإِذَا مَلَكَ عَفَا.

البحث:

إِذَا تَأَمَّلْتَ الْمَثَالِينَ الْأَوَّلِينَ وَجَدْتَ كُلًّا مِنْهُمَا مَرْكَبًا مِنْ فِقْرَتَيْنِ مُتَّحِدَتَيْنِ فِي الْحَرْفِ الْأَخِيرِ، وَإِذَا تَأَمَّلْتَ الْمَثَالَ الثَّالِثَ وَجَدْتَهُ مَرْكَبًا مِنْ أَكْثَرِ مِنْ فِقْرَتَيْنِ مُتَمَاثِلَتَيْنِ فِي الْحَرْفِ

الأخير أيضاً، ويسمى هذا النوع من الكلام سجعاً^(١). وتسمى الكلمة الأخيرة من كل فقرة فاصلة، وتُسكن الفاصلة دائماً في النثر للوقف.

وأفضل السجع ما تساوت فقرته، ولا يحسن السجع إلا إذا كان حصين التركيب، سليماً من التكلف، خالياً من التكرار في غير فائدة، كما رأيت في الأمثلة.

القاعدة

(٧٠) السَّجْعُ تَوَافُقُ الْفَاصِلَتَيْنِ فِي الْحَرْفِ الْآخِرِ^(٢)، وَأَفْضَلُهُ مَا تَسَاوَتْ فِقْرَتُهُ.

تعرينات

(١)

يُبَيِّنُ السَّجْعُ فِي الْأَمْثَلَةِ الْآتِيَةِ، وَوَضَعَ وَجْهَ حَسَنَةٍ:

- ١ - قَالَ ﷺ: «رَجِمَ اللَّهُ عَبْدًا قَالَ خَيْرًا فَنُفِمْ، أَوْ سَكَتَ فَلَيْم».
- ٢ - وَقَالَ الثَّعَالِبِيُّ^(٣): الْجَقْدُ صَدَأُ الْقُلُوبِ، وَاللَّجَاجُ سَبَبُ الْحُرُوبِ^(٤).
- ٣ - وَقَالَ الْحَرِيرِيُّ: ارْتِفَاعُ الْأَخْطَارِ، بِاقْتِحَامِ الْأَخْطَارِ^(٥).
- ٤ - وَقَالَ بَعْضُ الْبُلْغَاءِ: الْإِنْسَانُ مَادَابِهِ، لَا بَزْيَهُ وَثِيَابِهِ.
- ٥ - وَقَالَ أَعْرَابِي لِرَجُلٍ سَأَلَ نَثِيمًا: نَزَلَتْ بُوَادٍ غَيْرُ مَنْطُودٍ، وَفَنَاءٌ غَيْرُ مَعْمُورٍ، وَرَجُلٌ غَيْرُ مَنُوسٍ، فَأَقَمَ بِنَدَمٍ. أَوْ ارْتَحَلَ بِعَدَمٍ.
- ٦ - وَقَالَ أَعْرَابِي: بَاكَرْنَا وَشَمِعِي^(٦)، ثُمَّ خَلَفَهُ وَلِي^(٧)، فَلَا أَرْضُ كَأَنَّهَا وَشِي^(٨)

(١) تشبيهاً له بسجع الحمامة إذا هذرت.

(٢) السجع موطنه النثر، وقد هجيء في الشعر كقول أبي الطيب:

فَنَحْنُ فِي جَذَلٍ وَالرُّومُ فِي وَجَلٍ وَالْبِرُّ فِي شَغَلٍ وَالْبَحْرُ فِي خَجَلٍ

(٣) هو أبو منصور النيسابوري، والثعالبي نسبة إلى خياطة جلود الثعالب وعملها، وكان واحد عصره في العلم والأدب، وله تأليف كثيرة منها فقه اللغة وبيضة الدهر، وشعره جيد، وتوفي سنة ٤٢٩هـ.

(٤) اللجاج: التمادي في الخصومة.

(٥) خطر الرجل: قدره ومزلقته، والخطر أيضاً: الإشراف على الهلاك، يقول: ارتفع قدر الإنسان إنما يكون باقتحام المخاوف والمهالك.

(٦) الوسمى: مطر الربيع الأول لأنه يسم الأرض بالنبات.

(٧) الولي: المطر الثاني.

(٨) الوشي: نوع من الثياب ذو ألوان.

منثور، عليه لؤلؤ منثور، ثم أتتنا غيوم جراد، بمناجل^(١) حصاد، فجردت^(٢) البلاد، وأهلكت العباد، فسبحان من يهلك القوي الأكل بالضعيف المأكول.

(٢)

١ - اقرأ الرسالة الآتية، وبين جمال السجع فيها، ثم خلّها وإبناها بناء آخر لا سجع فيه. كتب ابن الرومي إلى مريض:

أذن الله في شفايك، وتلقى دماك بدوائك، ومسح بيد العافية عليك، ووجه وفد السلامة إليك، وجعل علتك ماحية لذنوبك، مضاعفة لمثوبتك.

٢ - تفهم ما يأتي وهو مما ينسب إلى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، ثم خله وائنه بناء آخر مسجوعاً:

اتق الله في كل صباح ومساء، وخف على نفسك الدنيا القُرُور، ولا تأمنها على حال. واعلم أنك إن لم تزدع نفسك عن كثير مما تحب مخافة مكروهه، سمى بك الأهواء إلى كثير من الضرر.

(٣)

بين أمين المسجوع أم من المرسل ما يأتي ووضح السبب:

كتب هشام^(٣) لأخيه وكان أظهر رغبته في الخلافة:

أما بعد، فقد بلغني استغفالك حياتي، واستبطاؤك معاتي، ولعمري إنك بعدي لواهي الجناح، أجدّم الكف، وما استوجب منك، ما بلغني عنك.

(١) المناجل: جمع منجل وهو ما يحصد به.

(٢) جردت البلاد: جعلتها قاحلة جرداء.

(٣) أحد ملوك الدولة الأموية في الشام، اجتمع في خزائنه من المال ما لم يجتمع في خزانة أحد من ملوك بني أمية، وتوفي سنة ١٢٥هـ.

المحسنات المعنوية

(١) التورية

الأمثلة:

١ - قال بَرَّاجُ الدِّينِ الْوَرَّاقُ^(١):

أَصُونُ أَدِيْمَ وَجْهِي عَنْ أُنَاسٍ لِقَاءِ الْمَوْتِ عِنْدَهُمُ الْأَدِيْبُ
وَزَبُّ الشَّعْرِ عِنْدَهُمُ بَغِيْضٌ وَلَوْ رَأَيْتُ بِهِ لَهُمُ «حَبِيْبُ»

٢ - وَقَالَ نَصِيْرُ الدِّينِ الْحَمَامِي^(٢):

أَبْيَاتُ شِعْرِكَ كَالْقَصْرِ وَرَ لَا قُصُورَ بِهَا يَعْبُقُ^(٣)
وَمِنْ الْمَجَانِبِ لَقُظْلُهَا حُرٌّ وَمَعْنَاهَا «رَقِيْبُ»

٣ - وَقَالَ الثَّابُّ الظَّرِيفُ^(٤):

تَبَسُّمُ ثَمَرِ الْلُّؤْزِ عَنْ طَيْبِ نَشْرِهِ وَأَقْبَلَ فِي حُسْنٍ يَجِلُّ عَنْ الْوُضْفِ
هَلُمُّوا إِلَيْهِ بَيْنَ قُضْفٍ وَلَذَّةٍ فَإِنْ غَمَصُونَ الزُّهْرَ تَضْلُجُ «الْقُضْفُ»

(١) شاعر مصري رقيق، برع في التورية وغيرها من أنواع البديع، وله شعر كثير جيد، ولد سنة ٦١٥هـ ومات سنة ٦٩٥هـ.

(٢) كان يحترف باكتراء الحمامات بمصر، فلما كبرت منه اقتصر على الاستجداء بالشعر، وشعره يدل على نبوغ وعبقرية، مات سنة ٧١٢هـ.

(٣) يعوق: أي يمنع من إدراك جمالها.

(٤) هو شمس الدين بن العفيف التلمساني، كان نابغة عصره، وقد فتن بشعره لرفته وجماله الفني، ولد سنة ٦٦٢هـ ومات سنة ٦٨٧هـ فكانت حياته خمساً وعشرين سنة.

البحث:

كلمة «حبيب» في المثال الأول لها معنيان: أحدهما المحبوب وهو المعنى القريب الذي يتبادر إلى الذهن بسبب التمهيد له بكلمة «بغيض»، والثاني اسم أبي تمام الشاعر وهو حبيب بن أوس، وهذا المعنى بعيد، وقد أراد الشاعر ولكنه تَلَطَّفَ فَوَرَّى عنه وستره بالمعنى القريب. وكلمة «رقيق» في المثال الثاني لها معنيان: الأول قريب متبادر وهو العبد المملوك وسبب تبادره إلى الذهن ما سبقه من كلمة «حز»، والثاني بعيد وهو اللطيف السهل. وهذا هو الذي يريده الشاعر بعد أن ستره في ظل المعنى القريب. وكلمة «القَصَف» في المثال الثالث معناها القريب الكثر، بدليل تمهيده لهذا المعنى بقوله: «فإن غصون الزهر» ومعناها البعيد اللعب واللهو، وهذا هو المعنى الذي قصد إليه الشاعر بعد أن احتال في إخفائه ويسمى هذا النوع من البديع تورية، وهو فنٌ بَرَعَ فيه شعراء مصر والشام في القرن السابع والثامن من الهجرة، وأتوا فيه بالمجيب الرائع الذي يدل على صفاء الطبع والقدرة على اللعب بأساليب الكلام.

القاعدة

(٧١) التَّوْرِيَةُ أَنْ يَذْكَرَ الْمُتَكَلِّمُ لَفْظًا مُفْرَدًا لَهُ مَعْنِيَانِ، قَرِيبٌ ظَاهِرٌ غَيْرُ مُرَادٍ، وَبَعِيدٌ خَفِيٌّ هُوَ الْمُرَادُ.

تمرينات

(١)

إشرح التورية في كلِّ مثال من الأمثلة شرحاً وافياً:

١ - قال سراج الدين الورواق:

كَمْ قَطَعَ الْجَسُودَ مِنْ لِسَانٍ قَلْدٌ مِنْ نَظْمِهِ النُّحُورَا
فَهَا أَنَا شَاعِرٌ بِرَاجٍ فاقطع لِسَانِي أَزِدْكَ نُورَا^(١)

٢ - وقال:

يَا خَجَلْتِي وَصَحَائِفِي سَوْدٌ غَدَتْ وَصَحَائِفُ الْأَبْرَارِ فِي إِشْرَاقٍ

(١) قطع لسان الشاعر: أسكته بغطاءه عن هجائه، ولسان السراج: قتيله.

- وَمُؤْتَبَ لِي فِي الْقِيَامَةِ قَالَ لِي
٣ - وَقَالَ أَبُو الْحُسَيْنِ الْجَزَارِي:
كَيْفَ لَا أَشْكُرُ الْجَزَارَةَ مَا عَشَّ
وَبِهَا صَارَتِ الْكَلَابُ تُرْجِي
٤ - وَقَالَ بَلْذُ الدِّينِ الذَّهَبِيُّ:
رِفْقاً بِجِلِّ نَاصِحٍ
وَأَفَّاكَ سَائِلٍ دُمُومٍ
٥ - وَقَالَ:
يَا عَاذِلِي فِيهِ قَلَّ لِي
يَمُرُّ بِي كُلُّ وَقْتٍ
٦ - وَقَالَ:
وَرِيَاضٍ وَقَفْتُ أَشْجَارَهَا
طَالَمْتُ أَوْرَاقَهَا شَمْسُ الضُّحَا
٧ - وَقَالَ الشَّابُّ الظَّرِيفُ:
قَامَتْ حُرُوبُ الدَّفْرِ مَا
وَأَنْتَ بِأَجْمَعِهَا لَتُفْ
لَكِنِّهَا انْكَسَرَتْ لِأَنَّ
٨ - وَقَالَ نَصِيرُ الدِّينِ الْحَمَّامِيُّ:
جُودُوا لِتَسْجَعِ بِالْمَدِيدِ
فَالطَّيْرُ أَحْسَنُ مَا نَفْ
- أَكْذَا تَكُونُ صَحَائِفُ «الْوَرَّاقِ؟»^(١)
تُحْفَظُ وَأَفْجَرُ الْآدَابِ؟
نِي وَبِالشَّمْرِ كُنْتُ أَرْجُو الْكَلَابَ^(٢)
أَبْلَيْتُهُ صَدًّا وَمَجْرَا
فَرَدَّدْتُهُ فِي الْحَالِ نَهْرًا^(٣)
إِذَا بَدَا كَيْفَ أَسْأَلُو؟
وَكَلَّمَا مَرُّ يَحْلُو
وَتَمَشَّتْ نَشْمَةُ الصُّبْحِ إِلَيْهَا
بَعْدَ أَنْ وَقَعَتِ الْوُرُوقُ عَلَيْهَا^(٤)
بَيْنَ الرِّيَاضِ السُّنْدُوبِيَّةِ
رَوْ رَوْضَةِ الْوَرْدِ الْجَنِينِ
الْوَرْدِ شَوْكَتُهُ قَوِيَّةُ
حِ عَلَى غُلَاكُم سَرْمَدًا
رُؤْ عِنْدَمَا يَفُقُ النَّدَى^(٥)

(١) من معاني الوراق بائع الورق أو الكتب.

(٢) قد يراد بالكلاب مجازاً لنام الناس.

(٣) من معاني النهر أن يكون مصدر نهر ينهر بمعنى زجر.

(٤) الورق: جمع ورقاء وهي الحمامة، ووقعت قد يكون من التوقيع وهو كتابة الاسم في أسفل الكتاب.

(٥) من معاني الندى: الجود، وما يسقط من بلل آخر الليل.

٩ - وقال سراج الدين الورّاق:

وَقَفْتُ بِأَطْلَالِ الْأَجْبَةِ سَائِلًا وَدُمَعِي يَنْقِي ثُمَّ عَهْدًا وَمَقْهَدًا
وَمِنْ عَجَبِ أَنِّي أُرْوِي دِيَارَهُمْ وَحَظِّي مِنْهَا حِينَ أَسْأَلُهَا الصَّدَى^(١)

١٠ - وقال ابن الظاهر:

شُكْرًا لِتَسْمَةِ أَرْضِكُمْ كَمْ بَلَّغْتُ عَنِّي تَجْبِيَةً
لَا غَرْوُ إِنْ حَفِظْتَ أَحَا دِيْتُ الْهَوَى فَهِيَ الذِّكْيَةُ^(٢)

١١ - وقال ابن بُنَّاتَةِ الْمَصْرِيِّ^(٣):

وَالْتُهُرُ يُشْبِهُ مِبْرَدًا فَلِأَجْلِ ذَا يَجْلُو الصَّدَى^(٤)

(٢)

لكل من الألفاظ الآتية أكثر من معنى، فاستعمل كل لفظ في مثال للتورية:
الجَد^(٥). حَكى. الراحة. القُصُور. عَفَا^(٦). قَضَى^(٧). الجُفُونَ^(٨).

(٣)

في أي شيء توافقت التورية الجَنَاسُ التام، وفي أي شيء تخالفه؟ مثل بمثال للتورية، ثم حوله إلى الجنس التام.

(٤)

هل تستطيع أن تضع كلمة التورية في العبارات الآتية:

١ - اشتدَّ حزنُ الرياض على الربيع وجُمُدت...

(١) من معاني الصدى: الظما، وما يجيك بمثل صوتك.

(٢) الذكي: سريع الفطنة أو ساطع الراحة.

(٣) هو جمال الدين حمل لواء الشعر والنثر في عصر المماليك، وله ديوان شعر مطبوع، ولد سنة ٦٨٦هـ ومات سنة ٧٦٨هـ.

(٤) الصدا بتسهيل الهمزة: وسخ الحديد ونحوه، والصدى: العطش.

(٥) الجد: الحظ أو أبو الأب أو أبو الأم.

(٦) عفا: صح، وعفا المنزل: زال أثره.

(٧) قضى: مات أو حكم.

(٨) الجفون: أغطية العين أو أعماد السيوف.

٢ - الحَمَامُ أَبْلَغُ مِنَ الْكُتَّابِ إِذَا... .

٣ - قَلْبِي جَارُهُمْ يَوْمَ زَحَلُوا وَدَمَعِي... .

(٥)

اشرح قول ابن ذآئبال طيب العيون^(١) وَيُنَّ مَا فِيهِ مِنْ حَلَاوَةِ التَّوْرَةِ:

يَا سَائِلِي عَنْ جِرْفَتِي فِي الْوَرَى وَاضْمِمْتِي فِيهِمْ وَإِفْلَاسِي
مَا حَالٌ مِنْ دِزْمِهِمْ إِنْفَاقِي يَأْخُذْهُ مَنْ أَعْيَنَ النَّاسُ؟

(٢) الطُّبَاقُ

الأمثلة:

١ - قال تعالى: ﴿وَتَحَسَّبُهُمْ أَيْقَاطًا وَمِمَّ رُقُودًا﴾^(٢).

٢ - وقال عليه السلام: «خَيْرُ الْمَالِ عَيْنٌ سَاهِرَةٌ لِعَيْنٍ نَائِمَةٍ»^(٣).

* * *

٣ - وقال تعالى: ﴿يَسْتَحْفُوتُ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَحْفُوتُ مِنَ اللَّهِ﴾.

٤ - وقال السموءل:

وَتُسْكِرُ إِنْ شِئْنَا عَلَى النَّاسِ قَوْلُهُمْ وَلَا يُنْكِرُونَ الْقَوْلَ جَبْنَ ثَقُولُ^(٤)

البحث:

إذا تأملت الأمثلة المتقدمة، وجدت كلاً منها مشتعلاً على شيءٍ وضده، فالمثال الأول مشتمل على الكلمتين: «أَيْقَاطًا» و«رُقُودًا» والمثال الثاني مشتمل على الكلمتين: «سَاهِرَةٌ» و«نَائِمَةٌ».

أما المثالان الأخيران فكل منهما مشتمل على فعلين من مادة واحدة أحدهما

(١) هو شمس الدولة الموصللي، صاحب النظم الحلو والنثر العذب والتكت الغريبة، وكان له دكان للكحل داخل باب الفتوح، مات بمصر سنة ٧١٠هـ.

(٢) أَيْقَاطًا: جمع يقظ ككتف، ورُقُود: نيام، جمع راقد.

(٣) يعني أن خير المال عين ماء ينام صاحبها وهي تظل فائضة تسقي له أرضه.

(٤) معنى الشطر الثاني أنهم لشدة بأسهم يخشاهم الناس فلا يكرهون عليهم ما يقولون.

إيجابيّ والآخر سلبي، وباختلافهما في الإيجاب والسلب صارا ضدّين، ويسمى الجمع بين الشيء وضده في الأمثلة المتقدمة وأشباهها طباقاً، غير أنه في المثالين الأولين يدعى «طباق الإيجاب» وفي المثالين الأخيرين يدعى «طباق السلب».

القاعدة

(٧٢) الطَّبَاقُ الْجَمْعُ بَيْنَ الشَّيْءِ وَضِدِّهِ فِي الْكَلَامِ، وَهُوَ نَوْعَانِ:

أ - طَبَاقُ الْإِيجَابِ، وَهُوَ مَا لَمْ يَخْتَلَفْ فِيهِ الضَّدَانُ إِيجَاباً وَسَلْباً.

ب - طَبَاقُ السَّلْبِ، وَهُوَ مَا اخْتَلَفَ فِيهِ الضَّدَانُ إِيجَاباً وَسَلْباً.

تعميمات

(١)

يُبين مواضع الطباق في الأمثلة الآتية، ووضح نوعه في كل مثال:

١ - قال تعالى: ﴿أَوْ مِنْ كَافٍّ مِمَّنْ فَاحْشِيْنَهُ﴾.

٢ - وقال دُغْبَلُ الْخَزَاعِي:

لا نَعَجِبِي يَا سَلَمٌ مِنْ رَجُلٍ ضَحِكَ الْمَشِيبُ بِرَأْيِهِ فَبَكَى^(١)

٣ - وقال غيره:

على أنْني راضٍ بأنْ أُحْمِلَ الهوى وَأُخْرِجَ مِنْهُ لَا عَلَيَّ وَلَا لِيَا^(٢)

٤ - وقال البحتري:

يُقْفِضُ لِي مِنْ حَيْثُ لَا أَعْلَمُ النوى وَنَسْرِي إِلَيْ الشوقِ مِنْ حَيْثُ أَعْلَمُ^(٣)

٥ - وقال المُقَنَّنُ الكندي^(٤):

(١) سلم: مرخم سلمى اسم امرأة.

(٢) في علي معنى الضرر وفي اللام معنى الانتفاع، ومن هنا جاء الطباق بين الحرفين.

(٣) يقول يقضي عليه بالبعد فلا يدري له سيباً، ويخالفه الشوق فيعرف مصدره ومبعثه.

(٤) شاعر مقل من شمراء الإسلام في عهد بني أمية، وكان له شرف ومروءة وسودد في عشيرته،

وكان سمح اليد بماله لا يرد سائلاً، وإنما لقب بالمقنع لأنه كان أجمل الناس وجهاً. وكان

يخشى إذا حسر اللثام عن وجهه أن تعصيه العين، ولذلك كان يمشي مقنن الوجه مثلاً.

لَهُمْ جُلُ مَالِي إِنْ تَتَابَع لِي غَنَى وَإِنْ قُلُ مَالِي لَمْ أَكْلِفْهُمْ رُقْدًا^(١)
٦ - وقال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ^(٢) يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْكِتَابِ أَلَّذِينَ أَلْتُمُوا

٧ - وقال تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ^(٣)﴾.

٨ - وقال السموءل بن عادياہ:

سلي إِنْ جَهَلْتُ النَّاسَ عَنَا وَعُثْمُ قُلَيْسِ سَوَاءَ عَالَمٍ وَجَهُولُ^(٤)

٩ - وقال الفرزدق يهجو بني كليب:

فَبِحِ الإِلَهِ بَنِي كَلَيْبِ إِنَّهُمْ لَا يَغْدِرُونَ وَلَا يَفُورُونَ بِجَارِ^(٥)

١٠ - وقال أبو صخر الهذلي^(٦):

أَمَا وَالَّذِي أَبْكَى وَأَضْحَكَ وَالَّذِي أَمَاتَ وَأَحْيَا وَالَّذِي أَمَرَهُ الْأَمْرُ خَلِيلَيْنِ مِنْهَا لَا يَرُوغُهُمَا الذُّعْرُ^(٧) لَقَدْ تَرَكْتَنِي أَخْضَدُ الْوَحْشَ أَنْ أَرَى

١١ - وقال الحماسي:

تَأَخَّرْتُ أَسْتَنْبِقِي الْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ لِنَفْسِي حَيَاءً مِثْلَ أَنْ أَتَقَدَّمَ^(٨)

(١) الردف: العطاء والصلة، يقول: إني إذا ازددت مالاً ازددت لهم بذلك، وإن قلّ مالي لم اطلب منهم عطاء.

(٢) أي لا يعلمون أمور الآخرة.

(٣) أي يعلمون أمور الدنيا الظاهرة.

(٤) أي للنفس ثواب ما كسبه من الطاعات، وعليها عقاب ما اقترفته من المعاصي.

(٥) يقول: إن كنت جاهلة حالنا فلي الناس عنا يخبروك، فليس العالم كالجاهل.

(٦) يذم بني كليب بأنهم ضعاف لا يستطيعون الغدر بأحد، ويذمهم بأنهم لا يفون بحقوق الجار.

(٧) أحد بني هذيل وهو شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية، وكان موالياً لبني مروان متعصباً لهم، وله في عبد الملك مدائح.

(٨) راعه: أفزع، والذعر: الخوف، يقول في البيتين: أقسم بمن بيده الحزن والسرور والإماتة والإحياء، لقد جعلتني الحبيبة في حال إذا تأملت معها الوحوش وهي تأتلف في مراعيها تمنيت أن أكون مثلها في تألفها، لأنني أرى كل أليفين منها أمتين لا يفزعهما خوف من الوشاة والرقباء.

(٩) يقول: إنه تأخر عن القتال إبقاء على حياته، فرأى أن الإقدام أحفظ لحياته وأبقى لها لأنه يدفع الأعداء عن نفسه ويقتلهم قبل أن يقتلوه.

(٢)

اقرأ ما كتبه ابن بطوطة^(١) في وصف مصر ويُنَّ جمال الطباقي في أسلوبه:
 هي منجمُ الوارد والصادر^(٢)، ومحط زحل^(٣) الضعيف والقادر، بها ما شئت
 من عالم وجاهل، وجادٌ وهازل، وحليم وسفيه، ووضع نبيه، وشريف ومشروف،
 ومُنكر ومعروف، تُموج موج البحر بسكانها، وتكاد تُضيّق بهم على سعة مكانها.

(٣)

حوّل طباق الإيجاب في الأمثلة الآتية إلى طباق السلب:

- ١ - العدو يُظهر السيئة ويُخفي الحسنة.
- ٢ - ليس من الحزم أن تُخين إلى الناس وتسيء إلى نفسك.
- ٣ - لا يليق بالمُحسن أن يُعطي البعيد ويمتنع القريب.

(٤)

حوّل طباق السلب في الأمثلة الآتية إلى طباق الإيجاب:

- ١ - يُعلم الإنسان ما في اليوم والأمس، ولا يعلم ما يأتي به الغد.
- ٢ - اللئيم يغفُو عند العجز، ولا يغفو عند المقدرة.
- ٣ - أحب الصدق ولا أحب الكذب.

(٥)

- ١ - مثل لكل من طباق الإيجاب وطباق السلب بمثاليين من إنشائك.
- ٢ - هات مثاليين لطباق الإيجاب، ثم حوّلهما إلى طباق السلب.
- ٣ - هات مثاليين لطباق السلب، ثم حوّلهما إلى طباق الإيجاب.

(١) رحالة مشهور، ولد بطنجة سنة ٧٠٣هـ، وسافر إلى مصر والعراق والشام واليمن والهند والصين وغيرها من الأقطار الشرقية، ثم رجع إلى المغرب وأخذ يملّي رحلته المسماة (تحفة النظار في غرائب الأمصار) وقد ترجمت إلى كثير من اللغات الأوروبية، وتوفي سنة ٧٧٩هـ.

(٢) محل اجتماع من يأتي إليها ومن يترج عنها.

(٣) الرحل: ما يجعل على ظهر البعير للركوب.

(٦)

اشرح البيت الآتي، وبين نوع الطباق به :

والتُّبُّ يَنْهَضُ فِي الشُّبَابِ كَأَنَّهُ لَيْلٌ يَصْبِيحُ بِجَانِبَيْهِ نَهَارٌ^(١)

(٣) المقابلة

الأمثلة :

١ - قال عليه السلام للأَنْصار: «إِنْكُمْ لَتَكْثُرُونَ عِنْدَ الْفَرْعِ، وَتَقْلُونَ عِنْدَ الطَّمْعِ».

٢ - وقال خالد بن صَفْوَانَ يَصِفُ رَجُلًا: لَيْسَ لَهُ صَدِيقٌ فِي السَّرِّ، وَلَا عَدُوٌّ فِي الْعَلَانِيَةِ.

* * *

٣ - قال بعض الخلفاء: مَنْ أَقْعَدْتَهُ بِكَايَةِ اللَّثَامِ، أَقَامَتْهُ إِعَانَةُ الْكِرَامِ.

٤ - وقال عبد الملك بن مَرْوَانَ^(٢): مَا حَمَدْتُ نَفْسِي عَلَى مَحْبُوبٍ ابْتَدَأَتْهُ بِغَجَزٍ، وَلَا لُمْتُهَا عَلَى مَكْرُوهٍ ابْتَدَأَتْهُ بِحَزَمٍ.

البحث :

إذا تأملت مثالي الطائفة الأولى وجدت كل مثال منهما يشتمل في صدره على معنيين، ويشتمل في عجزه على ما يقابل هذين المعنيين على الترتيب، ففي المثال الأول بين النبي عليه السلام صفتين من صفات الأنصار في صدر الكلام وهما الكثرة والفرع، ثم قابل ذلك في آخر الكلام بالقلة والطمع على الترتيب، وفي المثال الثاني قابل خالد بن صفوان الصديق والسر بالعدو والعلانية.

انظر مثالي الطائفة الثانية تجد كلاً منهما مشتملاً في صدره على أكثر من معنيين، ومشتملاً في العجز على ما يقابل ذلك على الترتيب، وأداء الكلام على هذا النحو يسمى مقابلة.

(١) البيت للفَرَزْدَقِ، والمراد بالشباب هنا الشعر الأسود.

(٢) ملك من أعظم ملوك بني أمية ودهاتها، انتقلت إليه الخلافة بموت أبيه سنة ٦٥هـ فضبط أمورها، ونقلت في أيامه الدواوين من الفارسية والرومية إلى العربية، وهو أول من صك الدنانير في الإسلام، وكان واسع العلم والمعرفة، توفي سنة ٨٦هـ.

والمقابلة في الكلام من أسباب حسنه وإيضاح معانيه، على شرط أن تتاح للمتكلم عفواً، وأما إذا تكلفها وجري وراءها، فإنها تعتقل المعاني وتحبسها، وتحرم الكلام رونق السلاسة والسهولة.

القاعدة

(٧٣) الْمُقَابَلَةُ أَنْ يُؤْتَى بِمَعْنَتَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ، ثُمَّ يُؤْتَى بِمَا يُقَابَلُ ذَلِكَ عَلَى التَّرْتِيبِ.

تعميمات

(١)

يُبين مواقع المقابلة فيما يأتي.

١ - رَوَتْ عَائِشَةُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ:

«عَلَيْكَ بِالرَّفْقِ يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّهُ مَا كَانَ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا تُزْعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ».

٢ - وَقَالَ بَعْضُ الْبُلْغَاءِ: كَدُرُ الْجَمَاعَةِ خَيْرٌ مِنْ صَفْوِ الْفِرْقَةِ.

٣ - وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ﴾.

٤ - وَقَالَ جَرِيرٌ:

وَبَاسِطُ خَيْرٍ فَيْكُمْ بِمِيزَانِهِ وَقَابِضُ شَرٍّ عَنْكُمْ بِشِمَالِهِ

٥ - وَقَالَ الْبَحْتَرِيُّ:

فَإِذَا حَارَبُوا أَذَلُّوا عَزِيزاً وَإِذَا سَالَمُوا أَعَزُّوا ذَلِيلًا

٦ - وَقَالَ الشَّرِيفُ:

وَمَنْظَرٌ كَانَ بِالسَّوَاءِ يُضْحِكُنِي يَا قُرْبَ مَا عَاذَ بِالضَّرَاءِ يُبْكِينِي

٧ - وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَيْكِلَا تَأْسَرَا عَلَى مَا قَاتَكُمُ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمُ﴾.

٨ - وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظُهُورٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ الْمَذَابُ﴾.

٩ - وَقَالَ النَّابِغَةُ الْجُمَيْدِيُّ:

فَتَى كَانَ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ عَلَى أَنْ فِيهِ مَا يَسُوءُ الْأَعَادِيَا

١٠ - وَقَالَ أَبُو تَمَامٍ:

يَا أُمَّةَ كَانَ قُبْحُ الْجَوْرِ يُسْخِطُهَا دَهْرًا فَأَصْبَحَ حُسْنُ الْعَذْلِ يُرْضِيهَا

١١ - وقال أيضاً:

قَدْ يُلْجِمُ اللَّهُ بِالْجُلُوزِ وَإِنْ عَظُمَتْ وَيُنْجِلِي اللَّهُ بَعْضَ الْقَوْمِ بِالنُّعْمِ
١٢ - وقال تعالى: ﴿ثُمَّ مَرَّ أَهْلُ الْاَلْفِ ۖ وَكَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۚ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ مِنَ الْمُسْتَعِزِّينَ ۚ﴾^(١) وَكَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۚ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ مِنَ الْمُسْتَعِزِّينَ ۚ

١٣ - وقال المعري:

يَا دَفْعُ يَا مُنْجَزُ إِعَادِهِ وَمُخْلِفُ الْمَأْمُولِ مِنْ وَغْدِهِ

(٢)

ميز الطباق من المقابلة فيما يأتي:

١ - ﴿فَأَرْسَلْنَاكَ بِآيَاتِنَا أَنْتَ وَآيَاتُنَا حَسُنَتْ﴾.

٢ - وقال تعالى: ﴿وَأَنْتَ هُوَ أَمْسَكَ وَاتَّك ۖ وَأَنْتَ هُوَ أَمَاتَ وَآلَمَات ۖ﴾.

٣ - وقال تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَمْشِكْ سَبِيلَهُ ۚ وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَضِلَّهُ يُضِلَّهُ ۚ يَجْعَلْ سَبِيلَهُ صَبِيحًا حَرَبًا﴾.

٤ - وقال أبو الطيب:

أَزُورُهُمْ وَسَوَادُ اللَّيْلِ يَشْفَعُ لِي وَأَتَشْنِي وَيَبَاضُ الصُّبْحُ يُغْثِرِي بِي

٥ - الكريم واسع المغفرة، إذا ضاقت المعذرة.

٦ - غَضِبُ الجاهل في قوله، وغَضِبُ العاقل في فعله.

٧ - وقال المنصور: لا تخرجوا من عز الطاعة إلى ذل المعصية.

٨ - لَيْسَ سَامَنِي أَنْ يَلْبِسَنِي بِمَاءٍ لَقَدْ سَرَّنِي أَنِّي خَطَرْتُ بِإِلِكِ

٩ - وقال النابغة:

وإن مبطاً سهلاً أنازا عجاجةً وإن علوا حزناً تشظت جنادل^(١)

١٠ - قال أوس بن حجر:

أَطْعَمْنَا رَبَّنَا وَعَصَاهُ قَوْمٌ فَذُقْنَا طَعْمَ طَاعَتِنَا وَذَأْوَا

(١) تشظت جنادل: تكسرت حجارة.

(٣)

إيت بمقابل الألفاظ الآتية، ثم كوّن منها ومن أضدادها بعض أمثلة للطباق،
وبعض أمثلة أخرى للمقابلة:

قَدَم. الليل. الصحة. الحياة. الخير. المنع. الغنى.

(٤)

- ١ - هات مثالين للمقابلة تُقابل في كل منهما معنيين بآخرين.
- ٢ - هات مثالين للمقابلة تُقابل في كل منهما ثلاثة معان بثلاثة أخرى.

(٥)

اشرح البيت الآتي، وهل ترى أن الشاعر وُفق فيه إلى المقابلة؟
لِمَنْ تَطْلُبُ الدُّنْيَا إِذَا لَمْ تُرِدْ بِهَا سُرُورٌ مُجِبٌّ أَوْ إِسَاءَةٌ مُجْرِمٍ

(٤) حسن التعليل

الأمثلة:

- ١ - قال المعري في الرثاء: وَمَا كُلُّفَةُ الْبَذْرِ الْمُنِيرِ قَدِيمَةً وَلَكِنَّهَا فِي وَجْهِهِ أَثَرُ اللَّطَمِ^(١)
- ٢ - وقال ابن الرومي: أَمَا دُكَاءٌ فَلَمْ تَضْفَرْ إِذْ جَنَحَتْ إِلَّا لِفُرْقَةٍ ذَاكَ الْمُنْتَظَرِ الْحَسَنِ
- ٣ - وقال آخر في قِلَّةِ المطر بمصر: مَا قَصَرَ الْغَيْثُ عَنْ بَضْرٍ وَثَرَبَتِهَا طَبْعاً وَلَكِنْ تَعْدَاكُمْ مِنَ الْخَجَلِ

(١) الكلفة: كدرة تملو الوجه.

البحث:

يرثي أبو العلاء في البيت الأول ويبالغ في أن الحزن على المراثي شجل كثيراً من مظاهر الكون، فهو لذلك يدعي أن كلفة البدر وهي ما يظهر على وجهه من كدرة، ليست ناشئة عن سبب طبيعي، وإنما هي حادثة من اللطم على فراق المراثي.

ويرى ابن الرومي في البيت الثاني أن الشمس لم تُصَفَّر عند الجنوح إلى المغيب للسبب الكوني المعروف عند العلماء. ولكنها اصفرت مخافة أن تفارق وجه الممدوح. وينكر الشاعر في البيت الثالث الأسباب الطبيعية لقلة المطر بمصر، ويتلمس لذلك سبباً آخر هو أن المطر يخجل أن ينزل بأرض يعُمُّها فضل الممدوح وجوده؛ لأنه لا يستطيع مباراته في الجود والعطاء.

فأنت ترى في كل مثال من الأمثلة السابقة أن الشاعر أنكر سبب الشيء المعروف والتجأ إلى علة ابتكرها تناسب الغرض الذي يرمي إليه، ويسمى هذا الأسلوب من الكلام حسن التعليل.

القاعدة

(٧٤) حُسْنُ التَّغْلِيلِ أَنْ يُتَكَبَّرَ الْأَدِيبُ صَرَاحَةً أَوْ ضَمْنًا عِلَّةَ الشَّيْءِ الْمَعْرُوفَةِ، وَيَتَأَنَّى بَعْلَةً أَدَبِيَّةً طَرِيقَةً تُنَاسِبُ الْغَرَضَ الَّذِي يَقْصِدُ إِلَيْهِ.

تعميمات

(١)

وَضَحَ حُسْنُ التَّغْلِيلِ فِي الْآيَاتِ الْآتِيَةِ:

١ - قال ابن نباتة:

لَمْ يَزَلْ جُودُهُ يَجُورُ عَلَى أُمَالٍ إِلَى أَنْ كَسَا التُّضَارَاضُ اضْغِرَارًا

٢ - وقال شاعر يمدح ويُعلل لزلزال حدث بمصر:

مَا زُلْزَلْتُ بِضَرْ مِنْ كَيْدٍ يَرَاؤُهَا وَإِنَّمَا رَقَصْتُ مِنْ عَذْلِهِ طَرِبَا
٣ - أَرَى بِذَرِ السَّمَاءِ يَلُوحُ حِينًا وَيَجْدُو نَمَّ يَلْتَجِفُ السُّحَابَا
وَذَاكَ لِأَنَّهُ لَمْ يَأْتِ بِدَى وَأَبْضُرَ وَجْهَكَ اسْتَحْيَا وَغَابَا

٤ - وقيل في وصف فرس أدهم ذي غرة^(١):

وأدهم كالشُرَاب سَوَاد لَوْنٍ يَطِيرُ مَعَ الرِّيحِ وَلَا جَنَاحَ
كُسَاءَ اللَّيْلِ شَمَلَتْهُ وَوَلَّى فُقُبْلَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ الصُّبَاحِ^(٢)

٥ - وقال ابن نباتة السعدي في فرس مُحَجَّل^(٣) ذي غرة:

وأدهم يَسْتَمِيدُ اللَّيْلُ مِنْهُ وَتَطْلُعُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ الشَّرِبَا^(٤)
سرى خَلْفَ الصُّبَاحِ يَطِيرُ زَهْرًا وَيَطْوِي خَلْفَهُ الْأَفْلَاقَ طَبَا^(٥)
فلما خَافَ وَشَكَ الْقَوْتَ مِنْهُ تَشَبَّثَ بِالْقَوَائِمِ وَالْمُحِبَا^(٦)

٦ - وقال الأرجاني:

أبدى صَنِيمُكَ تَقْصِيرَ الزَّمَانِ فَنِي وَقَتِ الرِّبِيعِ طُلُوعَ الْوَرْدِ مِنْ خَجَلِ
٧ - وقال بعضهم يرثي كاتباً:

اسْتَشْمَرَ الْكُتَّابُ فَقَدْكَ سَالِفًا وَقَضَّتْ بِصِحَّةِ ذَلِكَ الْأَيَّامِ
فَلِلَّذَاكَ مَوَدَّةٌ الدُّوَيِّ كَأَبَّةٍ أَسْفَا عَلَيْكَ وَشَقَّتِ الْأَقْلَامِ
٨ - وقال آخر:

سَبَقْتُ إِلَيْكَ مِنَ الْحَدَائِقِ وَزُدَّةً وَأَتَشَكَ قَبْلَ أَوَانِهَا تَطْفِيلًا^(٧)
طَجِعْتُ بِلَثْمِكَ إِذْ رَأَيْتُكَ فَجُمِعْتُ فَمَهَا إِلَيْكَ كَطَائِبِ تَقْبِيلًا
٩ - لَا يَطْلُعُ الْبَدْرُ إِلَّا مِنْ تَشْوِقِهِ إِلَيْكَ حَتَّى يُوَافِي وَجْهَكَ النُّصْرَا
١٠ - بَكَتْ فَقَدْكَ الدُّنْيَا قَدِيمًا بِدَمْعِهَا فَكَانَ لَهَا فِي سَالِفِ الدُّهْرِ طُوفَانًا^(٨)

(١) الأدهم: الأسود، والغرة: بياض في جبهة الفرس.

(٢) الشملة: ثوب يتلفف به.

(٣) التحجيل: بياض في قوائم الفرس.

(٤) يقول: إن الفرس لشدة سواده يستعير الليل لونه، ويشبه الشاعر غرة الفرس بالثرثرا.

(٥) الزهو: الكبر والفخر، والأفلاك: جمع فلك وهو مدار النجوم.

(٦) وشك الفتوت: سرعته، والتشبث: يعلق، يقول: إن الصباح لما خاف أن يسبقه الفرس تعلق بقوائمه ووجهه لينتفعه السبق.

(٧) أتتك تطفيلاً: أتتك بلا دعوة منك.

(٨) الطوفان: المطر الغالب والماء الغالب يغشى كل شيء، يريد الشاعر الطوفان الذي حدث في زمن نوح عليه السلام.

(٢)

عَلَّلَ لِمَا يَأْتِي بِعَلَلٍ أَدْبِيَّةٍ طَرِيفَةً:

- ١ - دُنُو السحاب من الأرض.
- ٢ - احتراق دار غَابَ عنها أهلوها.
- ٣ - كُسُوف الشمس.
- ٤ - نزول المطر في يوم مات فيه عظيم.

(٣)

مَثَلُ تَمَثَالِينَ مِنْ إِنْشَائِكَ لِحَسَنِ التَّعْلِيلِ.

(٤)

اشرح البيتين الآتين، وبين ما فيهما من حسن التعليل، وهما لأبي الطيب في المدح:

أَلَسْتُ ابْنَ الْأَلَى سَمِعُوا وَسَادُوا وَلَمْ يَلِدُوا امْرَأً إِلَّا نَجِيبًا
وما ربح الرياض لها ولكن كَسَاهَا دَفْنُهُمْ فِي الثَّرْبِ طِيبًا

(٥ و ٦) تَأْكِيدُ الْمَدْحِ بِمَا يُشْبَهُ الدَّمَّ وَعَكْسُهُ

الأمثلة:

- ١ - قال ابن الرومي:
- لَيْسَ بِهِ عَيْبٌ يَزِي أَنَّهُ لَا تَقْعُ الْفَيْنُ عَلَى شِبْهِهِ
- ٢ - وقال آخر:
- وَلَا عَيْبٌ فِي مَعْرُوفِهِمْ غَيْرَ أَنَّهُ يُبَيِّنُ عَجَزَ الشَّاكِرِينَ غِنَى الشُّكْرِ

- ٣ - وقال عليه السلام: «أَنَا أَفْضَحُ الْعَرَبِ بَيِّنَاتِي مِنْ قُرَيْشٍ».

- ٤ - وقال النابغة الجعدي:

فَتَى كَمُلْتَ أَخْلَاقُهُ غَيْرَ أَنَّهُ جَوَاذُ فَمَا يُبْقِي عَلَى الْمَالِ بَاقِيَا
البحث:

لا أظنك تتردد في أن الأمثلة السابقة جميعها تفيد المدح ولكنها وُضعت في أسلوب غريب لم تُعْهَدْ، ولذلك نرى أن نشرحه لك.

صَدُرَ ابن الرومي في المثال الأول كلامه بنفي العيب عامة عن ممدوحه، ثم أتى بعد ذلك بأداة استثناء هي «سوى» فسبق إلى وهم السامع أن هناك عيباً في الممدوح، وأن ابن الرومي سيكون جريئاً في مصارحته به، ولكن السامع لم يلبث أن وجد بعد أداة الاستثناء صفةً مدح، فراع هذا الأسلوب، ووجد أن ابن الرومي خدعه فلم يذكر عيباً، بل أكد المدح الأول في صورة توهم الذم، ومثل ذلك يقال في المثال الثاني.

انظر إلى المثال الثالث تجد أن النبي ﷺ وصف نفسه بصفة ممدوحة وهي أنه أفصح العرب، ولكنه أتى بعدها بأداة استثناء فدهش السامع، وظن أن النبي ﷺ سيذكر بعدها صفةً غير محبوبة. ولكن سرعان ما هدأت نفسه حين وجد صفة ممدوحة بعد أداة الاستثناء، وهي أنه من قريش، وقريش أفصح العرب غير منازعين. فكان ذلك تأكيداً للمدح الأول في أسلوب ألف الناس سماعه في الذم، وكذلك يقال في المثال الأخير. ويسمى هذا الأسلوب في جميع الأمثلة المتقدمة وما جاء على شاكلتها تأكيد المدح بما يشبه الذم.

وهناك أسلوب لتوكيد الذم بما يشبه المدح وهو كالأسلوب السابق، له صورتان: فالأولى نحو: لا جمال في الخطبة إلا أنها طويلة في غير فائدة، والثانية نحو: القوم شبحاً إلا أنهم جبناء.

القواعد

(٧٥) تَأْكِيدُ الْمَدْحِ بِمَا يُشْبَهُ الذَّمَّ ضَرَبَانِ:

- ١ - أَنْ يُسْتَقْبَلَ مِنْ صِفَةٍ ذَمٌّ مُنْفِيَةٌ صِفَةً مَدْحٍ.
- ب - أَنْ يُتْبَعَ لِشَيْءٍ صِفَةٌ مَدْحٍ، وَيُؤْتَى بَعْدَهَا بِأَدَاةِ اسْتِثْنَاءٍ تَلِيهَا صِفَةٌ مَدْحٍ أُخْرَى.

٧٦ - تَأْكِيدُ الذَّمِّ بِمَا يُشْبَهُ الْمَدْحَ ضَرَبَانِ:

- ١ - أَنْ يُسْتَقَى مِنْ صِفَةٍ مَذْحٍ مُتَقِيَةٍ صِفَةٌ دَمٌ .
 ب - أَنْ يُنْبِتَ لِشَيْءٍ صِفَةٌ دَمٌ، ثُمَّ يُؤْتَى بِغَدَاةٍ بِأَدَاةٍ اسْتِثْنَاءٍ^(١) تَلِيهَا صِفَةٌ دَمٌ أُخْرَى .

تعميمات

(١)

إشرح ما في الأمثلة الآتية من تأكيد المدح بما يشبه الذم، وبين ضربه:

- ١ - قال ابن نباتة المصري:
 وَلَا عَيْبَ فِيهِ غَيْرَ أَلَيَّ قَصْدُهُ فَأَسْتَنْبِي الْأَيَّامَ أَهْلًا وَمَوْطِنًا
 ٢ - وَجُودٌ كَأَزْهَارِ الرِّبَاضِ نَضَارَةٌ وَلِكَيْفَهَا يَوْمَ الْهَيَاجِ صُخُورُ
 ٣ - وَلَا عَيْبَ فِيكُمْ غَيْرَ أَنَّ ضَيُوفَكُمْ تُعَابُ بِنِشْيَانِ الْأَجِبَةِ وَالْوَطَنِ
 ٤ - هُمْ فُرْسَانُ الْكَلَامِ إِلَّا أَنَّهُمْ سَادَةُ أَمْجَادِ .

(٢)

إشرح ما في الأمثلة الآتية من تأكيد الذم بما يشبه المدح، وبين ضربه:

- ١ - لَا فَضْلَ لِلْقَوْمِ إِلَّا أَنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ لِلجَارِ حَقَّهُ .
 ٢ - الْكَلَامُ كَثِيرُ التَّعْقِيدِ سِوَى أَنَّهُ مُبْتَدَلُ الْمَعَانِي .
 ٣ - لَا حُسْنَ فِي الْمَنْزِلِ إِلَّا أَنَّهُ مُظْلَمٌ ضَيْقُ الْحَجَرَاتِ .

(٣)

بين ما في الأمثلة الآتية من تأكيد المدح بما يشبه الذم وعكبه:

- ١ - قال صفي الدين الحلي^(٢):
 لَا عَيْبَ فِيهِمْ سِوَى أَنَّ النِّزِيلَ بِهِمْ يَسْلُو عَنْ الْأَهْلِ وَالْأَوْطَانِ وَالْحَشَمِ

(١) ومثل أداة الاستثناء في ذلك أداة الاستدراك.

(٢) شاعر الجزيرة، ولد ونشأ في الحلة بين الكوفة وبغداد ثم تأدب ونظم الشعر وأجاده، وهو من أئمة البديع المغالين في استعماله بلا كثير تكلف، وله ديوان شعر، وتوفي ببغداد سنة ٧٥٠هـ.

- ٢ - لا خير في هؤلاء القوم إلا أنهم يعيون زمانهم والعيب فيهم.
- ٣ - وَلَا غَيْبٌ فِيهِ لِإِنْرَى غَيْرَ أَنَّهُ تُعَابٌ لَهُ الدُّنْيَا وَلَيْسَ يُعَابُ
- ٤ - هُوَ بِذِيءُ اللِّسَانِ غَيْرَ أَنَّ صَدْرَهُ مَجْمَعُ الْأَضْغَانِ.
- ٥ - تُعَدُّ دُنُوبِي عِنْدَ قَوْمٍ كَثِيرَةٍ وَلَا ذَنْبٌ لِي إِلَّا الْعُلَا وَالْقَضَائِلُ
- ٦ - لَا عِزَّةَ لَهُمْ بَيْنَ الْعَشَائِرِ غَيْرَ أَنَّ جَارَهُمْ ذَلِيلٌ.
- ٧ - الْجَاهِلُ عَدُوٌّ نَفْسِهِ لِكَثْرِ صَدِيقِ السُّفَهَاءِ.
- ٨ - لَا عَيْبَ فِي الرُّوْضِ إِلَّا أَنَّهُ عَلِيلُ النَّسِيمِ.

(٤)

- ١ - إِمْدَحُ كِتَابًا قَرَأْتَهُ وَأَكَّدَ الْمَدْحَ بِمَا يَشْبَهُ الذَّمَّ.
- ٢ - إِمْدَحُ بِلْدًا زَرْتَهُ وَأَكَّدَ الْمَدْحَ بِمَا يَشْبَهُ الذَّمَّ.
- ٣ - دُمُ طَرِيقًا سَلَكَتُهَا، وَأَكَّدَ الذَّمَّ بِمَا يَشْبَهُ الْمَدْحَ.

(٥)

اشرح البيتين الآتين وبين في أسلوبهما تأكيد المدح بما يشبه الذم:

مَدَحْتُكُمْ بِمَدِيحِ لَوْ مَدَحْتُ بِهِ بَخَرُ الْحِجَازِ لِأَعْنَتْنِي جَوَاهِرُهُ^(١)
لَا غَيْبٌ لِي غَيْرَ أَنِّي مِنْ دِيَارِكُمْ وَزَايَرُ الْحَيِّ لَمْ تُطْرِبْ مَزَايِرُهُ

(١) يريد ببحر الحجاز بحر عمان حيث يخاص على اللؤلؤ.

(٧) أسلوب الحكيم

الأمثلة:

١ - قال تعالى: ﴿يَسْتَلْزِمُكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلٌّ مِنْ مَوَاقِيتِ الْفَنَائِيسِ وَالْمَجْهُوجِ﴾.

٢ - وقال ابن حجاج^(١):

قَالَ ثَقُلْتُ إِذْ أَتَيْتُ بَرَارًا ثَقُلْتُ ثَقُلْتُ كَامِلِي بِالْأَيَادِي^(٢)
قَالَ طَوَّلْتُ قُلْتُ أَوَّلَيْتُ طَوَّلًا قَالَ أَبْرَزْتُ قُلْتُ حَبْلٌ وَذَادِي^(٣)

البحث:

قد يخطبك إنسان أو يسألك سائل عن أمر من الأمور فتجد من نفسك ميلاً إلى الإعراض عن الخوض في موضوع الحديث أو الإجابة عن السؤال لأغراض كثيرة منها أن السائل أعجز من أن يفهم الجواب على الوجه الصحيح، وأنه يَجْمَلُ به أن ينصرف عنه إلى النظر فيما هو أنفع له وأجدى عليه، ومنها أنك تخالف محدثك في الرأي ولا تريد أن تجبه برأيك فيه، وفي تلك الحال وأمثالها تصرفه في شيء من اللباقة عن الموضوع الذي هو فيه إلى ضرب من الحديث تراه أجدر وأولى.

انظر إلى المثال الأول تجد أن أصحاب الرسول ﷺ سألوه عن الأهله، لم يبدؤوا صغيرة ثم تزداد حتى يتكامل نورها ثم تتضاءل حتى لا تَرَى، وهذه مسألة من مسائل علم الفلك يُحتاج في فهمها إلى دراسة دقيقة طويلة فصرفهم القرآن الكريم عن هذا ببيان أن الأهله وسائل للتوقيات في المعاملات والعبادات؛ إشارة منه إلى أن الأولى بهم أن يسألوه عن هذا، وإلى أن البحث في العلوم يجب أن يُرْجَأ قليلاً حتى تتوطد الدول وتُسْتَقَرَّ صخرة الإسلام.

وصاحبُ ابن حجاج في المثال الثاني يقول له قد ثَقُلْتُ عليك بكثرة زياراتي فيصرفه عن رأيه في أدب وظرف وينقل كلمته من معناها إلى معنى آخر، ويقول له:

(١) هو أبو عبد الله بن أحمد البغدادي، شاعر فكه مقتدر على المعاني التي يديرها، كثير الهزل والفحش في شعره، وله ديوان شعر كبير، توفي سنة ٣٩١هـ.

(٢) الكاهل: ما بين الكتفين.

(٣) طولت: اطالت الإقامة، والطول: التفصيل والإحسان، أبرمت من معانيها: املتت، ومن معانيها أحكمت فتل الحبل.

إِنَّكَ ثَقُلْتَ كَاهِلِي مِمَّا أَغْدَقْتَ عَلَيَّ مِنْ نِعَمٍ. ومثل ذلك يقال في البيت الثاني، وهذا النوع من البديع يسمى: أسلوب الحكيم.

القاعدة

(٧٧) أَسْلُوبُ الْحَكِيمِ تَلْقَى الْمُخَاطَبَ بِغَيْرِ مَا يَتَرَقَّبُهُ، إِنَّمَا يَتَرَكُّ سَوَالَهُ وَالْإِجَابَةَ عَنْ سَوَالٍ لَمْ يَسْأَلْهُ، وَإِنَّمَا يَحْمِلُ كَلَامَهُ عَلَى غَيْرِ مَا كَانَ يَقْصِدُ؛ إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُ كَانَ يَتَّبَعِي لَهُ أَنْ يَسْأَلَ هَذَا السُّوَالِ أَوْ يَقْصِدَ هَذَا الْمَعْنَى.

تمرينات

(١)

يُبَيِّنُ كَيْفَ جَاءَ الْكَلَامُ عَلَى أَسْلُوبِ الْحَكِيمِ فِي الْأَمْثَلَةِ الْآتِيَةِ:

- ١ - وَلَقَدْ أَتَيْتُ لِمُصَاحِبِي وَسَأَلْتَهُ فِي قَرْصٍ دِينَارٍ لِأَمْرٍ كَانَا فَاجَابَنِي وَاللَّهِ دَارِي مَا حَوِثٌ عَيْنِي فَقُلْتُ لَهُ وَلَا إِلْسَانِي^(١)
- ٢ - قِيلَ لِشَيْخٍ هَرَمَ: كَمْ سِنِكَ؟ فَقَالَ: إِنِّي أَنْعَمُ بِالْعَافِيَةِ.
- ٣ - قِيلَ لِرَجُلٍ: مَا الْغِنَى؟ فَقَالَ: الْجُودُ أَنْ تَجُودَ بِالْمَوْجُودِ.
- ٤ - سئل غريبٌ عن دينه واعتقاده، فقال: أَحِبُّ لِلنَّاسِ مَا أَحِبُّ لِنَفْسِي.
- ٥ - قيل لتاجر: كَمْ رَأْسُ مَالِكَ؟ فَقَالَ: إِنِّي أَمِينٌ وَثَقَّةٌ النَّاسِ بِي عَظِيمَةٌ.
- ٦ - قَالَ الْحُجَّاجُ لِلْمُهَلَّبِ: أَنَا أَطُولُ أَمْ أَنْتَ؟ فَقَالَ: أَنْتَ أَطُولُ^(٢) وَأَنَا أَبْسُطُ قَامَةً.
- ٧ - سئل أَحَدُ الْعُمَالِ مَا ادْخَرْتَ مِنَ الْمَالِ؟ فَقَالَ: لَا شَيْءَ يَعَادِلُ الصَّحَّةَ.
- ٨ - دَخَلَ سَيِّدُ بَنِي أَنْسٍ عَلَى الْمَأْمُونِ فَقَالَ لَهُ الْمَأْمُونُ: أَنْتَ السَّيِّدُ، فَقَالَ: أَنْتَ السَّيِّدُ وَأَنَا ابْنُ أَنْسٍ.

٩ - طَلَبْتُ مِنْهُ دِزْهَمًا يَزُومًا فَأَظْهَرَ الْعَجَبَ وَقَالَ دَا مِنْ فِضَّةٍ يُضْنَعُ لَا مِنْ الذَّهَبِ

(١) العين: الذهب والياصرة، والإنسان قد يراد به إنسان العيين وقد يراد به أحد بني آدم.

(٢) من معاني أطول أنها اسم تفضيل من الطول ضد القصير؛ وأنها اسم تفضيل من الطول بمعنى التفضيل.

١٠ - قال تعالى: ﴿يَتْلُوَنَّكَ مَا دَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّهِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾.

١١ - لما توجه خالد بن الوليد لفتح الحيرة أتى إليه من قِبَل أهلها رجل ذو تجربة، فقال له خالد: فيم أنت؟ قال: في ثيابي، فقال: علام أنت؟ فأجاب: على الأرض؛ فقال: كم سنك؟ قال: اثنتان وثلاثون، فقال: أسألك عن شيء وتجيبي بغيره؟ فقال: إنما أجبت عما سألت.

١٢ - ولما نعى الناعي سألناه خشيةً وللعين خوف البين نسكابُ أمطار
أجاب قضى! قلنا قضى حاجة العلاء فقال مضى! قلنا بكل فُخار^(١)

(٢)

إِذَا سُئِلَتِ الْأَسْئَلَةُ الْآتِيَةُ وَأُرِدَتْ أَنْ تَتَّبِعَ أُسْلُوبَ الْحَكِيمِ فَكَيْفَ تَجِيبُ؟

١ - ما دخلُ أهلك؟

٢ - أين منزلك؟

٣ - ما ثمنُ هذه الحُلَّة؟

٤ - كم سنة قضيت في التعليم الثانوي؟

(٣)

كُونْ مِثَالِينَ مِنْ إِنْسَانِكَ تَجْرِي فِيهِمَا عَلَى أُسْلُوبِ الْحَكِيمِ.

(٤)

اشرح البيتين الآتين وبين النوع البديعي الذي فيهما:

جاءني ابنسي يوماً وكنتُ أراه لي ربحاءةً ومضدز أنس
قال ما الروح؟ قلتُ إنك رُوحِي قال ما النفسُ؟ قلتُ إنك نفسي
والحمد لله أولاً وآخراً

(١) قضى من معانيها مات، وأدى، ومضى من معانيها مات؛ ومضى بكذا ذهب به واختص.

أسئلة امتحان شهادة الدراسة الثانوية للقسم الثاني

(١) أسئلة الدور الأول

أجب عن الأسئلة الأربعة الآتية:

١ - هاتِ مثالين للهمزة التي يُطلَبُ بها التصور، وآخرين للهمزة التي يُطلَبُ بها التصديق، وأبِ بجواب الاستفهام في كلِّ مثال.

٢ - تكلم من علم البيان على البيتين الأخيرين من قول الشريف:

ولَيْلَةٌ خَضَّتْهَا عَلَى عَجَلٍ وَضَبَّحَهَا بِالظَّلَامِ مُغْتَصِمٌ
تَطْلُعُ الْفَجْرُ فِي جَوَائِبِهَا وَاثْقَلَتْ مِنْ عِقَالِهَا الظُّلُمُ
كَأَنَّمَا الدُّجْنُ فِي تَزَاحِبِهِ خَيْلٌ لَهَا مِنْ بُرُوقِهِ لُجَمُ

الدُّجْنُ = الغَيْمُ

٣ - إذا علمت أن «مَقِيلًا» و«مَقَالًا» اسما مكان، فما مضارع كل منهما مع بيان السبب.

٤ - أعرب البيت الآتي إعراباً موجزاً:

سلام إذا لم تكن لُقيّة وإن يداً أن تردوا السلاما

يداً = نعمة

أجب عن سؤالين من الأسئلة الآتية:

١ - خطب أبو بكر رضي الله عنه فكان ممّا قال:

«أيها الناس! إنّي وُلِّيتُ عليكم، ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن زُغنت فقوموني».

يُن سبب ما جاء في الجمل السابقة من فصل ووصل .

٢ - تقول العرب فيمن جاهر قوماً بالعداوة :

«لبس لهم جلد الثَّيْر، وجلد الأَزْقَم، وقَلَب لهم ظَهْر المِجَن» .

الأزقم = الحيَّة . المجن = الترس

فَمَنْ تُسَمِّي هذا الضرب من التعبير في علم البيان؟ وما سرُّ البلاغة فيه؟

٣ - تكلم من علم البيان على قول أعرابي:

«كنتُ في شبابي أَعْضُ على الملام، عَضُ الجواد على اللجام . حتى أخذ المشيبُ
ببناني» .

٤ - هاتِ مثلاً للتورية في وصف غناء الطيور، مستعملاً كلمة «عود» .

(٢) أسئلة الدور الثاني

أجب عن الأسئلة الأربعة الآتية:

١ - قد ينادى القريب بأداة لنداء البعيد، وقد ينادى البعيد بأداة لنداء القريب فما الأغراض البلاغية لذلك؟ مثل .

٢ - تكلم من علم البيان على قول الشريف في الشيب:

ضوءٌ تُشْفِشع في سوادِ دَوائبي لا أَسْتَضِيء به ولا أَسْتَضِيحُ
بعثُ الشبابِ به على مِقْوٍ له بَيْعُ المعلمِ بأنه لا يربحُ
المِقْوَةُ: المحبة

٣ - يقولون إنَّ التصغير يردُّ الأشياء إلى أصولها، فكيف توضح ذلك بتصغير ما يأتي:

دار - صيغة - موقظ

٤ - أعرب البيت الآتي إعراباً موجزاً:

أجب عن سؤالين من الأسئلة الآتية:

١ - بيّن الغرض من الاستفهام في البيت الآتي:

وهل نافعني أن ترفع الحجب بيننا ودون الذي أملت منك حجاب؟

٢ - بيّن في البيت الآتي الجمل الأصلية والفرعية، ونوعها من حيث الاسمية والفعلية. وإذا كان به إطناب فأين هو؟ وما اسمه؟

ليس الزمان وإن حرصت مُسالماً خُلِقَ الزمان عداوة الأحرار

٣ - اجعل كلاً مما يأتي مشبهاً به في تشبيه تمثيل:

أ - الهلال يبدو صغيراً، ثم ينمو، ثم يصير بديراً.

ب - العواصف تدع النبات الضعيف، وتقصف الأشجار العالية.

٤ - اكتب سيجعتين في آخر كل منهما كلمة «الراحة» وسم هذا النوع.

فهرس المحتويات

٣ تقديم
٥ مقدمة المؤلفين
٧ مقدمة: الفصاحة، البلاغة، الأسلوب
١٩ علم البيان: التشبيه
١٩ (١) أركانهُ
٢٣ (٢) أقسام التشبيه
٣٣ (٣) تشبيه التمثيل
٤٣ (٤) التشبيه الضمني
٤٩ (٥) أغراض التشبيه
٥٦ (٦) التشبيه المقلوب
٦١ (٧) بلاغة التشبيه وبعض ما أثير منه عن العرب والمُحدثين
٦٤ الحقيقة والمجاز المجاز اللغوي
٧٠ (١) الاستعارة التصريحية والمُكنية
٧٦ (٢) تقسيم الاستعارة إلى أَصْلِيَّة وَتَبَعِيَّة
٨٢ (٣) تقسيم الاستعارة إلى مرشحة ومجردة ومُطلقة
٨٩ (٤) الاستعارة التمثيلية
٩٨ (٥) بلاغة الاستعارة
١٠٠ (٦) المجاز المرسل
١٠٧ المَجَازُ العَقْلِي
١١٣ بلاغةُ المجاز المرسل والمجاز العقلي

١١٤ الكناية
١٢٢ بلاغة الكناية
١٢٤ أثر علم البيان في تأدية المعاني
١٣٤ الخَبَرُ
١٣٤ (١) الغرض من إلقاء الخبر
١٤٢ (٢) أَضْرَبَ الخبر
١٤٩ (٣) خُرُوجُ الخبر عن مُقْتَضَى الظاهر
١٥٤ الإنشاء تقسيمه إلى طلبي وغير طلبي
١٦٢ الإنشاء الطلبي
١٦٢ (١) الأمر
١٧٠ (٢) النهي
١٧٧ (٣) الاستفهام وأدواته
١٩٠ (٤) التمني
١٩٣ (٥) النداء
٢٠١ تقسيم القَصْرِ إلى حقيقي وإضافي
٢٠٩ (١) مواضع القَصْل
٢١٢ (٢) مواضع الوَصْل
٢٢٠ الإيجاز والإطناب والمساواة
٢٢٠ (١) الْمُسَاوَاة
٢٢١ (٢) الإيجاز
٢٢٧ (٣) الإطناب
٢٣٨ أثر علم المعاني في بلاغة الكلام
٢٤٢ المحسنات اللفظية
٢٤٢ (١) الجناس
٢٤٧ (٢) الائتباس

٢٥٠ (٣) السَّجْع
٢٥٣ المحسنات المعنوية
٢٥٣ (١) التَّوْرِيَة
٢٥٧ (٢) الطَّبَاق
٢٦١ (٣) المَقَابِلَة
٢٦٤ (٤) حَسَن التَّعْلِيل
٢٦٧ (٥ و ٦) تَأْكِيدُ المَدْح بما يُشَبُّهُ الذَّمُّ وَعَكْسُهُ
٢٧١ (٧) أَسْلُوبُ الحَكِيم
٢٧٤ أسئلة امتحان شهادة الدراسة الثانوية للقسم الثاني
٢٧٤ (١) أسئلة الدور الأول
٢٧٥ (٢) أسئلة الدور الثاني
٢٧٧ فهرس المحتويات